

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٣٩ - رمضان ١٤٢٥هـ - أكتوبر/نوفمبر ٢٠٠٤م

ALFAISAL MAGAZINE - NO. 339 - OCT-NOV. 2004

- الطُغراء في الخط العربي
- وادي لجب: متنزه ومضمار هوايات
- رحلة ابن فضلان بين الواقع والخيال

www.ahlaltareekh.com

اختر رفاهيتك المنزلية

من وجبات مميزة إلى وسائل ترفيهية سمعية ومرئية في كنف ضيافة عربية أصيلة
نقدمها لك على مقاعد وثيرة ... لن تشعر بالفرق بين خدمتنا على أسطولنا الحديث وبين رفاهيتك المنزلية.

عالم جديد من الاختيارات

SAUDI ARABIAN AIRLINES  الخطوط الجوية العربية السعودية

www.saudiairlines.com

لا تشغل بالك
مكالماتك تصلك برسائل قصيرة على جوالك

أغلق جوالك واخشع في صلاتك.

مع خدمة «موجود» تصلك رسائل قصيرة، بتفاصيل المكالمات الواردة إليك عندما يكون جوالك مقفلاً.. ومع خدمة «موجود إكسترا» تصلك هذه الرسائل عندما يكون جوالك مقفلاً، أو عند انشغال خطك أو عندما تقوم بتحويل جميع مكالماتك إلى الرقم الخاص بالخدمة.

للمزيد من المعلومات، الرجاء زيارة موقعنا على الإنترنت www.stc.com.sa
وللإشتراك بالخدمة الرجاء الاتصال على مركز الجوال ٩٠٢





إمكانات تتعدى الكلمات

التعداد السكاني ... لغد واعد

www.ahlaltareekh.com







مجلة ثقافية شهرية ـ العدد ٣٣٩ ـ رمضان ١٤٢٥هـ ـ أكتوبر/نوفمبر ٢٠٠٤م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 339 - OCT- NOV. 2004

www.ahlaltareekh.com

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر، ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.

  الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

  يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

  يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

  التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

  تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

  ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتَّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات ـ الكويت ٨٠٠ فلس ـ الإمارات ١٠ دراهم ـ قطر ١٠ ريالات ـ البحرين دينار واحد ـ عُمان ريال واحد ـ الأردن ٧٥٠ فلس ـ اليمن ١٠٠ ريال ـ مصر ٤جنيهات ـ السودان ١٥٠ دينارًا ـ المغرب ١٠ دراهم ـ تونس ٢٥٠ . ١دينار ـ الجزائر ٨٠ دينارًا ـ العراق ٨٠٠ فلس ـ سورية ٤٥ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد .

الموزعون

السعودية ـ الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ـ هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢ ..، سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١، ٠٠٩٦٣، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣نهج المغرب ـ ص.ب ٧١٩، فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ٧١ ـ ٠٠٢١٦، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٠٠٩٧٤، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦، ٠٠٩٦٢، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٠٠٩٧١، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٠٠٩٦٥، المغرب ، الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ ـ ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ ـ ٣ ـ ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧



الطُغراء في الخط العربي

عدّ ابن خلدون الخط صناعة شريفة ومظهرًا من مظاهر العمران والحضارة. وقد بقي الخط العربي منذ بداياته إلى يومنا هذا رمزًا من الرموز المهمة في بناء الحضارة العربية الإسلامية، واحتل مكان الصدارة بين فنون هذه الحضارة.

ومن بين ما أبدعه الخطاطون العرب «الطُغراء» التي تنتمي إلى أكثر من مجال معرفي، إلا أنها تعد مبحثًا من مباحث فن الخط العربي لتمثلها مظاهر هذا الفن وتقنياته الجمالية.. فمتى بدأت؟ وكيف تطورت؟

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ .

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،

أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢

ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨

www.ahlaltareekh.com



إعجاب وأمنيات

أعتز كثيرًا بمجلتكم، وأنتظر توزيعها في المكتبات بصبر نافذ، أتمنى لها النجاح والرقي الدائمين، على صعيد المضمون المدروس الذي يقدم، فقد غدت من أنجح المجلات التي تشبع القارئ النهم للقراءة، والثقافة، وكذلك على صعيد الإخراج وتوزيع الموضوعات والصور، والأخبار العالمية والمحلية، والإصدارات العربية والغربية، والغلاف الجميل بألوانه المتنوعة، وطريقة توزيع الصور الرئيسة فيه.

مها مؤيد

اللاذقية - سورية

التحرير:

نشكر لك إطراءك، ونتمنى أن نكون عند حسن ظن القراء الأفاضل، ويسعدنا تلقي ملاحظاتكم للاستنارة بها حتى تأتي المجلة على النحو المرضي لجميع قرائها.

تنوع واعتدال

إنني من المتابعين لمجلة الفيصل الشهرية، هذه المجلة التي تحتوي على موضوعات متنوعة تعكس اهتمامات القراء والمتابعين لمجمل القضايا الحياتية.

والحقيقة أن مجلة الفيصل من المجلات المتميزة على مستوى الوطن العربي، وفي كل الأعداد تحرص على التنوع الثقافي والأدبي مما يزيد الإقبال عليها.

وقد تابعت بشوق كبير العدد الأخير منها على وجه الخصوص، وأعجبتني كثيرًا موضوعاتها المتنوعة من المعرفة والتعليم والأدب، وكذلك على المستوى الإسلامي، واستطلاع آراء المسلمين،ومتابعة أحوالهم لتقوية الترابط، ومدّ جسور التواصل بين المسلمين؛ وإن كان لابد من كلمة لي في هذا المقام فلا يسعني إلاّ أن أشد على أيدي القائمين بهذا العمل العظيم وأشكرهم على جهودهم وسعيهم الدؤوب لإخراج الرسالة الثقافية إلى العالمين العربي والإسلامي بكل اقتدار، والمجلة بعملها هذا تحرص كل الحرص على الاعتدال والوسطية في الطرح والأسلوب لمختلف الموضوعات التي تقدمها على صفحاتها. هذا الأسلوب الذي زاد من إعجابي وتقديري لكل من ساهم في إخراج هذه المجلة الثقافية الرائعة التي تفتقد إلى مثلها في عالمنا العربي.

أحمد عبدالله ثابت

صنعاء - اليمن

التحرير:

نشكر لك ما أبديته من مشاعر تجاه مجلتك، ومثل هذا الإطراء يزيد من مسؤوليتنا ويدفعنا إلى مزيد من التطوير، ونتمنى أن يأتي على المستوى المحقق لطموحات الإخوة القراء.

التأخير وإصدارات المركز

أشكركم شكرًا جزيلاً على المستوى الرفيع الذي وصلت إليه المجلة.. وستبقى مجلة الفيصل كما عهدناها مصدر إشعاع ثقافي لكل عربي وكل قارئ للعربية في العالم إن شاء الله.

لكن ما نعانيه - نحن القراء في اليمن - هو: تأخر وصول المجلة، فهي في العادة تصل في الأيام العشرة الأخيرة من الشهر، بالمقارنة بمجلات عربية أخرى تصل في الموعد نفسه.

والفترة المحددة لوصول إجابات المسابقة ٤٥ يومًا غير كافية.. أرجو إعادة النظر في ذلك.

ولدي سؤال: كيف يمكن الحصول على إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، والكتب التي تعرضونها في الملف الثقافي؟

- هل يمكن أن أحصل على مجموعة من أعداد المجلة القديمة أضعها في مكتبة المدرسة التي أعمل فيها؟

منصور سليمان عبدالله

ص.ب ٥٥٦٩٩ - تعز - اليمن

www.ahlaltareekh.com

التحرير

نحاول قدر الإمكان تفادي أسباب التأخير بالعمل على إصدار المجلة قبل وقت كاف من نهاية الشهر حتى يكون بين يدي القارئ مع بداية الشهر، ولكن تأتي ظروف قاهرة تحول دون الوفاء بهذ الالتزام، ونعدك بأن «الفيصل» ستكون في يد قرائها مع مطلع الشهر إن شاء الله.

ويمكنك الحصول على إصدارات مركز الملك فيصل من خلال خطاب موجه إلى إدارة التسويق توضح فيه الكتب المطلوبة على العنوان الآتي: (ص.ب ٥١٠٤٩ ـ الرياض ١١٥٤٣).

مدن السودان في "الفيصل"

لقد سرني كثيرًا اهتمام المجلة بإعداد استطلاع مصور عن دارفور مكانًا وإنسانًا، لأن الحديث عن هذا الجزء العزيز من أرض السودان يبقى مهمًا، وقد تصاعد الاهتمام العالمي به، وبرزت تساؤلات عن أصل الناس في هذه المنطقة، وقبائلها وعاداتها وتقاليدها، وغير ذلك.

وكنت ألوم المجلة لعدم اهتمامها بمدن السودان كما تفعل في كل عدد مع دول أخرى، تبرز معالم مدنها، وأصولها الحضارية، علمًا بأن المدن السودانية تنطوي على تاريخ حافل، وتراث عمراني فريد، ومعالم حديثة وقديمة تستحق الإبراز، وتعريف القارئ العزيز بها، وأتمنى أن تلقي المجلة الضوء في القريب على بعض مدن جنوب السودان، وهي تتميز بطبيعتها الخلابة، وعاداتها وتقاليدها المتميزة.

م. عمرو وهبي

الخرطوم ـ السودان

التحرير:

نشكر لك إطراءك، ونفيدك أن المجلة سبق لها نشر كثير من الموضوعات المصورة عن مدن السودان، وتناولت معالم أخرى، مثل: متحف السودان القومي، وليتك تستطيع أن تعدّ استطلاعًا عن إحدى مدن السودان، ونرحب بك صديقًا للمجلة.

ردود سريعة

الأخ حسام فتحي ـ الرياض:

نشكر لك اهتمامك ومتابعتك ما ينشر في المجلة، ونوافقك الرأي في أن مساحة السودان ضعف مساحة مصر، وأن إقليم دارفور خمس مساحة السودان؛ مما يعني أنه أقل مساحة من مصر، وليس أكبر، كما جاء في الاستطلاع المنشور في العدد (٣٣٨).

الأخت فاطمة إبراهيم ـ حلب ـ سورية:

لقد نشرت المجلة كثيرًا من الاستطلاعات المصورة عن حلب، بل تجدين في هذا العدد استطلاعًا عن القلاع والآثار التي رممت في سورية ومن بينها قلعة حلب.

ونحن نرحب بكل ما يساعد القارئ على التعرف إلى المعالم التاريخية والحضارية في الوطن العربي والعالم، ونأمل من الإخوة المهتمين الذين يحرصون على إرسال استطلاعات مصورة الاهتمام بإرفاق صور جيدة، مع الحرص على التوثيق.

الأخ سامي المصري ـ القاهرة ـ مصر:

نشكر لك اهتمامك، ونأسف لك ولكل من نعتذر له عن عدم مناسبة موضوعه للنشر؛ لأن هناك شروطًا وقواعد تلتزمها المجلة، إلى جانب أنه يصادف وجود مواد كثيرة في موضوع ما؛ مما يضطرنا إلى قبول بعضها، والاعتذار عن نشر بعضها الآخر، حتى يتاح للكاتب نشر مقاله في أي دورية أخرى، وثقتنا كبيرة بتفهمكم هذا الأمر، وباستمرار تواصلكم مع مجلتكم.

www.ahlaltareekh.com



الطغراء في الخط العربي

إبراهيم بن عبدالرحمن الهدلق

الرياض – السعودية

تعرض العلامة أبو زيد عبدالرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ) في كتابه الشهير "المقدمة"، في سياق تحليله لمختلف مظاهر الحضارة الإسلامية وإبداعها، لظاهرتي الخط والكتابة، فقد عدّ الخط صناعة شريفة، ومظهرًا من مظاهر العمران والحضارة تنمو بنموها، وتتقلص بتقلصها. وبسبب ارتباط العمران الحضري عنده بالدولة فإن الخط كسائر الفنون والصنائع يتوافق في جودته وضعفه مع قوة الدولة أو ضعفها.

بقي الخط العربي منذ بداياته إلى يومنا هذا رمزًا من الرموز المهمة في بناء الحضارة العربية الإسلامية، بل والإسهام في الحضارة الإنسانية. وأكّد الخطاط العربي المسلم تفوقه في هذا المجال، لدرجة جعلت كل دارسي الخط العربي يجمعون على أن الفنان المسلم جعل للكلمة وظيفة جمالية مرئية إلى جانب وظيفتها السمعية.

كما أنه أوجد في الخط فن الحياة والحركة، مما يجعله باقيًا ومؤثرًا بحيوية ونشاط على مر العصور، ولعل الوصف الآتي للخط يؤكد لنا هذه الحقيقة «إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفه ولامه، واستقامت سطوره، وضاهى صعوده حدوره، وتفتحت عيونه، ولم تشتبه راؤه ونونه، وتساوت أطنابه، واستدارت أهدابه، وصغرت نواجذه، وانفتحت محاجره، وقام لكاتبه مقام النسبة والحلية، وخيل أنه يتحرك وهو ساكن، والخط الحسن كالصوت الحسن يزيد الحق وضوحًا».

نشأة الخط العربي وتطوره

حظي الخط العربي في الإسلام بعناية خاصة، ولا

www.ahlaltareekh.com



طغراء تحمل اسم السلطان عبد الحميد خان بن عبد المجيد ويمكن ملاحظة أجزاء الطغراء المختلفة على الشكل

غـرو في ذلك، فهـو ترجـمـان القرآن الكريم، ووسـيلتـه التي حـفظ بهـا على مـر العـصـور. وقـد حـرص الفنان المسلم على مدى أربعـة عـشر قـرنًا على تجـويد الخط العـربي وتحـسـينه، ووضـع أقـصى مـا يمكن أن يضـعـه العقل البشري من القواعد والمعايير في سبيل تجويد هـذا الفن وأحكامـه لتكون بمنزلة قـوانين ونظريات هندسـيـة غـاية في الدقـة، لا يجـوز الزيادة عليـهـا أو النقصان منها، يرجع إليها كل من أراد حذق الكتابة.

وهكذا تطور الخط العربي إلى فن جميل احتل مكان الصـدارة بين الفنون الإسـلامـيـة والعربيـة، وسـاعـد على ذلك ما تمتاز به طبيعة الخط العربي وأشكال حروفه من الحيوية، بفضل ما فيها من الموافقة والمرونة والمطاوعة، وما فيها من اختلاف في الوصل والفصل؛ مما هيأ لها فرص التطور والابتكار بطرائق وأساليب شتى.

وربما كـان من أهم مظاهر العناية بالخط العـربي تفـريعـه إلى عـدد من الخطوط، يتـمـيـز كل منهـا بخصـائص معينة، وأهم هذه الخطوط نوعان رئيسـان، هما: الخط الجليل (الكوفي)، والخط النسخ أو اللين أو

www.ahlaltareekh.com

المنسوب. ومنها أيضًا خط الثلث، وخط الإجازة، وخط الرقعة، وخط التعليق، والخط الديواني، وخط جلِّي الديواني. ومن أشكال الخط الجليل الكوفي البسيط، وذو الزخارف الهندسية، والمورق، والمزهر، وذو الشريط الزخرفي والمعماري، والمضفر أو المجدول.

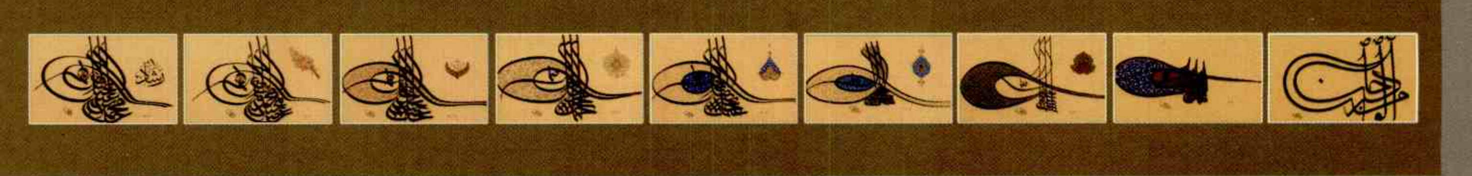
وما زال الخط العربي ينمو ويتحسن ويتنوع ويتعدد تبعًا لما تحمله حروفه من بذور الخصب والابتكار حتى بولغ في أساليب التحويرات الجزئية في حروفه أو في أجزاء حروفه المفردة والمركبة، فعدُّوه بهذا التحوير نوعًا، وبلغت أنواعه نحو ثمانين نوعًا أو تزيد، وهذا بطبيعة الحال ترف فني لم تبلغه أمة من الأمم.

الفنية كالخط الشجري أو المورق، أو إلى القلم كخط الثلث، أو إلى المواد كخط اللازورد.

ولما كان الدين الإسلامي لا يؤيد النحت والتماثيل اللذين يلقيان ظلاً جاهليًا اتجه الفنان المسلم إلى الخط يحسِّنه، ويبتكر فيه متخذه ميدانًا لعرض كفاءاته وقدراته في أشكال هندسية رائعة، وخطوط متنوعة.

انتشر الخط العربي في سائر أنحاء العالم الإسلامي؛ إذ كتبت به لغات أخرى غير العربية، كالفارسية والتركية والأوردية والمالاوية وغيرها، وهكذا احتفظ خلال القرون بأعلى مستويات الإبداع الفني، ساعده على ذلك عوامل مختلفة ارتبطت بالتطور

تطور كتابة الطغراء عند سلاطين آل عثمان



ومن خلال حصر أسماء الخطوط التي وردت في مراجع الخط العربي والمصادر التاريخية والأدبية نجد أنها قد تنسب إلى الأماكن كالخط الكوفي أو المغربي، أو إلى الأشخاص كالخط الريحاني والرياسي، أو إلى الوظائف كالخط الديواني أو خط النسخ، وخط الرقعة، أو إلى التجويد الخطي كخط المحقق والجليل، أو إلى الشكل الهندسي كالمثلث والمدور، أو إلى الشكل الفني كالخط الممزوج والخط المرسل، أو إلى أسلوب الكتابة كالخط الحر أو البدائي، أو إلى الزخرفة

الحضاري للأمة الإسلامية بدءًا بكتابة القرآن الكريم وتدوينه مرورًا بحملات التعريب التي قادتها الدولة الأموية حين عرَّبت الدواوين والمسكوكات، إلى جانب ما قام به العباسيون من تشجيع لحركة الترجمة من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية.

لقد كان الخطاطون المتفنون متمكنين من أقلامهم، وكانت أذهانهم متيقظة. وهذا ما دفعهم إلى التفكير في تفريع الخطوط والتفنن في عرضها. فأبدع المبدعون، وسُرَّ الناظرون؛ ولهذا رأيت أن نخص بشيء

www.ahlaltareekh.com

كان للأمراء من أبناء السلاطين طغراوات خاصة بهم. يستعملونها في أثناء أعمالهم في إدارة الألوية في داخل الإمبراطورية. وغالبًا ما كان الأمير يستمر في استعمال طغرائه بعد تولي السلطنة واعتلاء العرش. أما الوزراء فقد كانت لهم طغراوات خاصة تسمى "بنجه"

من التفصيل هذا الإبداع الذي قاموا به، وهو (خط الطغراء)، ذلك الشكل التجريدي، الذي عُدّ قمة جمالية من جماليات الخط العربي، لا يتقنه إلا خطاط قاصد.

الطغراء (١)

على الرغم من أن موضوع (الطغراء) ينتمي إلى أكثر من مجال معرفي، فإنه يعد مبحثًا خاصًا من مباحث فن الخط العربي؛ لتمثله مظاهر هذا الفن العامة وتقنياته الجمالية.

وهو لا يزال بكرًا، سواء في مجاله المعرفي التاريخي أو الفني؛ لقلة البحوث والدراسات التي تسلط الضوء على جوانبه التاريخية والفنية والوظيفية المختلفة، وفي مجال فن الخط العربي صارت (الطغراء) مصطلحًا من مصطلحات هذا الفن.

عرَّفت المعاجم هذه الكلمة بقولها: طُغراء، بضم الأول، ألقاب كتبوها فوق أوامر السلاطين. وكانت الطغراء قديمًا خطًا منحنيًا يرسمونه فوق أحكام الملوك. والطغراء كذلك إمضاء ملكي يصادق فيه على صحة أوامره. وتكون حروفه ملتفَّة بعضها على بعض، يدخل فيها اسم الملك ولقبه، جمعها طغراوات وطغريات. والطغرائي صانعها، والكلمة دخيلة معرَّبها الطرَّة، وأصلها تَترى، واستعملها الفرس والروم.

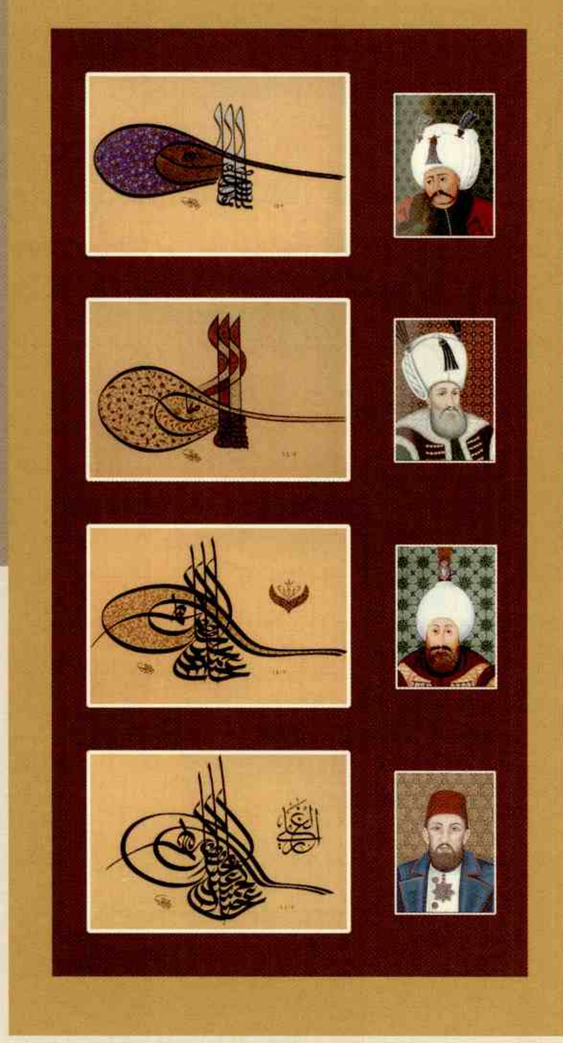
يرجع تاريخ ظهورها إلى أزمنة مختلفة، فابن خلكان (ت٦٤٠هـ) حين يعرِّف بالشاعر الطغرائي يقول: وهو منسوب إلى من يكتب الطرَّة. ويرى صاحب الوسيط أن الطرَّة كانت تكتب بالخط المعلَّق. بينما يرى أحد المؤلفين الأتراك أن للطغراء قصة مَفادُها أن رسم الطغراء تَفاؤل بطائر خرافي شبيه بالعنقاء، كان أمراء الأوغوز يعتقدون به ويقدِّسونه. وكان كتَّاب «طغرل» يرسمون الطغراء على شكل ظل ذيل هذا الطائر في الرسائل والمناشير الملكية. ويعرِّف بها البستاني في دائرة معارفه بأنها تقوم مقام المهر الملكي. أما الطغراء المعروفة اليوم فالسلاطين العثمانيون هم الذين حدّدوها، وأول سلطان استخدمها هو السلطان مراد الأول (٧٦١ - ٧٩٢هـ).

ويحكي صاحب مصور الخط قصة أخرى حول رسم الطغراء في العهد العثماني، موجزها أن تيمورلنك لطخ كفه بالدم، وطبعها على الرسالة التي بعث بها إلى بايزيد رغبة منه في التهديد. وكان من نتائج هذا التهديد المعركة التي جرت في أنقرة وأسر فيها بايزيد. وكانت صورة هذه الكف الملوَّثة بالدم سببًا في نشأة الطغراء عند العثمانيين بشكلها البدائي.

ظلت الطغراء تكتب للسلاطين إلى نهاية عام ١٩٢٢م. فكان لكل سلطان طغراؤه الخاصة التي يوقِّع بها على الفرمانات والمعاهدات والرسائل والبراءات والأوامر السلطانية. كما كانت ترسم على بوابات القصور ودور الحكومة

www.ahlaltareekh.com


بسملة بخط الطغراء ويلاحظ فيها اتجاهات القلم


طغراوات أواخر سلاطين آل عثمان

لكن بعض الكتب الإيرانية ذكرت أنها كانت معروفة قبل تيمورلنك، وكانوا يقولون لها: «آل تمغا» (٢)، وكانت موجودة في عهد خلفاء جنكيز، ولا سيما في عهد غازان خان وأحمد جلاير، فقد كان ختمهما يرسم بلون أحمر فوق أوامرهم ومنشوراتهم.

على أن رسم «آل تمغا» كان معروفًا منذ السلاجقة. وكانوا قديمًا يفرِّقون بين «الطغراء» و«الطرَّة». ففي صبح الأعشى أن الطغراء كتابة خاصة يكتب بها اسم الملك واسم أبيه وألقابه، ولها شخص متخصص يرسمها في البلاط. وحين كان الكاتب يرسم الطغراء يكتب تحتها «خلَّد الله سلطانه». وترسم الطغراء بين الطرَّة فوق المنشور والبسملة. أما الطرَّة قديمًا فقد كانت تُرسم في مقدمات الرسائل والأوامر الملكية والمنشورات السلطانية من عهود وأحكام، وتقع في طرف الرسالة

www.ahlaltareekh.com

والطغرائيون أعضاء في الديوان السلطاني كالصدر الأعظم والوزراء وقاضي عسكر. ثم أصبح لهم مساعدون يدعون "طغراكش". وكانت وظيفتهم تشبه ما يسمى هذه الأيام حامل أختام الملك

فوق الكلام، بقلم أدقَّ من قلم المنشور، بأسطر متقاربة، وتليها الطغراء، ثم البسملة، وبعد ذلك يأتي الكلام المقصود. ولا بد أن يُترك فراغ بين الطرَّة والطغراء، وبين الطغراء والكتابة.

وظلت هذه القاعدة متبعة حتى آخر الدولة الأشرفية؛ أي حتى زمان آخر ملك من هذه الأسرة الحاكمة الذي هو السلطان شعبان بن حسين المتوفى سنة ٨٧٣هـ في مصر. ثم أهمل استعمالها حتى بدأ الحكم العثماني، فأعيد استخدام الطغراء، ولكن ليس على الرسم القديم، وإنما بالصورة الجميلة على أيدي خطاطي الدولة العثمانية ،حتى وصلت إلى شكلها الأخير الذي رسمه الخطاط مصطفى راقم سنة (١٢٤١هـ)، ومن غير أي اختلاف بينها وبين الطرَّة،

على الرغم من أن موضوع (الطغراء) ينتمي إلى أكثر من مجال معرفي، فإنه يعد مبحثًا خاصًا من مباحث فن الخط العربي؛ لتمثله مظاهر هذا الفن العامة وتقنياته الجمالية. وهو لا يزال بكرًا، سواء في مجاله المعرفي التاريخي أو الفني

وغدت طريقة كتابتها ذات قاعدة خاصة، وهي أن تكتب صغيرة وجميلة وبخط الثلث.

ولعل أقدم كتب وصلت إلينا وعليها رسم الطغراء الشبيه برسمها الحالي الرسائل المتداولة المهمة لدى المملوك المصري الملك الناصر حسن بن محمد قلاوون (٧٥٢هـ). وبعد ذلك رُئيت على الأوامر العثمانية في عهد السلطان محمد الفاتح، ومؤرخة بسنة ٨٦٧هـ، والنموذج الثالث في عهد السلطان سليمان القانوني، والنموذج الرابع هو الذي طرأ على الطغراء وعدَّلها، وكان ذلك في عهد السلطان سليمان القانوني. واستمر شكلها هذا حتى عهد السلطان عبدالحميد الثاني، وهو الشكل المعروف اليوم؛ إذ دخلها كثير من التهذيب والتحوير والإتقان، حتى بلغت قرب نهاية حكم سلاطين آل عثمان قمة في الإتقان والجمال، وتحددت ملامحها النهائية.

ويمكن تعريف الطغراء بشكلها العثماني «بأنها ذلك التكوين الحرفي الرائع لاسم السلطان العثماني مزخرفًا بشكل جميل، في ختم السلطان الذي يسم به كل الوثائق والإصدارات والممتلكات الرسمية للدولة». وعلى هذا استقرت شهرة الطغراء مصطلحًا عثمانيّاً خاصّاً بالدلالة على توقيع السلطان وإمضائه الذي يؤكد الملكية والسيادة الشرعية.

وأصبح ذلك الشكل التجريدي قمة جمالية من جماليات الخط العربي، لها فنانون في الخط يتقنون كتابتها، فلا يتعلم هذا الفن إلا قاصد، ومن أتقنها وأصبح طغرائيّاً فقد أعدَّ نفسه لمنصب رفيع في الدولة في ذلك الحين. فوظيفة الطغرائي هي واحدة من المناصب الستة الرفيعة في البلاط العثماني. فالفرمانات (٣) والبراءات والمعاهدات وغيرها من الأوراق الرسمية المهمة تدقَّق من قِبَل الدفتردار (٤) ورئيس الكتّاب، ثم تعرض على الصدر

www.ahlaltareekh.com



سجاد جدارية عثمانية بخيوط من الفضة والحرير يزين زواياها طغراء السلطان عبد الحميد - من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

www.alhaltareekh.com

الأعظم الذي يقوم بدراستها، فإذا أجازها وأشّر عليها بكلمة «صح» اختصارًا لكلمة «صحيح» أرسلها إلى الطغرائي أو النيشانجيّ (٥) الذي يقوم بتدقيقها، فإذا اطمأن على موافقتها للقوانين والمعاهدات السارية يقوم برسم الطغراء عليها بشكلها الذي وافق عليه السلطان عند اعتلائه العرش، وفي المكان المحدد لها، وهو أعلى النص. ولا يكتفي الطغرائي برسم الطغراء السلطانية، بل كان يزينها بالأزهار والتذهيب والنقوش لتبدو في أبهى رونق.

والطغرائيون أعضاء في الديوان السلطاني كالصدر الأعظم (٦) والوزراء وقاضي عسكر (٧)، ثم أصبح لهم مساعدون يدعون «طغراكش»، وكانت وظيفتهم تشبه ما يسمى هذه الأيام حامل أختام الملك.

وبعد أن فقدت هذه الوظيفة أهميتها في نهاية القرن الثامن عشر، احتل الخطاطون مكان الطغرائيين، واقتصرت وظيفتهم على رسم الطغراء فقط.

استخدامات الطغراء

ظلت الطغراء تكتب للسلاطين إلى نهاية عام ١٩٢٢م، فكان لكل سلطان طغراؤه الخاصة التي يوقِّع بها على الفرمانات والمعاهدات والرسائل والبراءات والأوامر السلطانية، كما كانت ترسم على بوابات القصور ودور الحكومة، واستعملت على الأعلام وعلى النقود والمسكوكات والطوابع والسجلات والسفن الحربية والمدافع التي كانت تصب في ترسانة الدولة، ورسمت على أغلفة المخطوطات الخزائنية مما كان يصنع عادة لخزائن كتب سلاطين آل عثمان. وأقدم ما عُرف من طغراء النقود العثمانية هي سكة الأمير سليمان (١٤٠٣ - ١٤١٦م) التي كتبت على شكل طائر خرافي. وقد استعمل السلاجقة في خراسان، وسلاطين المماليك في مصر الطغراء في أغراض مشابهة.

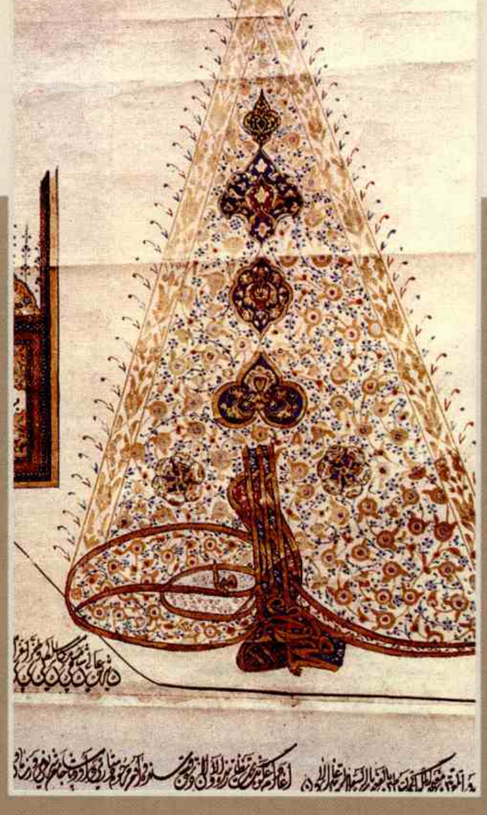
شكل الطغراء

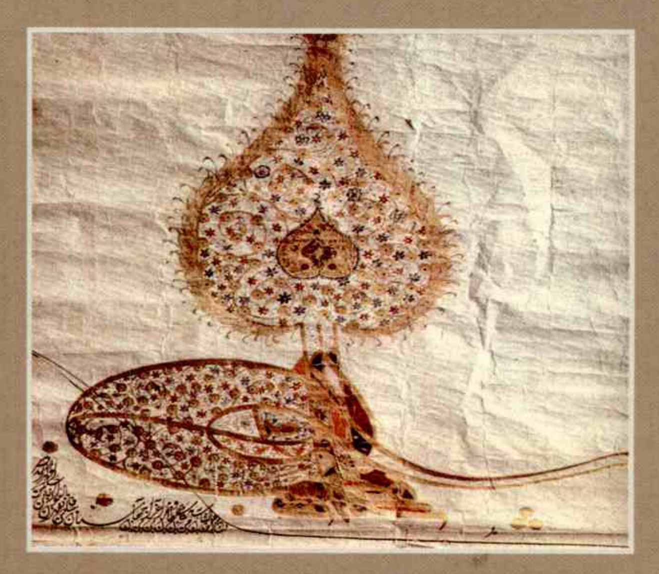
وإذا نظرنا إلى الطغراء في صورتها المتطورة (فترة سلاطين آل عثمان) نجدها تتكون من أربعة أجزاء رئيسة، هي:

أ. السَرْأة: وهي كرسي الطغراء أو الجزء السفلي منها الذي يبدأ منه النص الأصلي، ولها شكل كمثرى، وكانت في المراحل الأولى أقرب إلى الاستطالة، ثم أخذت تضيق من أعلى في عهد السلطان سليم الثاني، واقترب شكلها من المثلث، ثم استدارت قاعدة السرأة حتى استقرت على شكلها الحالي، كما في طغراء السلطان عبد الحميد خان بن عبدالمجيد. والنص يكتب متراكبًا في رشاقة وتداخل غير مخلٍّ من أسفل إلى أعلى، وأحيانًا تكتب الأسماء متشابكة أو على سطر واحد.

ب ـ بيضة الطغراء: وتطلق على القوسين الناتجين غالبًا من كتابة حرفي النون في كلمتي «خان» و«بن». والقوس الخارجي يسمى البيضة الخارجية، والقوس

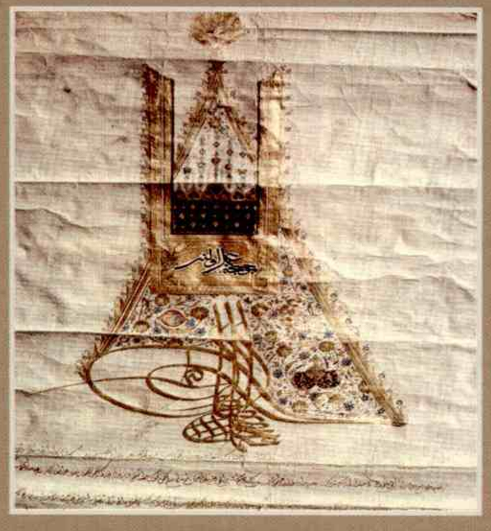
www.ahlaltareekh.com


طغراء السلطان العثماني محمد الرابع (١٦٤٨م - ١٦٨٧م)

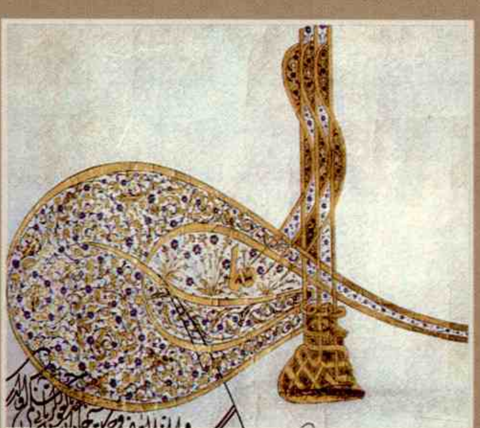

فرمان يحمل طغراء للسلطان العثماني سليمان الثاني ١٦٨٧م - ١٦٩١م

الداخلي يسمى البيضة الداخلية. وتقع بيضة الطغراء في الجهة اليسرى، ولها استدارة رائعة تتناسب مع السَرْأة في اتزان جميل.

وبعد أن أضيف إلى اسم السلطان كلمة «مظفَّر»، مدَّ حرف الراء بشكل يقطع قوسي البيضة، فزاد من إبراز الجمال الانسيابي لهما. كما يكتب في وسطها كلمة


فرمان يحمل طغراء للسلطان العثماني عثمان الثالث ١٧٥٤م - ١٧٥٧م

أصبح ذلك الشكل التجريدي قمة جمالية من جماليات الخط العربي، لها فنانون في الخط يتقنون كتابتها، فلا يتعلم هذا الفن إلا قاصد، ومن أتقنها وأصبح طغرائيّاً فقد أعدَّ نفسه لمنصب رفيع في الدولة في ذلك


فرمان يحمل طغراء للسلطان العثماني سليمان الكبير ٩٧٣هـ

www.ahlaltareekh.com

مجموعة من المسكوكات العثمانية تحمل طغراوات بعض السلاطين

«دائمًا» وتسمى (دايمه)، وهي دعاء للسلطان بأن يكون مظفرًا دائمًا.

ج - الطوغ أو الطغ: ويطلق على الخطوط الناتجة من مد حروف الألف أو اللام أو الطاء أو الظاء في أعلى الطغراء التي منها اشتق الاسم. وأحيانًا نجد أن الطوغات لا تمثل أي حرف، وإنما هي خطوط مكملة

لعل أقدم كتب وصلت إلينا وعليها رسم الطغراء الشبيه برسمها الحالي الرسائل المتداولة المهمة لدى المملوك المصري الملك الناصر حسن بن محمد قلاوون (٧٥٢هـ). وبعد ذلك رُئيت على الأوامر العثمانية في عهد السلطان محمد الفاتح

لشكل الطغراء. ويتدلى من كل طوغ ما يشبه الأعلام التي تخفق في الهواء، وتسمى الواحدة «زلفة».

وفي الطغراء ثلاثة طوغات وثلاث زلف، وإن كان لبعض الطغراوات المبكرة أكثر من ثلاثة طوغات.

والطوغات الثلاثة متوازية وتميل ميلاً خفيفًا إلى جهة اليمين وكأنها بيارق محمولة تخفق منها زلف من شعر الخيل في مقدمة الجيش.

د - قول: ويطلق هذا الاسم على ذراع الطغراء الأيمن الذي يمتد بشكل خطين متوازيين مع انحناءة لطيفة تكمل الصورة الموسيقية لهذا التجريد الرائع.

وعلى جانب الطغراء الأيمن المقابل للبيضة شَعَر الخطَّاطون بأن هناك فراغًا فشغلوه بألقاب خاصة بالسلطان، فكتبوا كلمات مثل الغازي أو رشاد أو عدلي. وتسمى هذه الكلمات «مَخْلَص»، وكانت تُشغل في الصور المبكرة برسم بعض الأزهار.

وكان للأمراء من أبناء السلاطين طغراوات خاصة بهم، يستعملونها في أثناء أعمالهم في إدارة الألوية في داخل الإمبراطورية. وغالبًا ما كان الأمير يستمر في استعمال طغرائه بعد تولي السلطنة واعتلاء العرش. أما الوزراء فقد كانت لهم طغراوات خاصة تسمى «بنجه»، ويمكن تمييزها من طغراء السلطان بأن البيضة ذات قوس واحد، وأن مكانها لا يكون في أعلى الخطاب أو الوثيقة بل على الهوامش الجانبية.

وعلى امتداد ستة قرون تجمعت مئات بل ألوف من الوثائق والمعاهدات والفرمانات محفوظة في المتاحف والمكتبات ودور الوثائق، وعند دراستها ظهرت أهمية الطغراوات كوسيلة للتعرف إلى العهود المختلفة والتواريخ التقريبية للوثائق غير المؤرخة أو التي فقدت بعض أجزائها.

www.ahlaltareekh.com

فبمعرفة اسم السلطان أو الوزير أو الصدر الأعظم من قراءة طغرائه أمكن تحديد العهد الذي كتبت فيه، وأصبح من الممكن وضع الوثيقة في مكانها التاريخي الصحيح. وأصبح تحليل الطغراء وقراءتها ضرورة للمؤرخين والباحثين في العصور العثمانية.

وأحيانًا كانت تظهر صعوبات لتشابه أسماء السلاطين الذين بلغ عددهم ستة وثلاثين سلطانًا، ولكنهم يحملون خمسة عشر اسمًا مختلفًا فقط.

ومن أشهر من كتب الطغراء مصطفى الراقم، وإسماعيل حقي، وسامي أفندي، وحامد أيتاش، ومحمد زهدي، وحسن شلبي، وبعد أن كان هذا الفن قاصرًا على كتابة الطغراوات للسلاطين كتب الخطاطون بعض الآيات القرآنية الكريمة بالطريقة نفسها؛ لما وجدوا فيها من جمال، فكانت نماذج رائعة للخط الجميل الذي زاد جمالاً بما فيه من تحدٍّ وبراعة في تداخل النص وتراكمه في رشاقة تراوح بين الصراحة والغموض.

ونشير في ختام مقالنا هذا إلى النقاط الآتية:

- مع أن رسم الطغراء في إيران يرجع إلى عهد السلاجقة، فإن التاريخ لم يحفظ لنا نماذج لها سوى «آل تمغا» من عهد غازان، وأحمد جلاير، ولم يصل

المراجع والهوامش

أولاً: الهوامش

١. طغراء Tugra: كلمة عثمانية تعني الشعار الذي اتخذه السلطان العثماني علامة له وتوقيعًا.
٢. آل تمغا: تتكون من كلمتين: آل: أحمر، تمغا: ختم، والكلمتان مغوليتان.
٣. فرمان Ferman: كلمة عثمانية تعني الأمر السلطاني الرسمي المكتوب الصادر في قضية من القضايا.
٤. دفتردار Defter dar: كلمة عثمانية تعني ممسك الدفتر، وهي تتكون من كلمتين: دفتر ودار، بمعنى القابض على الدفتر، وهو أكبر منصب للشؤون المالية في الدولة العثمانية، يقابله في الوقت الراهن وزير المالية.
٥. نيشانجي Nisanci: كلمة عثمانية تعني الشخص الذي يضع ختم السلطان أو طغراءه على ما يصدر عنه من فرامانات وبراءات رسمية، ويكون عادة من كبار قضاة الدولة العثمانية وفي يده سلطة قانونية مهمة.
٦. الصدر الأعظم Sadriazam: كلمة عثمانية تعني الشخص الذي حاز منصب رئيس الوزراء في الدولة العثمانية.
٧. قاضي عسكر Kazaskrer: كلمة عثمانية تعني وظيفة قاضي عسكر التي كانت تتمثل في إصدار الأحكام والفتاوى الشرعية، والرد على الاستفسارات الموجهة إليهم من أفراد المجتمع.

ثانيًا: المراجع العربية

١. مقدمة ابن خلدون/ عبدالرحمن بن محمد بن خلدون - بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان؛ تحقيق إحسان عباس - بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م - ٨ مج.
٣. صبح الأعشى في صناعة الإنشا/ أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م - ٧ مج.
٤. دائرة المعارف: قاموس عام لكل فن ومطلب/ بطرس بن بولس البستاني - بيروت: دار المعرفة، دت - ١١مج.
٥. المعجم الوسيط/ إبراهيم مصطفى (وآخرون) - إستانبول: دار الدعوة، ١٩٨٩م.
٦. جمال الخط العربي/ أحمد عبدالفتاح البشلي - القاهرة: دار الطلائع.
٧. الفن العربي الإسلامي/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس: ١٩٩٧م.
٨. الخط العربي تاريخه وحاضره/ بلال عبدالوهاب الرفاعي - دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م.
٩. كنوز الفن الإسلامي/ دار الآثار الإسلامية، ١٩٨٥م، جنيف.
١٠. وحدة الفن الإسلامي/ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٥هـ، الرياض.
١١. أطلس الخط والخطوط/ حبيب الله فضائلي، ترجمة محمد التونجي، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط٢، ٢٠٠٢م، سورية.
١٢. الخط العربي تاريخه وأنواعه/ يحيى سلوم العباسي - بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٨٤م.
١٣. الكتابات العربية على الآثار الإسلامية من القرن الأول حتى أواخر القرن الثاني عشر للهجرة (٧ - ١٨م)/ مايسة محمود داود - القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩١م.

www.ahlaltareekh.com

إلينا بعد ذلك سوى ما يشبه الطغراء في عهد الصفويين، وعهد نادر شاه، ويختلف شكلها عن شكل الطغراء العثمانية.

ـ من المسلم به أن الطغراء في بواكير ظهورها لم يكن لها شكل محدد، وطرأ عليها تطور ملحوظ ومستمر، حتى جاء العثمانيون فأخذت شكلها الثابت. وهذا يعني أنها كانت ترسم وتزين بأي نوع من الخط كالكوفي، والثلث، والنسخ، والنستعليق، والشكسته والديواني، في أعلى الصفحة، وندعوها الطغراء، أو الشبيهة بها.

ـ أطلق على الطغراء عدد من الأسماء هي: المعلق، الهلالية، جرغان، طرة.

وبعد، فإذا كان كل مجتمع قد تميز بفن من الفنون وجد فيه التعبير الحقيقي عن روحه وشخصيته وطابعه الخاص وطموحه، واستمد منه روح الابتكار والإبداع اللازمين لنهضته، فإن الخط العربي كان وسيظل هو الفن العربي الأصيل الذي يعبِّر بصدق عن روح العربي وطموحه وآماله، وبفضل رعايته وازدهاره سوف يتزود المجتمع العربي بروح الابتكار التي يشيعها الفن في المجتمع والتي لا غنى عنها لنهضته وتقدمه.

١٤. الجوانب التوثيقية التاريخية في المخطوطات العربية/ نصر الدين محمد صالح فرفور ـ الرياض: مركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٥. من التراث الإسلامي فن الخط/ مصطفى أوغور درمان (وآخرون) ـ إستانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا). ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

١٦. المختار من إبداعات الخط العربي/ الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ـ الرياض، ١٤١٩هـ.

١٧. مصور الخط العربي/ ناجي زين الدين ـ بيروت، ١٩٧٤م.

١٨. فنون وآثار، فنون وآثار للمزادات المحدودة، الرياض، ١٤٢٠هـ.

١٩. موسوعة الخط العربي، (الخطوط العربية الأخرى)/ كامل سلمان الجبوري ـ بيروت: دار مكتبة الهلال، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٠. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، سهيل صابان ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢١هـ.

٢١. النقود المتداولة في الدولة العثمانية / محمد علي الحريري، الدارة، العدد الثاني، السنة الحادية والعشرون، المحرم، صفر. ربيع الأول ١٤١٦هـ.

٢٢. رحلة مع الخط العربي/ محمد عبدالغني الأبوكاتو، العربي، العدد ٢٨٣، شعبان ١٤٠٢هـ.

٢٣. الطغراء إشكالية المفهوم وحدود المصطلح/ أدهم حنش، حروف عربية، ١٤٢٢هـ، العددان الخامس والسادس.

٢٤. النستعليق الإيراني يتألق في الإمارات/ حروف عربية، ١٤٢٢هـ، العدد الثامن، السنة الثانية.

٢٥. إسهامات الخطاطين عبر التاريخ الإسلامي/ عمر عبدالسلام تدمري، حروف عربية، العدد العاشر، ١٤٢٤هـ.

٢٦. منظور نشأة وتطور الخط العربي بين جلال المكانة وجمال الهيئة/ يوسف ذنون، حروف عربية، السنة الأولى، العدد الثالث، المحرم ١٤٢٢هـ.

٢٧. الخط المغربي عند ابن خلدون/ محمد المغراوي، حروف عربية، السنة الأولى، العدد الرابع، ربيع الآخر ١٤٢٢هـ.

٢٨. الطغراء قمة الجمال في الخط العربي/ حسن عبدالمجيد المعايرجي، مجلة الدوحة، العدد ١٢٣، جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ.

٢٩. قطع تستحق الاقتناء/ مجلة فنون شرقية، العدد الأول، يوليو ٢٠٠٤م.

30- Osmanli Fermanlari Ottoman Fermans by Ismat Binark T.C. Basbakanlik Devlet Arsivleri Genel Mudurlugu, Ankara, 1994.

31- Turkish Delights by Philippa Scott Thames & Hudson London, 2001.

32- The Splendour of Islamic Calligraphy by Abdelkebir Khatibi Mohammed Sijelmassi Thames & Hudson London, 2001.

33- Osmanli Padiahlarive Tughralari by Deniz Yatirim Eid Publishing Istanbul.

34- Osmanli Turklerinde Tughra by Yazan Midhat Sertoglu Dogan Kardes Matbaacilik Saniyii A.S. Istanbul, 1975.

35- Turk Hat Sanatinin Saheserleri by Hazirlayan M. Ugur Derman Kultur Bakanligi Yayinlari Dosim Ankara, 1981.

36- Letters in Gold Ottoman Calligraphy From the Sakip Sabanci Collectoon Istanbul by M. Uger Derman The Mertropolitan Museum of Art New York, U. S. A.

www.ahlaltareekh.com



الخطاب الإعلامي بين العامية والعجمة

يوسف عزالدين

ويلز - المملكة المتحدة

تتهم اللغة العربية بالجمود والعقم وعدم استيعابها للعلوم الحديثة الصرفة والفلسفة الغربية، ومصطلحات الاختراعات والاكتشافات المتطورة التي تغمر العالم.

أولاً: الخطاب الإعلامي وأثره السلبي في التنمية اللغوية المعاصرة

اتهاماتهم هذه يكذّبها واقع اللغة العربية في ماضيها الطويل وحاضرها المتطور، فقد استوعبت ثقافات متعددة، وحضارات متباينة، صهرتها في أساليبها المرنة وقابليتها الكبيرة، فقد احتوت حضارة اليونان والفرس والرومان والهند، وها هي ذي - اليوم - لا تعجز عن احتواء العلوم الحديثة وفنونها ومصطلحاتها بكل يسر وسهولة مع قصر عمر تطورها الحضاري، إذ إنها بدأت بصورة جادة في زمن محمد علي باشا، فقد ترجمت عددًا كبيرًا من كتب الغرب، ووضعت المصطلحات الكثيرة، فهو عمر قصير في هذا المضمار الحضاري، وقد تم وضع عدد من المعجمات في مختلف العلوم والفنون، وكانت مصر الرائدة، ولم تقف المجامع في الشام والعراق والأردن والمغرب وتونس عن هذا التطور اللغوي والحس الحضاري؛ فقد طبع في القاهرة أول معجم للطلاب بعدة لغات باسم (كتاب أنيس المشرحين في علم الطب) (١) لتسهيل فهم اللغات الأجنبية على

www.ahlaltareekh.com



www.ahlaltareekh.com

الطلاب، بل إن القائمين على التدريس استوردوا المعجم من الهند قبل أن تعود البعوث من أوربا، إذ كانت فيها كلية طب تدرس باللغة العربية في مدينة كلكتا.

ولولا غزو نابليون ثم الاستعمار الإنجليزي الذي فرض فيه كرومر اللغة الإنجليزية لكانت مصر قد قطعت شوطًا كبيرًا في نموها وتطورها التقني والعلمي والحضاري، وقد ثبت أن مصر في العصر الحديث أول من اعتنى بالتنمية اللغوية وإثرائها، وبخاصة بعد البعوث من أوربا (٢).

وكانت حركة الترجمة أهم ينابيع التنمية اللغوية يساعدها على النشر مجلة «روضة المدارس ويعسوب الطب» التي كانت تختار أهم المقالات في الطب، وتترجمها إلى اللغة العربية بأسلوب واضح وعبارة عربية سليمة؛ لأن المشرفين على هذه الحركة كانوا من علماء الأزهر.

وعلى الرغم من فرض الفرنسية والإنجليزية فقد نمت اللغة العربية، وتطورت تطورًا كبيرًا في شعر الشعراء، ونثر الكتاب، وابتعدت عن المحسنات اللفظية، كالجناس والتورية والمجاز، ورد العجز على الصدر، والسجع الذي كان حلية الكتاب التي يفاخرون بها، ويتألمون إذا لم يفهم هذا السجع، فقد قال أبو الثناء الآلوسي عند سفره إلى إستانبول، ومروره بديار بكر:

وإني مللتُ السجْعَ من أجلِ أنه
لمعظم أهل الروم قد كسد السجع
وكم فقرة قد أحكمتها قريحتي
تلوت بأرجاها فما ساغها سمع

ولم نعد نرى كلمات ذات جرس أو وجود ألفاظ غير مأنوسة، بل سخر الشعراء من هذه الكلمات، فقد قال صفي الدين الحلي:

إنما الحيزبون والدردبيس
والطخا والنقاخ والعطلبيس

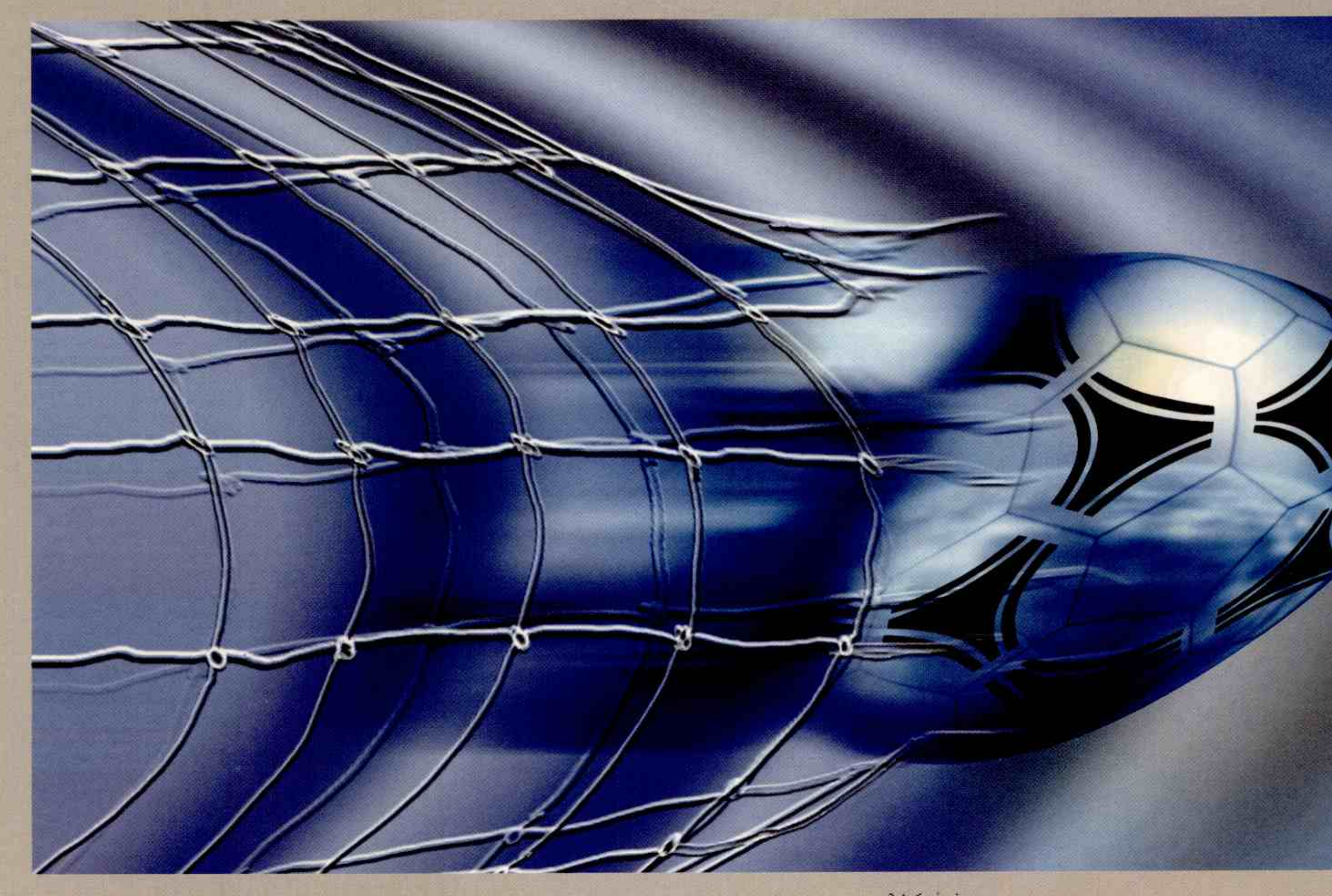
دخلت في الشعر كلمات أجنبية، مثل (أفندي) و(الاتك) و(براندي). وقد استعمل شوقي (أفرلند)، و(البايب)، و(البرلمان)، وغيرها. وفي العراق استعمل معروف الرصافي كلمة (اوتوموبيل) قبل أن تعرب إلى سيارة و(عربية)

لغة تنفر المسامع منها
حين تروى وتشمئز النفوس (٣)

لأن أدباء هذا العصر طوروا اللغة باستعمال الكلمات المأنوسة، ويمكن البرهنة على ذلك بالمقارنة بين أدب الأدباء مثل: محمد عثمان جلال، وعلي مبارك، وعبدالله أبو السعود مع شعر البارودي وشوقي وإسماعيل صبري، ثم بعدهم جيل طه حسين والزيات والمنفلوطي والرافعي في مصر، والرصافي والشبيبي والكاظمي في العراق ومقارنة نثر جريدة الأهرام في القاهرة ونثر جريدة الزوراء في بغداد، وبعدها الهلال والمقتطف. نجد اليسر والسهولة في العبارة التي تعنى بالمعاني قبل العناية بالألفاظ؛ أي: العناية بالمضمون

كان العرب يؤلمهم اللحن في الكلمة الواحدة. وقد عدّ الرسول الكريم اللحن ضلالاً عندما سمع رجلاً يلحن، فقال ـ صلوات الله عليه ـ: (أرشدوا أخاكم فقد ضل). وحرصًا على الفصحى تتبع العلماء اللحن عند العامة وسجلوه في كتبهم لكي يكون محدودًا ومعروفًا

www.ahlaltareekh.com



هدف أم كول؟

أكثر من العناية بالإطار اللغوي، وكانت المحاضرات تلقى في الأزهر ودار العلوم، ثم الجامعة الأهلية والندوات العامة، بالعربية الفصحى، ولما جاءت المخترعات الحديثة كالقطار والحافلة (الترام) والساعة دخلت في شعرهم، وبعضهم استعمل الكلمات الأجنبية؛ إذْ لم تكن قد عربت هذه المخترعات، فقد قال البارودي:

لقد نعب (الوابور) بالبين بينهم
فساروا ولازموا جمالا ولا شدوا

كما دخلت في الشعر كلمات أجنبية، مثل (أفندي) و(الاتك) و(براندي)، وقد استعمل شوقي بعض هذه الكلمات بمثل قوله:

بطل البداوة لم يكن يغزو على
تنك ولم يك يركب الأجواء

واستعمل في شعره (أفرلند) و(البايب) و(البرلمان)، وغيرها مما تحتاج إليه المناسبة، وتفرضها الدقة.

وفي العراق استعمل معروف الرصافي كلمة (اوتوموبيل) قبل أن تعرب إلى سيارة و(عربية) في القاهرة فقال:

(بتومبيل) جرى في الأرض منسرحًا
كما جرى الماء في سفح الأهاضيب

www.ahlaltareekh.com



مستحدثات العصر .. كيف تعرب؟

ينساب مثل انسياب الأيم تحمله

عوامل عجلات في دواليب

كـأنهـا وهـي بـالمطاط منعلة

تسعى بأخفاف أنواق مطاليب

وله قصيدة في الساعة والقطار. وذكر الشعر (التلغراف)، ونظم الزهاوي في علم الفلك، إضافة إلى أحمد الكاشف، وحافظ إبراهيم، وتسربت الفلسفة الجديدة والآراء العلمية، مثل: نظرية أنشتاين، وجميس جيز، وديكارت، وسمي العصر عصر البخار عندما حرك القطار والمراكب البخارية حتى قال الرصافي:

تعاليت يا عصر البخار مفضلاً

على كل عصر أهله قد قضى نحبا

واندهش إبراهيم الطبطبائي عندما رأى الحافلة (الترام) فقال:

كـيف تنقـاد قلعـة من حـديد

أو حديد ينساب فوق حديد؟!

لأن وسائل الإعلام كانت تنشر أخبار هذه المخترعات والاكتشافات وتنشر الآراء العلمية والفلسفية الجديدة في الصحف والمجلات وتصفها.

وقد تعددت الآن وسائل الإعلام، وتنوعت، وأخذت تدخل في كل زاوية من زوايا المجتمع بعد أن جاء الإنترنت، وتطور التلفاز والمجلات والصحف بعد أن كانت وسائل الإعلام محدودة المساحة الاجتماعية والفكرية، والآن لوسائل الإعلام دراسات جادة في علم النفس والهندسة وعلم الاجتماع والسياسة العامة والاقتصاد، وقد خصص لها كليات متعددة، ثم بنيت لها مدينة واسعة لتكون أكثر بعداً، وأعمق أثراً في حياة المجتمع المعاصر، وتوجهه كما يريد القائمون عليها.

ثانياً: تسرب العامية إلى وسائل الإعلام

أما الخطر الآخر الذي يهدد اللغة الفصحى ويتحداها فهو استعمال العامية بصورة ظاهرة ومستمرة ليلاً ونهاراً، وفي جميع وسائل الإعلام العربية وأبرزها المسرحيات والمسلسلات، وزاد الطين بلة ما تنشره الصحف والمجلات من صفحات بالعامية، وقد تسربت هذه الظاهرة إلى مجلات الأطفال التي تصدرها وزارة

الهوة موجودة بين لغة شكسبير وحاضر الإنجليزية، وليست هذه المسافة كبيرة بين لغة العرب قبل الإسلام ولغتنا الحاضرة. على الرغم من مرور أربعة عشر قرناً على العربية. وقيل ذلك في اللغات الأوربية في لغة جوته وراسين وبودلير ولغاتهم المعاصرة

www.ahlaltareekh.com



الثقافة، وكان حريًا بها وهي في بلد يحرس العربية، ويحافظ عليها، أن تصدر بالفصحى السليمة، ومما يؤسف له أن بعض وسائل الإعلام تصرّ على التحدث بها حتى في الأخبار، وتعمد الإمالة وكسر اللفظ وتحريفه فيقول عن القدس: (الإدس)، وعن الأرقام: (الأرآم)، وقلب التاء إلى سين وغير ذلك من الكلمات التي تسمعونها كل يوم، وكان العرب يؤلمهم اللحن في الكلمة الواحدة، وقد عدّ الرسول الكريم اللحن ضلالاً عندما سمع رجلاً يلحن، فقال - صلوات الله عليه -: (أرشدوا أخاكم فقد ضل). وحرصًا على الفصحى تتبع العلماء اللحن عند العامة وسجلوه في كتبهم لكي يكون محدودًا ومعروفًا، مثل: علي بن حمزة الكسائي في كتابه (ما تلحن به العامة)، وألف الزبيدي في لحن العامة، وفي الأندلس ألف ابن هشام اللخمي عن لحن العامة، ولما انتشرت في العصر الحديث ظاهرة الابتعاد عن العربية ألف اليازجي وكمال إبراهيم والعدناني عن الأغلاط، وألف مصطفى جواد كتابًا باسم (قل ولا تقل)، وغيرهم من الكتاب الأفاضل.

إن الدعوة إلى العامية يراد بها صرف العرب عن لغتهم، وجعل الفصحى لغات متعددة، وقد وضعوا نصب أعينهم ما يقوله الأجانب عن اللغة اللاتينية، وتفرعها إلى لغات متعددة؛ ولهذا عندما سيطر الغرب على مقدرات الوطن العربي أراد تطبيق ذلك، ففي مصر، فرض كرومر الإنجليزية وما قام به وليم ولكوكس مثله، وادعى بأن الفصحى هي السبب في تأخر المصريين، وكان يغري الناس بالكتابة العامية، فقد نشر في مجلة الأزهر إعلانًا قال فيه: (من قدّم لنا هذه الخطبة باللغة المصرية الدارجة، وكانت موافقة جدًا يكافأ أربعة جنيهات أفرنكية) ويدلل على ترجيح العامية بما حدث في بلاده وقال: إن اللغة الإنجليزية أجهزت على اللاتينية

اللغات والثقافات والحضارات المختلفة لا يمكن إلا أن تتأثر بالعالم وما فيه من تطور وتجديد. بيد أن الأمم العريقة في حضارتها، الواعية بالثوابت الفكرية والجذور الأصلية هي التي تحتوي الجديد، وتحافظ على أصالتها، ومتانة جذورها

www.ahlaltareekh.com

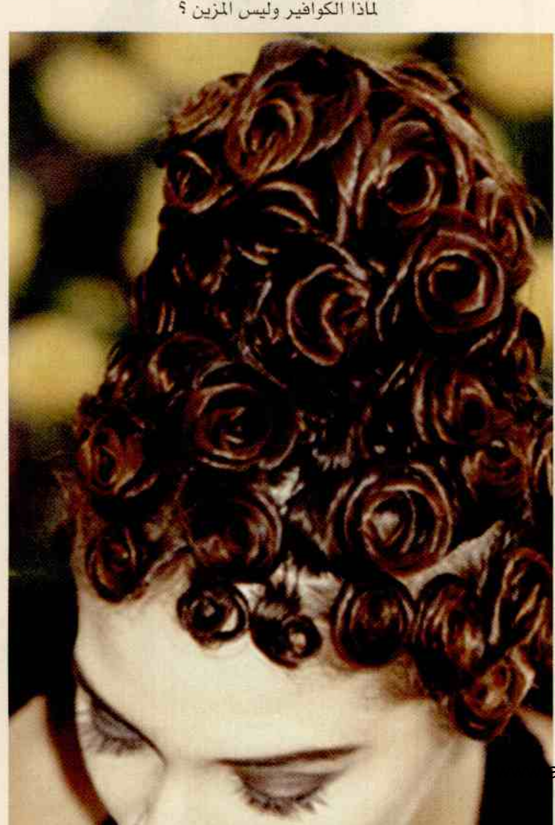
فيجب أن تقضي العامية المصرية على الفصحى حتى يقدر المصريون على الاختراع، وادعى أن الهكسوس هم الذين جاؤوا بالعربية؛ لأن العربية لا تعرف النفي المزدوج، مثل: ما عملتش.

ولقطع الصلة بين تراث الأمة وحاضرها ألّف (وليم سبيتا) الألماني كتابًا سمّاه (اللهجة العامية الحديثة في مصر)، وكان يكتب رسائله بها ولاَلَوْم عليهم؛ لأن العربية تجمع العرب، وتهدد خططهم الاستعمارية، ولكن الغريب مساندتها من كتّابٍ في العالم العربي، مثل: سلامة موسى ويعقوب صروف صاحب المقتطف وأحمد لطفي السيد الذي زعم أن الفصحى فقيرة في المعارف والمصطلحات، وأن استعمال العامية سيخرج الفصحى من الضعف، ونسي أن العامية أصلها الفصحى، وقد برهن الزميل الفاضل الدكتور أمين السيد في بحوثه المستمرة التي يقدمها كل سنة في اجتماع المجمع السنوي على ذلك عندما أحصى الكلمات العامية الموجودة في المعجم الوسيط، وكانت من الكثرة التي دعت أستاذنا محمد عبدالسلام هارون إلى التخلص من جزء منها - كما قال لي رحمه الله -. وبالفعل وجدت هناك كلمات عامية مصرية لا تستعمل عندنا مثل كتكوت نسميه في العراق (فرخ)، وتقاوي ونسميها (البذور)، وقلاوز وتسمى بالعامية العراقية (برغي)، والقماش ونسميه في العراق البزاز، وغيرها من الكلمات، وهي كثيرة، وفات هؤلاء الكتاب العرب أن العامية سوف تقسم العرب إلى لغات، وسوف يخسر هؤلاء الكثير عندما يكتبون بها، وسوف تكون كتبهم محدودة بمصر إضافة إلى ضياع تراث عمره أربعة عشر قرنًا، وهل سيؤلِّفون كتبًا بلهجة الصعيد وأخرى بلهجة أهل القاهرة؟ ورحم الله حافظ إبراهيم، فقد شعر بذلك الخطر، فقال عن قابلية اللغة العربية، واستيعابها الحضارة القديمة، ومسايرتها للاختراعات الجديدة:

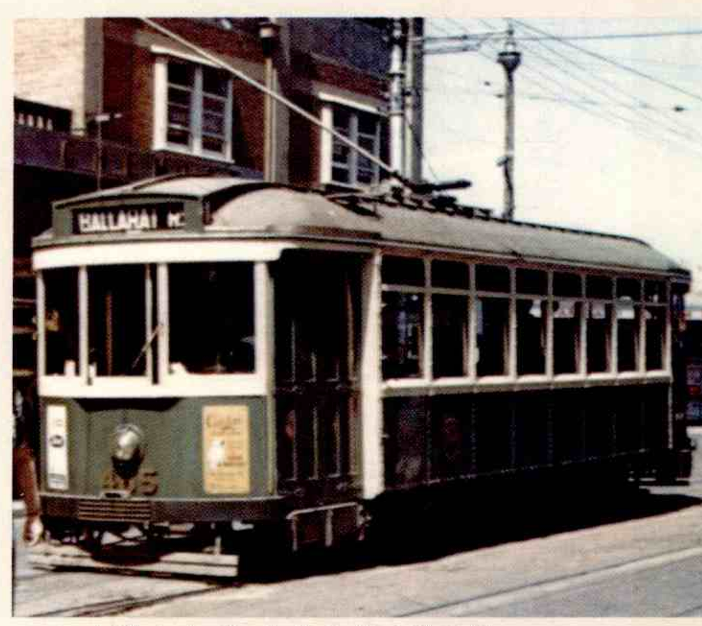
وسعتُ كتابَ الله لفظًا وآيةً
وما ضقت عن آيٍ به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماءٍ لمخترعات
سَرتْ لوثةُ الإفرنج فيها كما سَرت
لعابُ الأفاعي في مسيل فرات

وفات هؤلاء بمقارنتهم بين اللاتينية واللغة العربية أن هناك هوة بين هاتين اللغتين، واتسعت هذه الهوة حتى بين اللغة التي وضعها جوسر واللغة الإنجليزية اليوم، بل الهوة موجودة بين لغة شكسبير وحاضر الإنجليزية، وليست هذه المسافة كبيرة بين لغة العرب قبل الإسلام ولغتنا الحاضرة، على الرغم من مرور أربعة عشر قرنًا على العربية، وقيل ذلك في اللغات الأوربية في لغة جوته وراسين وبودلير ولغاتهم

لماذا الكوافير وليس المزين ؟



ahlaltareekh.com



الكلمات الأجنبية للمخترعات الحديثة دخلت في الأشعار

المعاصرة. إن الجهود التي يبذلها المجمع والأزهر والجامعات في سبيل الفصحى مهددة اليوم بحرص أولياء الطلاب العرب على دفع أولادهم إلى اللغات الأجنبية، وهو عمل يضيع الهوية العربية الإسلامية.

إن استعمال العامية يراد به تحول العقلية العربية

بعض الدول تحافظ على لغتها وتسن القوانين لمنع استعمال غير لغتها. فوزير الثقافة الفرنسي جاك توبون والدولة الفرنسية حذرا وسائل الإعلام من استعمال غير الفرنسية ووضعا غرامات لمن لا يتقيد بهذا الأمر. والعرب عاكفون على ترجيح اللغة الأجنبية

المشتركة إلى عقلية قطرية، وقتل الوعي الإسلامي؛ لأن تهميش الفصحى سوف يبعد العرب عن تراثهم الأصيل، وحضارتهم العريقة.

ليست العربية الفصحى لغة حديث وكتابة، إنما هي لغة حضارة وأدب وماض تتفق عليها كل الشعوب العربية، وتوثق الشعوب الإسلامية برباط قوي من التراث والحضارة، وهم يريدون التفرقة لخلق شعوب وأمم متعددة لا أمة واحدة تزحم حضارتهم وتفوقهم.

ثالثًا: تسرب اللغة الأجنبية إلى وسائل الإعلام

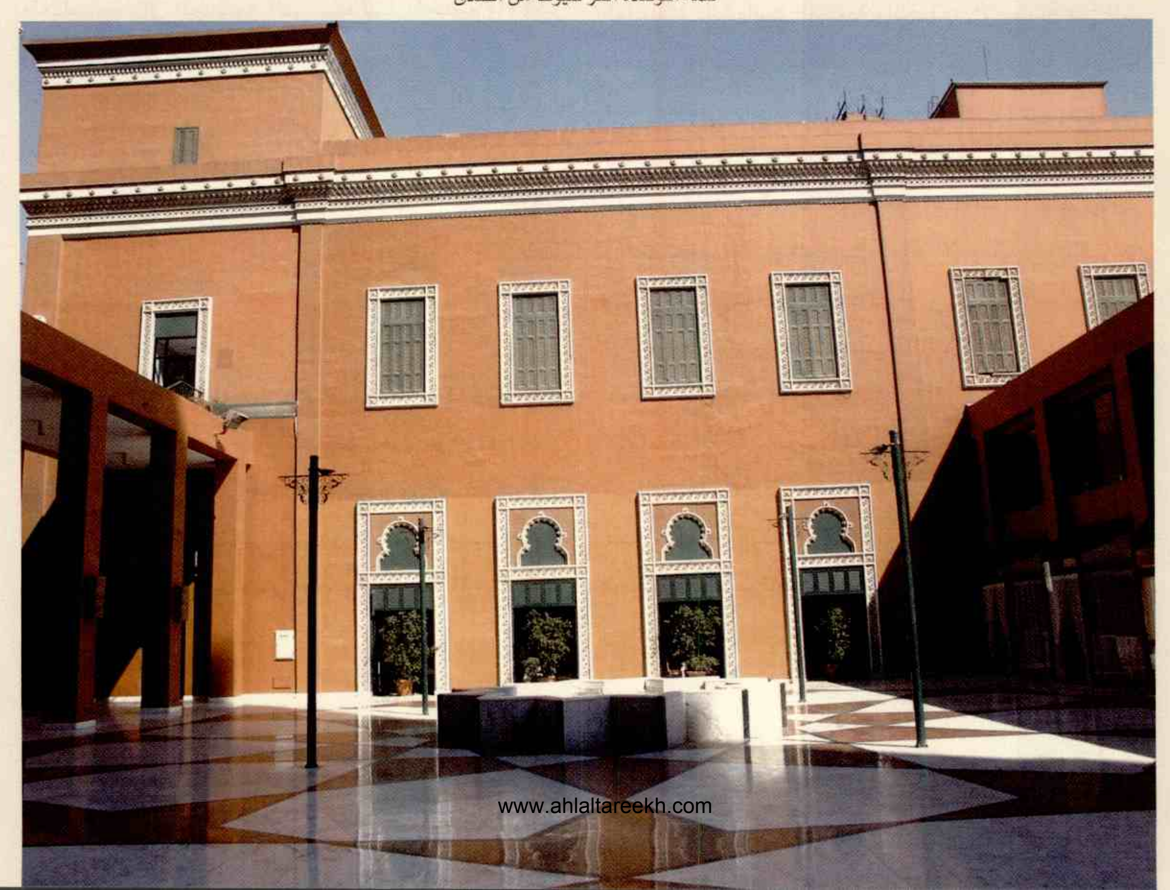
إن تنافذ الحضارة ضرورة حتمية، ومعنى التنافذ ـ كما قال الفيروز آبادي: النفاذ جواز الشيء والخلوص منه، ونفذ القوم صار منهم، والوسيط يقول: أنفذ القوم خرقهم ومشى وسطهم، لهذا فاللغات والثقافات والحضارات المختلفة لا يمكن إلا أن تتأثر بالعالم وما فيه من تطور وتجديد. بيد أن الأمم العريقة في حضارتها، الواعية بالثوابت الفكرية والجذور الأصلية هي التي تحتوي الجديد، وتحافظ على أصالتها، ومتانة جذورها، فقد استعمرت الدول الأوربية الوطن العربي، ونشرت لغاتها، ورعت المتكلمين بها بعناية كبيرة، لكن اللغة العربية بقيت حية، ولم تندثر كما اندثرت لغات كثيرة.

ثم جاء العصر الحديث ومعه الاستثمار والاقتصاد وبراعة الآلات وقوة الشركات إلى بلادنا واحتاجت إلى أيدٍ عاملة، وإدارة فاعلة لهذه الشركات، وكان شبابنا بحاجة إلى العمل فيها فسارعوا إلى تعلم اللغة الأجنبية للاستفادة من فرص العمل المتاحة التي تفرضها متطلبات العمل فيها بعد أن سيطرت الرأسمالية بقوة على السوق، ولست ضد تعلم اللغات الأجنبية، وقد درسناها وعايشناها واحتويناها دون أن نبهر بتطورها وحياتها المادية؛ لأننا تعلمناها بعد أن استوت لغتنا على

www.ahlaltareekh.com

سوقها وقويت الثوابت بجذورها في عقولنا. إن بعض الدول تحافظ على لغتها وتسن القوانين لمنع استعمال غير لغتها، ومنها فرنسا، فوزير الثقافة الفرنسي جاك توبون والدولة الفرنسية حذرا وسائل الإعلام من استعمال غير الفرنسية ووضعا غرامات لمن لا يتقيد بهذا الأمر، والعرب عاكفون على ترجيح اللغة الأجنبية. فالمرأة لا ترضى أن تقول إنها ذهبت إلى الحلاق أو المزين، وتقول: إنها ذهبت إلى (الكوافير)، إنه شعور بالنقص واستعلاء على اللغة. إن الأمة الحية المعتزة بنفسها تستعمل لغتها، فقد قيض لي أن أجلس مع شون لاي رئيس وزراء الصين في بكين، وكان يتحدث معي باللغة الصينية: فقلت له: يا سيادة الرئيس، أنت تعرف الفرنسية والإنجليزية فلماذا لا تتحدث بها؟. فضحك واستمر يحدثني باللغة الصينية، إنه إنسان يحس بمكانة لغته ويعتز بها ويثق بنفسه، وها نحن أولاء اليوم لم نكتف باستعمال اللغات الأجنبية في القضايا التي تفرض علينا الحديث بها، إنما شعور بالنقص نستعملها في حاجات تافهة. ومن الطريف أن أحد العراقيين أراد أن يشعر الجالسين بعلو مكانته، فقال: لقد كنا في لندن نشرب الشاي مع الملِك Milk، لا ضير أن تتحدث باللغة الأجنبية إذا كان الحضور أجانب، ولكن الخطر أن تستعمل هذه اللغة في وسائل الإعلام، وبخاصة إذا أُهملت الكلمات العربية التي تعطي المعنى نفسه، فقد أرى وأسمع في وسائل الإعلام (مرسي وطابور وباي باي وأوكي والمارتون)، وهل هناك أجمل من شكرًا وصَفّ ومع السلامة وحسنًا وسباق الضاحية، وأشد مرارة انتشار

كلمة اللوكندة أكثر شيوعاً من الفندق



www.ahlaltareekh.com

الإنجليزية في لعبة كرة القدم، فالزاوية كورنر والهدف كول (جول) والمباراة ماتش وغيرها مما نعرف، ولعل الغريب أننا نستعمل كلمة (كيبل) للسلك، وهي كلمة عربية أصلها الحبل، وقد أراد أهل العراق تعريبها، فقالوا: (قابلو) وجمعها قابلوات مع أن الأسلاك أجمل وأخف، ولعل من المؤسف أن تنتشر اللغات الأجنبية في كل مكان، مثل: التلفون الهاتف واليوبيل للعيد والبوسطة للبريد والراديو للمذياع والجورنال للجريدة والأرشيف للسجلات أو الوثائق ولوكندة للفندق والكوبري للجسر. وقد بذل المجمع جهوداً كبيرةً وعرّب مثل هذه الألفاظ. كما استوعبت الفصحى بعض الكلمات الأجنبية، مثل: القرصان والطماطم والأوطة وقفطان وغيرها، وقد أحصاها الزميل الفاضل الدكتور السيد في البحوث التي يقدمها كل سنة في المؤتمرات عندما درس العامية الموجودة في الوسيط.

ولكن الظاهرة المؤسفة والمؤلمة كتابة الأسماء الأجنبية والعناوين الغربية بالحروف العربية، فقد سألني سائل قائلاً: ما معنى (استرن بك ليمتد بصره)؟ ولمّا سألته أين وجد هذه العبارة؟ قال: على المصرف، فقد وضع اسمه بالإنجليزية ورسمه بالحرف العربي، فقلت له: إنه (استرن بنك ليمتد ـ بصرة) Eastern Bank Limited - basra

وقد انتشرت هذه الأيام في جميع أنحاء الوطن العربي فهو يضع المضاف إليه قبل المضاف في أسماء الفنادق الغربية وهو يكتبها باللغة العربية.

أخيراً إن الجهود التي تبذلها المجامع العربية وما يبذله مجمع اللغة العربية في القاهرة بكل إخلاص برئاسته ولجانه وموظفيه تهدر؛ لأنها لا تعمم على الناس، ولا تخرج إلى حيّز التنفيذ لقلة الموارد المالية، فمن الضروري أن ترسل هذه الأبحاث والتوصيات إلى جميع أنحاء الوطن العربي وآلاف الناس، ولكن القدرة المالية المحدودة لا تقدر على إرسالها حتى للأعضاء، وتلك عوائق ليست سهلة يعانيها منها كل المجامع في الوطن العربي، ولهذا تحفظ في الأدراج ولعدد محدود، بذلك تكون فائدتها محدودة الأثر.

المراجع والهوامش

١. موجود في دار الكتب المصرية (١٠) طب ألقيت عنه بحثًا في الدورة التاسعة والستين ٢٤ مارس ٢٠٠٣م.

٢. تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عهد محمد علي لجمال الدين الشيال.

٣. الحيزبون: العجوز، الدردبيس: الداهي، الشيخ، الطخا: السحاب المرتفع، النقاح: الماء البارد.

- البارودي رائد الشعر الحديث: شوقي ضيف
- تاريخ الترجمة والحركة الفكرية في عهد محمد علي: جمال الدين الشيال
- الحركة الفكرية في العراق: يوسف عز الدين.
- ديوان حافظ إبراهيم.
- ديوان الحلي: صفي الدين.
- ديوان الرصافي: معروف عبدالغني.
- ديوان الطباطبائي: إبراهيم.
- ديوان شوقي (الشوقيات): أحمد شوقي.
- غرائب الاغتراب: أبو الثناء الآلوسي.

فصول في الأدب العربي الحديث والنقد: يوسف عزالدين.

الفصحى في مواجهة التحديات: نذير محمود كتبي.

معجم (أنيس المشرحين): خليفة عبد اللطيف.

الدوريات:

جريدة الأهرام.

روضة المدارس.

جريدة الزوراء.

يعسوب الطب.

البحوث:

العامي والفصيح في المعجم الوسيط: أ. د أمين علي السيد ـ الدورة ٦٩ من المجمع.

www.ahlaltareekh.com



الأسر العلمية .. ظاهرة فريدة في الحضارة الإسلامية

خالد حربي

الإسكندرية ـ مصر

شهد تاريخ العلم العربي عددًا من الجماعات العلمية التي يرتبط أفرادها ـ قبل الاشتغال بالعلم ـ بعلاقات دم أو قرابة. وربما كانت هذه العلاقات أحد الأسباب التي ساعدت على نبوغ هذه الجماعة أو تلك في المجال العلمي، ففي كثير من الأحيان يجد الفرد داخل إطار أسرته المناخ المناسب للعمل العلمي، والعكس صحيح.

وتعد مثل هذه الجماعات العلمية ظاهرة فريدة تكاد تنفرد بها الحضارة العربية الإسلامية بين سائر الحضارات، ومن أمثلة هذا النوع من الجماعات: جماعة بختيشوع التي نبغ أفرادها في علم الطب إلى درجة أنهم خدموا به الخلفاء ابتداءً من الجد الأكبر بختيشوع، ومرورًا ببعض الأولاد والأحفاد (جورجيس، بختيشوع، جبرائيل). فضلاً عن إسهامهم في حركة النقل والترجمة.

وهذا يذكرنا أيضًا بجماعة حنين بن إسحق التي ضمت ابنه إسحق، وابن أخته حبيش بن الأعسم، واشتهرت في مجال الترجمة، واتسعت هذه الجماعة لتضم مدرسة علمية متكاملة جاء مجال اهتمامها موجهًا إلى موضوعات أساسية في التوجه العلمي. واشتغلت في المجال نفسه، جماعة ثابت بن قرة، التي ضمت ابنه أبا سعيد سنان، إلى جانب أفراد آخرين من خارج «الأسرة الدموية» ومنهم عيسى بن أُسيد النصراني.

وهناك أيضًا جماعة بني موسى بن شاكر التي نبغت في الفلك والهندسة والحيل «الميكانيكا»

www.ahlaltareekh.com



والمساحة والفيزياء، وكان قوامها الأبناء الثلاثة (محمد، أحمد، الحسن) لموسى بن شاكر الأب الذي لم يعمل مع هذه الجماعة العلمية؛ لأنه توفي وهم أطفال صغار (١).

وفي عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس نبغت جماعة أو عائلة بن زُهر في المجال الطبي. ويمثل الحديث في هذه الجماعة أو العائلة موضوع هذه الدراسة التي تحاول أن تجيب عن بعض التساؤلات التي تطرحها، وهي:

كيف تعلمت هذه الجماعة؟ وما المقدمات المعرفية التي انطلقت منها؟

وما العلوم التي برعت فيها؟ وهل أتت بإنجازات علمية جديدة أثرت في الأجيال اللاحقة، وتاريخ الطب العربي والعالمي؟ أسئلة جوهرية ومنهجية تحاول هذه الدراسة الإجابة عنها.

أولاً: المقدمات المعرفية في تحديد فكر بني زُهر

بدأ ظهور عائلة بني زُهر في الأندلس منذ القرن

www.ahlaltareekh.com

الخامس الهجري، وامتد إلى نهاية القرن السادس الهجري، وخلال هذين القرنين عاشت الأندلس، وبصفة خاصة قرطبة طوراً طبياً مزدهراً شغل مكاناً مرموقاً في تاريخ الطب العربي، والعالمي.

وقبل أن ندخل في تفاصيل هذا الطور الطبي، أو بالأحرى إنجازات عائلة بني زُهر الطبية والعلاجية، علينا أن نتساءل عن المقدمات والأسس المعرفية الطبية التي حددت فكر هذه العائلة.

الحقيقة أن عائلة بني زُهر قد اطلعت على التراث الطبي العربي السابق عليها، والذي يمثله أئمة أطباء العرب والمسلمين، مثل الرازي، وابن سينا، وابن رشد، وعلي بن العباس، والزهراوي .... وغيرهم، تعرضت العائلة لكتابات ومؤلفات هؤلاء بالدرس والاستيعاب والتحليل، والتفسير والتبسيط، وهذا ما أدى بأفراد هذه العائلة إلى التأليف والابتكار فيما بعد.

مارس الحفيد أبو بكر العمل العلمي الجماعي، واستطاع أن يكون جماعة علمية، ضمت معه أخته، وبنت أخته اللتين أظهرتا نبوغاً في الطب وممارسته، وخاصة فيما يتعلق "بطب النساء" لدرجة أن الخليفة المنصور قد اختصهما بتطبيب نسائه

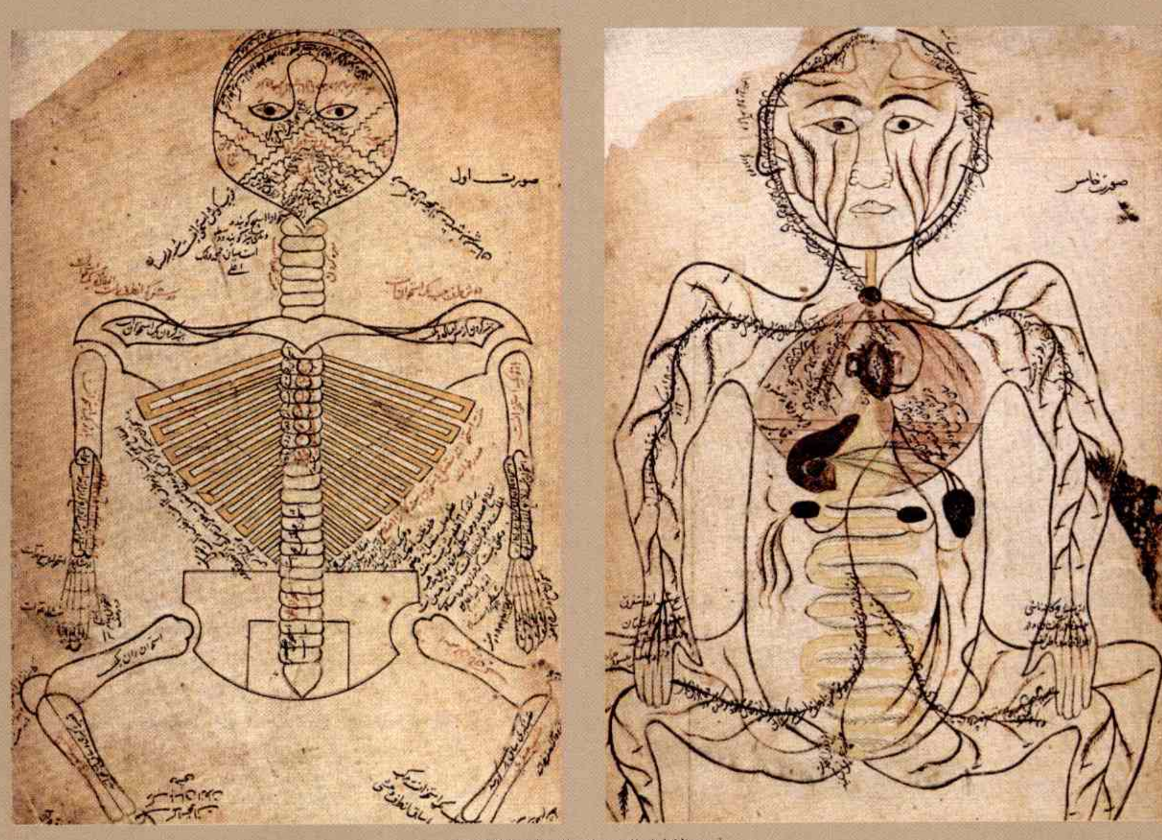
اطلعت العائلة على تراث أعظم أطباء العصور الوسطى قاطبة وأقصد به، أبابكر محمد بن زكريا الرازي (٢٥٠-٣١٣هـ/٨٦٤ - ٩٢٥م)، فوجدت في كتبه ومخطوطاته - وأهمها وأكبرها حجماً «الحاوي» - أنه أول من وصف مرض الجدري والحصبة، وأول من ابتكر خيوط الجراحة المسماة «بالقصاب»، وتنسب إليه عملية خياطة الجروح البطنية بأوتار العود، ويعدّ

تراث علمي ضخم تركه العلماء المسلمون



مع مرور الوقت في الاهتمام بالعلم والدرس والممارسة العملية، صار أبو محمد ابن الحفيد ماهراً في علم الطب، وهذا ما انعكس على شهرته العلمية في كل بلاد الأندلس، كمتمكن من الصنعة، مما حدا بالخليفة الناصر أن يقربه إليه، ويجعله مكان أبيه الحفيد

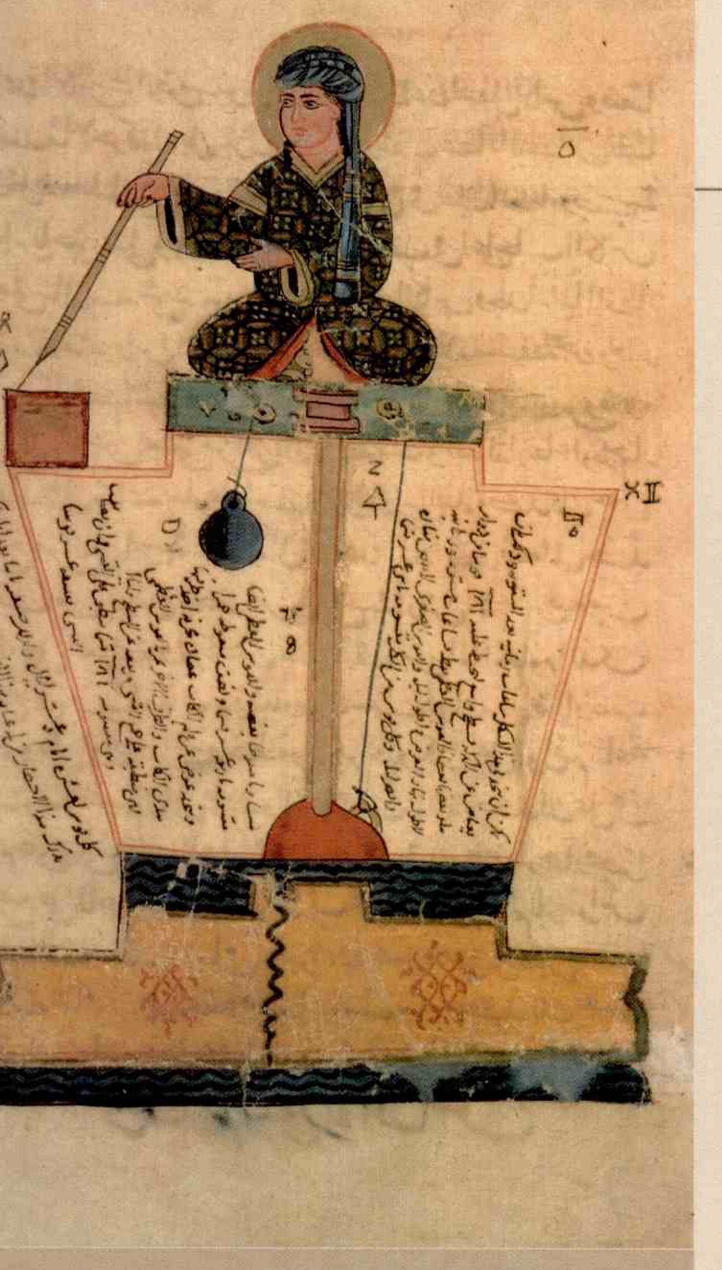
www.ahlaltareekh.com


أبدع الاطباء العرب في الجراحة والتشريح

الرازي أول من اهتم بالجراحة كفرع من الطب قائم بذاته، ففي «الحاوي» وصف لعمليات جراحية لا تكاد تختلف عن وصف مثيلتها في العصر الحديث. وهو أيضًا أول من وصف عملية استخراج الماء من العيون، واستعمل في علاج العيون حبات «الإسفيداج»، ونصح الرازي بضرورة بناء المستشفى بعيدًا عن أماكن تعفن المواد العضوية.

كما كشف الرازي طرائق جديدة في العلاج، فهو أول من استعمل الأنابيب التي يمر فيها الصديد والقيح والإفرازات السامة. كما استطاع أن يميز بين النزيف الشرياني والنزيف الوريدي، واستعمل الضغط بالإصبع وبالرباط في حالة النزيف الشرياني. واستخدم الرازي طريقة التبخير في العلاج، كما أسهم في مجال التشخيص بقواعد لها أهميتها حتى الآن، منها: المراقبة المستمرة للمريض، والاختبار العلاجي، وهو أن يُعطى العليل علاجًا مراقبًا أثره، وموجهًا للتشخيص وفقًا لهذا الأثر. ومنها أهمية استجواب المريض ودقته، ولقد اعتمدت نظرية الرازي الأساسية في التشخيص على التساؤل عن الفرق بين الأمراض. فمن الإسهامات الأصيلة التي قدمها

www.ahlaltareekh.com


تعددت مجالات إبداع المسلمين وتنوعت بشكل كبير

الرازي للطب تفرقته بين الأمراض المتشابهة الأغراض، وهذا ما يطلق عليه الآن التشخيص التفريقي Diff Diagnosis، الذي يعتمد على علم الطبيب وخبرته، وطول ممارسته، وذكائه، وقوة ملاحظته. وقد توافر كل ذلك في الرازي (٢) وبالجملة قدم الرازي إسهامات طبية وعلاجية رائدة عملت على تقدم علم الطب في العصور اللاحقة عليه، وفي العصر الحديث. ومن اللاحقين الذين تأثرو به عائلة بني زُهر موضوع البحث.

واطلعت العائلة على تراث علي بن العباس المجوسي (ت٣٨٤ هـ/٩٤٤م) صاحب «كتاب كامل الصناعة» الذي اشتهر في اللاتينية «بالكتاب الملكي». والكتاب من أهم كتب الطب وأشهرها التي ظهرت في القرن الرابع الهجري، وضعه علي بن العباس موسعًا بعشرين مقالة في علوم الطب النظرية والعملية، وبوّبه تبويبًا حسنًا، فجاء أفضل من كتاب المنصوري للرازي، الكتاب المدرسي المعتمد آنذاك. وقد لزم طلاب العلم درس الكتاب حتى ظهور «القانون» لابن سينا، و«الملكي في العمل أبلغ، والقانون في العلم أثبت» (٣).

وتحتوي مقالات الكتاب العشرين على أبحاث وفصول مهمة في الجراحة والتشريح، والعلاجات، والأمور الطبيعية والبيئية، وأثر الأدوية وتأثيراتها، نباتية كانت أم معدنية، بالإضافة إلى أثر السموم في القوى الطبيعية المدبرة للبدن. وفي قسم التشريح نرى علي بن العباس يقدم تعريفًا دقيقًا ووصفًا صائبًا لكل من الأوردة والشرايين، ووظائف القلب والتنفس، والجهاز الهضمي، إلى جانب وصف للحواس وكيفية تأدية وظائفها، كما أشار إلى أهمية ممارسة الرياضة من حيث إنها تنتج حصانة الجسم عن طريق تقوية الأعضاء وصلابتها (٤).

والكتاب يوضح بشكل جلّي أن الأطباء العرب قد حددوا قوى الأدوية بثلاث، ذكرها المجوسي في كتابه، وأصبحت مرجعًا للأطباء اللاحقين، وهي (٥):

- القوى الأولى، وهي الأمزجة.
- القوى الثانية، وتحدث عن المزاج، وهي: المنضجة، واللينة، والمصلبة، والمسددة، والفتاحة، والجلابة، والمكثفة، والمفتحة لأفواه العروق، والناقصة للحم،

www.ahlaltareekh.com

والجاذبة، والمسكنة للوجع.

- القوى الثالثة، وهي: المفتتة للحصى، والمدرة للبول، والطمث والمعينة على نفث ما في الصدر، والمولدة للمني واللبن. ومن أراد معرفة ذلك، فينبغي أن يكون عارفًا بالقوانين التي بها يمتحن كل واحد من الأدوية المفردة، ويستدل على مزاجه وقوته، ومنفعته في البدن.

واعتمد علي بن العباس في ممارسته الطبية على تقديم الصحة، وعدّ الوقاية خيرًا من العلاج، وأن الطبيعة لا تقل مقدرة على إصلاح البدن من الطبيب، كما أن القوة الجسدية ضرورية للمريض. وهو يعدّ أول من قال بصعوبة شفاء المريض بالسل الرئوي، وذلك بسبب حركة الرئة، وعلى أساس أن العضو المريض يحتاج إلى السكون، الذي لا يتوافر في الرئة الدائمة الحركة بفعل التنفس.

من كل ما سبق يتبين لنا أهمية كتاب «كامل الصناعة» لعلي بن العباس، ومدى أثره في العصور اللاحقة، فقد تأثر به الأطباء اللاحقون في العصور المختلفة، وامتد هذا الأثر إلى الغرب في بداية العصور الحديثة. فقد كان هذا الكتاب من الكتب الدراسية الأساسية في كليات الطب الأوروبية إلى جانب كتاب «الحاوي» للرازي، و«القانون» لابن سينا، و«التصريف» لأبي القاسم الزهراوي، و«التيسير» لابن زُهر حتى القرن السادس عشر. وتجدر الإشارة إلى أن قسطنطين الإفريقي (ت١٠٨٧م) «اللص الوقح» - هكذا يدعى في تاريخ العلم - ترجم كتاب «كامل الصناعة» إلى اللغة اللاتينية ونشره باسمه، وبقي الكتاب يُدرس على طلاب الطب الأوربيين حتى عام ١١٢٧م، حين ظهرت ترجمة أخرى للكتاب، قام بها «إلياس أصطفيان الأنطاكي» ذكر فيها اسم مؤلف الكتاب الحقيقي علي بن العباس.

واطلعت العائلة على تراث الزهراوي أبي القاسم خلف بن العباس ت ٤٠٤هـ/١٠١٣م أكبر جراحي العرب، ومن كبار الجراحين العالميين، ومن أساطين الطب في الأندلس. ولد في الزهراء بقرطبة، ولمع في أواخر القرن الرابع، وبداية القرن الخامس الهجريين. «كان طبيبًا فاضلاً خبيرًا بالأدوية المفردة والمركبة، جيد العلاج. وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب، وأفضلها كتابه

مخطوطة توضح غنى التراث العربي الطبي



www.ahlaltareekh.com

الكبير المعروف بالزهراوي، وكتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» وهو أكبر تصانيفه وأشهرها، وهو كتاب تام في معناه» (٦). والكتاب ينقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم طبي، وثان صيدلاني، وثالث جراحي؛ وهو أهمها، لأن الزهراوي أقام به الجراحة علمًا مستقلاً بعد أن كانت تسمى عند العرب (صناعة اليد)، يقول الزهراوي: «لما أكملت لكم يا بني هذا الكتاب الذي هو جزء العلم في الطب بكماله، بلغت فيه من وضوحه وبيانه، رأيت أن أكمله لكم بهذه المقالة، التي هي جزء العمل باليد؛ لأن العمل باليد محسة في بلادنا، وفي زماننا، معدوم ألبتة حتى كاد أن يندرس علمه، وينقطع أثره .. ولأن صناعة الطب طويلة، فينبغي لصاحبها أن يرتاض قبل ذلك في علم التشريح» (٧)، وعلى ذلك نرى الزهراوي في هذا الكتاب يعلم تلاميذه كيفية خياطة الجروح من الداخل بحيث لا تترك أثرًا في الخارج، وذلك عن طريق استعماله لإبرتين وخيط واحد مثبت بهما، كما استعمل خيوط مأخوذة من أمعاء القطط في جراحة الأمعاء.

ويعدّ الزهراوي، أول من ربط الشرايين، وأول من وصف النزيف واستعداد بعض الأجسام له (هيموفيليا)، وأول من أجرى عملية استئصال حصى المثانة في النساء عن طريق المهبل، واكتشف مرآة خاصة بالمهبل، وآلة لتوسيع باب الرحم للعمليات، وأجرى عملية تفتيت الحصاة في المثانة، وبحث في التهاب المفاصل (٨).

والزهراوي هو أول من نجح في عملية شق القصبة الهوائية Trachomi، وقد أجرى هذه العملية على خادمة. كما نجح في إيقاف نزيف الدم بربط الشرايين الكبيرة، وهذا فتح علمي كبير ادّعى تحقيقه لأول مرة الجراح الفرنسي الشهير إمبرواز باري Ambrois Pare عام ١٥٥٢م، على حين أن الزهراوي قد حققه وعلّمه تلاميذه قبل ذلك بستمئة سنة (٩).

وإذا كانت الأبحاث الطبية الحديثة قد أثبتت أن «مادة الصفراء تساعد على إيقاف تكاثر البكتريا، فإن

www.ahlaltareekh.com

من المثيـــر أن يؤدي تضلع ابن زُهر من علم الطب إلى عدم إعجابه بكتاب "القانون في الطب" لابن سينا، بل وينزله منزل الاستهزاء بأن جعله يقطع من طرره (حاشيته) ما يكتب فيه نسخ الأدوية لمن يستفتيه من المرضى

الزهراوي قد توصل إلى ذلك في زمانه، فكان يعقم ويطهر الآلات المستعملة في العمليات الجراحية بنقعها في الصفراء؟ ويأتي اهتمام الزهراوي بتعقيم الآلات وتطهيرها من كثرة استعمالها في التشريح، موضع اهتمامه الرئيس، يدلنا على ذلك كتابه «التصريف لمن عجز عن التأليف» الذي يتبين منه أنه شرح الجثث بنفسه، وقدم وصفًا دقيقًا لإجراء العمليات الجراحية المختلفة.

وقد أوصى طبيبنا في جميع العمليات الجراحية التي تُجرى في النصف السفلي من الإنسان بأن يُرفع الحوض والأرجل قبل كل شيء. وهذه طريقة اقتبستها أوربا مباشرة عنه، واستعملتها كثيرًا حتى قرننا هذا،

دخل أبو مروان بن أبي العلاء بن زُهر في صلات علمية مع الفيلسوف والطبيب الكبير ابنرشد الذي أثنى على ابن زُهر وتفوقه الطبي.فألف له ابن زُهر كتابه الأشهر "التيسير في المداواة والتدبير"

ولكنها نُحلت - زورًا وبهتانًا - للجراح الألماني ترندلنبورغ Frederich Trendlenburg، وعُرفت باسمه دونما ذكر للجراح العربي العظيم. وقبل برسيفال بوت Percival Poot بسبعمئة عام عُني الزهراوي أيضًا بالتهاب المفاصل وبالسل الذي يصيب فقرات الظهر والذي سمي فيما بعد باسم الطبيب الإنجليزي بوت، فقيل (الداء البوتي) (١٠).

ومع ذلك لم يستطع الأوربيون إغفال الدور الريادي للزهراوي في علم الجراحة - فضلاً عن نبوغه في أمراض العين، والأنف والأذن والحنجرة، وأمراض المسالك البولية والتناسلية -، فأطلقوا عليه لقب «أبو الجراحة».

يُعدّ كل ما سبق بمنزلة المنطلقات الإبستمولوجية أو المعرفية التي انطلقت منها عائلة بني زُهر، وخاصة الأجيال الثلاثة الأولى منها، فلقد اطلع أطباء العائلة على تراث كل من الرازي، وعلي بن العباس، والزهراوي، وكذلك الشيخ الرئيس ابن سينا - الذي تحتاج مجهوداته في الطب العربي إلى بحث مستقل - وتناولوه بالدرس، والفحص والاستيعاب، والنقد في أوجه معينة، وهذا ما ساعدهم كثيرًا على انطلاقاتهم العلمية التي أثمرت ما عُرفوا به في المجال الطبي. أما الجيل الثاني من العائلة، ففضلاً عن وعيه بدرس الأطباء السابقين الذين ذكرناهم فمن المؤكد أن بعض أطباء هذا الجيل قد عاصر الفيلسوف والطبيب العربي الكبير ابن رشد (٥٢٠- ٥٩٥هـ/١١٢٦- ١١٩٨م)، بل وألف له بعضهم على ما نرى لاحقًا.

ثانيًا: بنية العائلة العلمية (أجيال العلماء)

. أبو مروان بن زُهر:

نشأ رأس هذه العائلة الطبية الممتدة، أبو مروان

www.ahlaltareekh.com

عبدالملك بن الفقيه محمد بن مروان بن زُهر الإشبيلي في بيت علم، فوالده محمد كان من جملة الفقهاء والمتميزين في علم الحديث بإشبيلية. وهذا الأمر كان له أثره - دون شك - في إقبال الابن على التحصيل والدرس، فنهل من الطب بمقدار ما نهل أبوه من الفقه. وكما كان الأب قديرًا في الحديث والفقه، صار الابن فاضلاً في صناعة الطب، خبيرًا بأعمالها، مشهورًا بالحذق.

تنقل أبو مروان بن زُهر بين بلدان المشرق، وخاصة القيروان ومصر التي تطبب بها زمنًا طويلاً، «ثم رجع إلى الأندلس وقصد مدينة «دانية» فأكرمه ملكها إكرامًا كثيرًا، وأمره أن يقيم عنده ففعل، وحظي في أيامه، واشتهر في دانية بالتقدم في صناعة الطب، وطار ذكره منها إلى أقطار الأندلس» (١١). وكانت إشبيلية محط أنظار القاصي والداني آنذاك، فانتقل إليها، ولم يزل بها إلى أن توفاه الله.

- أبو العلاء بن زُهر:

هو أبو العلاء زُهر بن أبي مروان عبدالملك بن محمد بن مروان، تعلم وتطبب على أبيه أبي مروان، وعلى أبي العيناء المصري. وعند البحث في أبي العلاء، نرى قاعدة التواصل العلمي بين أجيال العلماء تتحقق بصورة واضحة، وبصورة أكثر وضوحًا إذا انحسرت هذه القاعدة بين أجيال ترتبط برباط الدم. فكان تعلم أبي العلاء بن زُهر على أبيه، بالإضافة إلى شيخه المذكور، بمنزلة قاعدة معرفية قوية، انطلق منها إلى النبوغ المبكر.

يقول ابن حزم في كتابه «المغرب عن محاسن أهل المغرب»: «إن أبا العلاء بن زُهر كان مع صغر سنه تصرخ النجابة بذكره، وتخطب المعارف بشكره. ولم يزل يطالع كتب الأوائل متفهمًا، ويلقى الشيوخ مستعلمًا، والسعد ينهج له مناهج التيسير، والقدر لا يرضى له من الوجاهة باليسير، حتى برز في الطب إلى غاية عجز الطب عن مرامها، وضعف الفهم عن إبرامها، وخرجت عن قانون الصناعة إلى ضروب من الشناعة، يخبر فيصيب، ويضرب في كل ما ينتحله من التعاليم بأوفى نصيب، ويغبر في وجوه الفضلاء علمًا ومحتدًا، ويفوق الجلة سماحة وندى» (١٢).

يوضّح هذا النص مدى الحد الذي وصل إليه أبو العلاء بن زُهر في الطب وضروبه، فقد أظهر تفوقًا ونبوغًا، وذلك يرجع - كما يشير النص - إلى شراهته ونهمه في التحصيل والممارسة و«يضرب في كل ما ينتحله من التعاليم بأوفى نصيب».

ومن المثير أن يؤدي تضلع ابن زُهر من علم الطب إلى عدم إعجابه بكتاب «القانون في الطب» لابن سينا، بل وينزله منزل الاستهزاء بأن جعل يقطع من طرره (حاشيته) ما يكتب فيه نسخ الأدوية لمن يستفتيه من المرضى. وهنا يكون ابن زُهر قد خرج عن مبادئ الأخلاق العلمية التي لا تسمح بمثل هذه الأفعال الشائنة على الإطلاق. فقانون ابن سينا له قيمته العلمية منذ زمانه حتى الآن. وما فعله ابن زُهر يشير إلى أن الكتاب ليس له أي قيمة، وهذا خطأ تاريخي

لم يستطع الأوربيون إغفال الدور الريادي للزهراوي في علم الجراحة - فضلاً عن نبوغه في أمراض العين، والأنف والأذن والحنجرة، وأمراض المسالك البولية والتناسلية - فأطلقوا عليه لقب "أبو الجراحة"

www.ahlaltareekh.com

فادحٌ وقع فيه ابن زُهر من دون أي مسوغ منه، ولو كان محقًا فيما ادعاه، لكان أولى به أن يصنف كتابًا في الرد على ابن سينا مثلما صنف مقاله في الرد على مواضع من كتابه «الأدوية المفردة»، ومثلما وضع كتاب «الإيضاح بشواهد الافتضاح» في الرد على ابن رضوان فيما رده على حنين ابن إسحق في كتاب «المدخل إلى الطب».

ومع ذلك فإن هذه الجانب الأخلاقي «الشخصي» عند أبي العلاء بن زُهر، وقد عُرف ببذاءة اللسان، لا يمكن أن يقلل من قيمته العلمية في زمانه، وفي العصور اللاحقة فقد أثرى الحركة الطبية العربية في الأندلس، كما أثر في الأجيال اللاحقة، وأفاد تاريخ الطب بما قدمه من إنجازات، وما تركه من مؤلفات، أهمها بخلاف ما ذُكر: كتاب «الخواص»، و«كتاب الأدوية المفردة»، و«كتاب حل شكوك الرازي على كتب جالينوس»، مقالة في بسطه لرسالة يعقوب بن إسحق الكندي في تركيب الأدوية.

. أبو مروان بن أبي العلاء بن زُهر (ت٥٥٧هـ/١١٦١م):

لحق بأبيه في صناعة الطب والدرس والتعلم عليه، سائرًا في الاتجاه العام نفسه للعائلة ككل، متأثرًا بمن سبقه، ومحافظًا على التقاليد العلمية نفسها، فصار جيد الاستقصاء في الأدوية المفردة والمركبة، حسن المعالجة، ومع مرور الوقت في التمرس بالصنعة، صار أوحد زمانه، ولم يوجد من يماثله في مزاولة أعمال الطب وخاصة تجاربه الكثيرة في تأتيه لمعرفة الأمراض ومداواتها مما لم يسبقه أحد من الأطباء إلى مثل ذلك.

خدم ملوك دولة الملثّمين في الأندلس، ونال من جهتهم من النعم شيئًا كثيرًا. واختصه عبدالمؤمن مؤسس سلالة الموحدين في المغرب، كما استقل بالمملكة، وعُرف بأمير المؤمنين، وأظهر العدل، وقرّب أهل العلم وأكرمهم، ووالى إحسانه إليهم، واختص أبا مروان عبدالملك بن زُهر لنفسه، وجعل اعتماده عليه في الطب وكان مكينًا عنده، عالي القدر، وألف له الترياق السبعيني، واختصره عشاريًا، واختصره سباعيًا. ويُعرف بترياق الأنتلة (١٣).

دخل أبو مروان بن أبي العلاء بن زُهر في صلات علمية مع الفيلسوف والطبيب الكبير ابن رشد الذي أثنى على ابن زُهر وتفوقه الطبي، فألف له ابن زُهر كتابه الأشهر «التيسير في المداواة والتدبير»، ويبدو أن ابن رشد قد أمره بذلك على ما يذكر ابن زُهر نفسه من «إنه مأمور في تأليفه» (١٤). وقد أدت أهمية موضوعات الكتاب بابن رشد إلى أن يصرح في كتاب «الكليات» بأن أعظم طبيب بعد جالينوس هو ابن زُهر صاحب كتاب «التيسير». فقد كانت له معالجات مختارة تدل على قوته في صناعة الطب، وله نوادر في تشخيص الأمراض ومعرفة آلام المرضى دون أن يسألهم عن أوجاعهم، إذ كان يقتصر أحيانًا على فحص أحداق عيونهم، أو على جس نبضهم، أو على النظر إلى قواريرهم (١٥).

وقد تميز ابن زُهر بابتكار أساليب علاجية غير

نشأ رأس هذه العائلة الطبية الممتدة، أبو مروان عبدالملك بن الفقيه محمد بن مروان بن زُهر الإشبيلي في بيت علم. فوالده محمد كان من جملة الفقهاء والمتميزين في علم الحديث بإشبيلية. وهذا الأمر كان له أثره ــ دون شك ــ في إقبال الابن على التحصيل والدرس

www.ahlaltareekh.com



www.ahlaltareekh.com

مألوفة وخاصة مع الأدوية التي لا يستسيغها بعض المرضى، يذكر ابن أبي أصيبعة (١٦) أن الخليفة عبدالمؤمن احتاج إلى شرب دواء مسهل، وكان يكره شرب الأدوية المسهلة، فتلطف له ابن زُهر في ذلك، وأتى إلى كرمة في بستانه فجعل الماء الذي يسقيها به قد أكسبه قوة أدوية مسهلة، بنقعها فيه، أو بغليانها معه، ولما تشربت الكرمة قوة الأدوية المسهلة التي أرادها، وطلع فيها العنب، وله تلك القوة، أحم الخليفة فأتاه ابن زُهر بعنقود منها وأشار عليه أن يأكل منها فأكل عشر حبات، فوجد الراحة، واستحسن من ابن زُهر هذا الفعل، وتزايدت منزلته عنده.

تشير هذه الحالة بوجه من الوجوه إلى المنهج العلاجي الغذائي الذي اتبعه أبو مروان بن زُهر، فقد اعتمد هذا المنهج جُلّ اعتماده على الغذاء، وكان يفضل - متأثرًا بالرازي - الاعتماد أولاً على الغذاء في المعالجات قبل الأدوية المفردة. وقد ضمن أبو مروان بن زُهر منهجه العلاجي هذا في ثاني أهم كتبه، وهو كتاب «الأغذية» الذي كان له أثر قوي في تقدم الفن العلاجي في العصور اللاحقة. هذا بالإضافة إلى مؤلفاته الأخرى، التي لا تقل أهمية عن «التيسير» و«الأغذية»، وإن كانت أقل شهرة، وهي: مقالة في علل

يعدّ الزهراوي أول من ربط الشرايين، وأول من وصف النزيف واستعداد بعض الأجسام له (هيموفيليا). وأول من أجرى عملية استئصال حصى المثانة في النساء عن طريق المهبل، واكتشف مرآة خاصة بالمهبل، وآلة لتوسيع باب الرحم للعمليات

اطلعت العائلة على تراث علي بن العباس المجوسي (ت٣٨٤ هـ/٩٤٤م) صاحب "كتاب كامل الصناعة" الذي اشتهر في اللاتينية "بالكتاب الملكي". والكتاب من أهم كتب الطب وأشهرها التي ظهرت في القرن الرابع الهجري

الكُلى، كتاب الزينة، وهو عبارة عن تذكرة إلى ولده أبي بكر في أمر الدواء المسهل وكيفية أخذه، رسالة كتب بها إلى بعض الأطباء بإشبيلية في علق البرص والبهق، كتاب تذكرة، وضعه لابنه أبي بكر في بداية تعلقه بعلاج الأمراض.

وترجع أهمية كل هذه المؤلفات إلى ما ضمنه فيها صاحبها من إنجازات، فهو أول من قدم وصفًا سريريًا - متأثرًا بالرازى - لالتهاب الجلد الخام، وللالتهابات الناشفة والانسكابية لكيس القلب. وهو أول من اكتشف جرثومة الجرب وسماها «صؤابة»، وأول من ابتكر الحقنة الشرجية المغذية، والغذاء الصناعي لمختلف حالات شلل عضلات المعدة، كما يعدّ أول من استعمل أنبوبة مجوفة من القصدير لتغذية المصابين بعسر البلع، وقدم وصفًا كاملاً لسرطان المعدة ... إلى غير ذلك من الإنجازات الطبية والعلاجية التي جعلت صاحبها أشهر أعلام الطب العربي في الأندلس وأكبرهم، وعملت على تطور علم الطب وتقدمه في العصور اللاحقة حتى وصلت إلى الغرب الذي عرفه باسم Avenzoar، وعَدّه أعظم من ابن سينا، ولا يَعدله في الشرق سوى الرازي، والاثنان قد قدما من المآثر ما أفادت الإنسانية جمعاء.

www.ahlaltareekh.com

. الحفيد أبو بكر بن زُهر (ت٥٩٦هـ/١١٩٩م):

هو أبو بكر محمد بن أبي مروان بن أبي العلاء بن زُهرالإشبيلي، يمثل الجيل الرابع في عائلة ابن زُهر، وبه تتأكد وتستمر التقاليد العلمية في تلك العائلة. إذ ثبت عندهم أن يتعلم الأبناء صناعة الطب على الأباء. وكما تعلم أفراد الأجيال السابقة على آبائهم، نرى الحفيد يتعلم أيضًا على أبيه الصناعة وبشقيها النظري والعلمي، فكان يقرأ عليه الكتب النظرية، ويباشر في الوقت نفسه ممارستها السريرية معه، وتحت إشرافه.

عُرف الحفيد بحبه لفروع أخرى من العلم، وخاصة العلوم الشرعية التي كان ملازمًا لأمورها، وتفوق في دراسة الفقه من بينها، إذ لازم عبد الملك الباجي الفقيه سبع سنين يتعلم ويقرأ عليه كتاب «المدونة» لعبد السلام سخنون في فقه الإمام مالك. كما قرأ عليه أيضًا مسند ابن أبي شيبة. ويبدو أن مثل هذه الدراسات مع متانة دينه جعلته يتقن دراسة علم الطب، ويبرز تفوقًا كبيرًا فيه، حتى صار متفردًا، لم يكن في زمانه أعلم منه في صناعة الطب وما يتعلق بها من فروع. وليس أدل على ذلك من تصدره لخدمة ملوك دولة الملثمين، وملوك دولة الموحدين، هؤلاء الذين شهدوا له بصواب الرأي، وحسن المعالجة، وجودة التدبير.

وهذه الصفات التي توفرت في أبي بكر بن زُهر إنما ترجع إلى أنه كان كثير (التجربة)، وخاصة في إقرار دواء جديد، أو في اختيار ما هو سائد من الأدوية، فالتجربة لديه هي المحك أو المعيار، الذي به يقرر صحة الأدوية من عدمها، حتى لو كان مركب الدواء من أساطين الطب كأبقراط وجالينوس والرازي ... وغيرهم، وحتى لو كان والده الذي تعلم عليه. يذكر ابن أبي أصيبعة(١٧) أن والد الحفيد كان قد كتب يومًا نسخة دواء مسهل لعبدالمؤمن الخليفة، ولما رآه أبوه قال: يا أمير المؤمنين إن الصواب في قوله «وبدل الدواء المفرد بغيره فآثر نفعًا بينًا».

ولأبي بكر الحفيد عدد من المؤلفات والرسائل الطبية، أهمها وأشهرها، كتاب «الترياق الخمسيني» الذي ألفه للمنصور أبي يوسف يعقوب.

يبقى أن أشير إلى جانب مهم من جوانب البحث في الحفيد، وهو أنه قد مارس العمل العلمي الجماعي، واستطاع أن يكون جماعة علمية، ضمت معه أخته، وبنت أخته اللتين أظهرتا نبوغًا في الطب وممارسته، وخاصة فيما يتعلق «بطب النساء» لدرجة أن الخليفة المنصور قد اختصهما بتطبيب نسائه. وكل ذلك بفضل انتمائهما إلى جماعة الحفيد العلمية، تلك التي تميزت بسيادة مبدأ التعاون بين أعضائها، وهو ما انعكس أثره على نشاط الجماعة ككل، واستطاعت أن تأخذ مكانها اللائق في عائلة بني زُهر الطبية «الممتدة» تلك التي تشغل مكانًا رئيسًا في الطب العربي، والعالمي.

. أبو محمد بن الحفيد أبي بكر بن زُهر(ت٦٠٢هـ/١٢٠٥م):

هو أبو محمد عبدالله بن الحفيد أبي بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زُهر، يمثل

بدأ ظهور عائلة بني زُهر في الأندلس منذ القرن الخامس الهجري، وامتد إلى نهاية القرن السادس الهجري، وخلال هذين القرنين عاشت الأندلس، وبصفة خاصة قرطبة، طورًا طبيًا مزدهرًا شغل مكانًا مرموقًا في تاريخ الطب العربي، والعالمي.

www.ahlaltareekh.com

الجيل الخامس من أجيال علماء بني زُهر. ألزمته التقاليد العلمية الخاصة بالعائلة - كما ألزمت أسلافه - أن يتعلم ويشتغل على والده الذي أوقفه على كثير من أسرار علم الصناعة وعملها، فقرأ عليه أمهات كتب الطب النظرية، ومارس معه الجوانب العلمية. ولأهمية علم النبات في المعالجات علمه والده أيضًا هذا العلم، وجعله يحفظ من بين أمهات الكتب النباتية «كتاب النبات» لأبي حنيفة الدينوري، وأتقن معرفته.

ومع مرور الوقت في الاهتمام بالعلم والدرس والممارسة العملية، صار أبو محمد ابن الحفيد ماهرًا في علم الطب، حسن الرأي في أموره النظرية، خبيرًا في ممارساته العلمية، وهذا ما انعكس على شهرته العلمية في كل بلاد الأندلس، كمتمكن من الصنعة، مما حدا بالخليفة الناصر أن يقربه إليه، ويجعله مكان أبيه الحفيد. وبذلك استطاع أبو محمد بن الحفيد أن يكون على قدر مسؤولية انتمائه إلى عائلة بني زُهر العلمية، فلا يستطيع أي باحث في تاريخ العلم أن يؤرخ لعائلة بني زُهر دون ابن الحفيد.

نتائج الدراسة

بعد أن استعرضت كل جوانب الموضوع - من وجهة نظري - عليّ الآن أن أستخلص نتائجه، وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات التي طرحتها في مقدمته. ويمكن بيان ذلك من نقاط محددة فيما يأتي:

- شَكَّلَ التراث الطبي السابق على بني زُهر البنية المعرفية في فكرهم، وكان بمنزلة القاعدة الأساسية التي انطلقوا منها إلى رؤى وأفكار وابتكارات جديدة. فقد رأينا كيف اطلع أطباء بني زُهر، ودرسوا واستوعبوا، ونقدوا في بعض الأحيان، التراث الطبي لأعلام أطباء الحضارة الإسلامية أمثال: الرازي، وعلي بن العباس، والزهراوي، وابن سينا، وابن رشد - المعاصر لبعضهم - .. وغيرهم، فوقفوا على الرازي كحجة للطب في العصور الوسطى قاطبة بفضل ما قدمه من ابتكارات واكتشافات طبية وعلاجية أصيلة سجّل بها تقدمًا وسبقًا للحضارة الإسلامية في المجال الطبي. وقد ذكرت أهم هذه الابتكارات وتلك الاكتشافات كإسهامات طبية وعلاجية رائدة عملت على تطور علم الطب وتقدمه في العصور اللاحقة للرازي، حتى العصر الحديث. وكان من اللاحقين الذين تأثروا به، بنو زُهر.

ورأينا كيف تعرض أطباء بني زُهر بالدرس - وما يتعلق به من عمليات - لتراث علي بن العباس الطبي صاحب كتاب «كامل الصناعة» الذي اشتهر في اللاتينية «بالكتاب الملكي»، وأهم كتب الطب التي ظهرت في القرن الرابع الهجري وأشهرها، وذلك لاحتواء مقالاته العشرين على أبحاث وفصول مهمة في الجراحة والتشريح والعلاجات، وتأثيرات الأدوية، نباتية كانت أم معدنية. وقد وضح الكتاب بشكل جلّي أن الأطباء العرب قد حددوا أقوى الأدوية بثلاثة ذكرها علي بن العباس في كتابه، وأصبحت مرجعًا للأطباء اللاحقين، وخصوصًا بني زُهر. أما الزهراوي،

اطلعت العائلة على تراث أعظم أطباء العصور الوسطى قاطبة أبي بكر محمد بن زكريا الرازي فوجدت في كتبه ومخطوطاته ـ وأهمها وأكبرها حجمًا "الحاوي" ـ أنه أول من وصف مرض الجدري والحصبة، وأول من ابتكر خيوط الجراحة المسماة بالقصاب

---

www.ahlaltareekh.com



التآليف الطبية العربية كانت أساساً للتقدم العربي في ميدان الطب

فوجدنا القوم يتأثرون به كأكبر جراحي العرب والمسلمين، وكخبير بالأدوية المفردة والمركبة، تلك الخبرة وغيرها التي دونها في تصانيفه المشهورة، وأهمها وأفضلها وأكثرها تأثيرًا في بني زُهر كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف»، وأخطر أقسام الكتاب هو الخاص بالجراحة والتشريح، الذي يعرض «علم الجراحة العربية» في أجلى صورها، كما وضعه الزهراوي «أبو الجراحة» كما لقبه الغرب.

تعلم بنو موسى من هذا الكتاب: وصف النزيف، واستعداد بعض الأجسام له، وتعلموا إجراء عملية استئصال حصى المثانة في النساء عن طريق المهبل، وأخذوا عن الزهراوي اكتشافه مرآة خاصة بالمهبل، وآلة لتوسيع باب الرحم للعمليات. كما تعلموا منه عملية شق القصبة الهوائية، ووقف نزيف الدم بربط الشرايين الكبيرة .. إلى غير ذلك من العمليات الطبية والعلاجية التي عرفتها وتعلمتها جماعة بني زُهر من الزهراوي وغيره من أطباء العرب والمسلمين ممن سبق ذكرهم، وشكلت كل هذه المادة العلمية البنية المعرفية التي انطلقت منها.

فرأينا رأس عائلة بني زُهر، وهو أبو مروان بن

www.ahlaltareekh.com

زُهر، يتقن صناعة الطب حتى صار خبيرًا بأعمالها، ومشهورًا بالحذق فيها إلى الدرجة التي معها طار ذكره إلى مختلف أقطار الأندلس، واختصه ملك مدينة «دانثة» وأنزله منزلاً كريمًا.

ورأينا كيف حرص أبو مروان على نقل خبرته إلى ابنه أبي العلاء بن زُهر، فأظهر بذلك تحقق قاعدة التواصل العلمي بين أجيال العلماء بصورة واضحة، وبصورة أكثر وضوحًا إذا انحصرت هذه القاعدة بين أجيال ترتبط برباط الدم. ولذلك أظهر أبو العلاء نبوغًا مبكرًا وصل به فيما بعد إلى درجة التضلع التي معها لم ينل كتاب القانون في الطب لابن سينا استحسانه! وهذا رأي شخصي خاص بأبي العلاء، ولا يمكن أن يقلل من قيمته العلمية في زمانه، وفي العصور اللاحقة، فقد أثرى الحركة الطبية العربية في الأندلس، كما أثر في الأجيال اللاحقة - خاصة من عائلته - وأفاد تاريخ الطب بما قدمه من إنجازات، وما تركه من مؤلفات ذكرتها في أثناء البحث.

واستمرارًا للتواصل العلمي بين أفراد العائلة، رأينا أبا مروان بن أبي العلاء بن زُهر يلحق بأبيه في صناعة الطب دارسًا عليه وممارسًا له، حتى صار أوحد زمانه، ولم يوجد من يماثله في مزاولة أعمال الطب، وخاصة تجاربه الكثيرة في تأتيه لمعرفة الأمراض ومداواتها وليس أدل على ذلك من تأليفه كتابه الأشهب «التيسير في المداواة والتدبير» الذي ألفه بأمر ابن رشد الذي اعترف بأهمية ممارساته وجدّة ابتكاراته الطبية، وجعلته يصرح في كتابه «الكليات» بأن أبا مروان بن زُهر أعظم طبيب بعد جالينوس صاحب كتاب «التيسير» الذي دوّن فيه معالجات مختارة تدل على قوته في صناعة الطب، ونوادره في تشخيص الأمراض ومعرفة آلام المرضى دون أن يسألهم عن أوجاعهم، وذلك بالاقتصار«أحيانًا» على فحص أحداق عيونهم، أو على جسّ نبضهم. هذا فضلاً عن اكتشافاته وابتكاراته التي تُحسب له حتى اليوم، فهو أول من اكتشف جرثومة الجرب وسماها «صؤابة» وأول من اكتشف الحقنة الشرجية المغذية والغذاء الصناعي لمختلف حالات شلل عضلات المعدة. وأول من قدم وصفًا سريريًا لالتهاب الجلد الخام وللالتهابات الناشفة والانسكابية لكيس القلب، ووصفًا كاملاً لسرطان المعدة .. إلى غير ذلك من الإنجازات، التي وقفت عليها في سياق البحث، ورأيت أنها جعلت من صاحبها



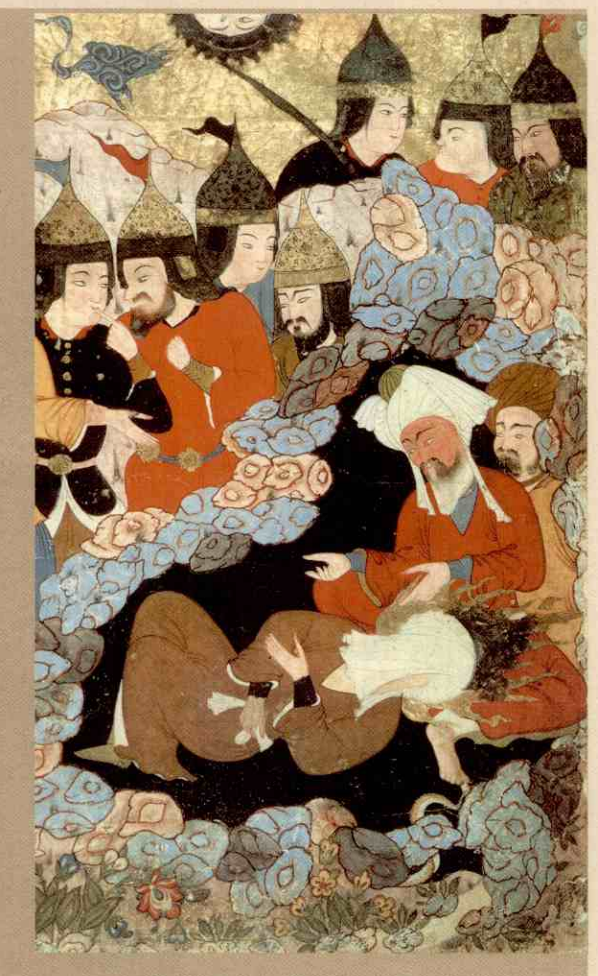
تمتلئ المؤلفات الطبية العالمية بأسماء الرواد من الأطباء العرب

www.ahlaltareekh.com

أشهر وأكبر أعلام الطب العربي في الأندلس، وعملت على تطور وتقدم علم الطب في العصور اللاحقة حتى وصلت إلى الغرب الذي عرفه باسم Avenzoar، وعَدَّه أعظم من ابن سينا، ولا يَعد له في الشرق سوى الرازي، والاثنان قد قدما من المآثر الطبية ما أفاد الإنسانية جمعاء.

وفي الجيل الرابع من أجيال عائلة بني زُهر العلمية، وجدنا أن أكبر وأشهر من يمثله، هو الحفيد أبو بكر محمد بن أبي مروان بن أبي العلاء بن زُهر، الذي به تتأكد وتستمر التقاليد العلمية في عائلة بني زُهر، هؤلاء الذين ثبت عندهم أن يتعلم الأبناء على الآباء والأجداد. وكما سلكت الأجيال السابقة للحفيد هذا المسلك، رأيناه هو الآخر يتعلم على أبيه الصناعة بشقيها النظري والعملي. وبعد طول الممارسة، وصل الحفيد إلى مرتبة عالية جعلت ملوك دول الملثمين، ودولة الموحدين يشهدوت بصواب الرأي، وحسن المعالجة، وجودة التدبير، تلك التي تميز بها نتيجة اهتمامه بالتجربة في إثبات صحة الدواء من عدمها. وليس أدل على كثرة دربته (تجربته) من أنه أعاد تركيب دواء مركب كان والده قد ركبه للملك، وأقر الوالد بصحة تركيبه. ومثل هذه الحالة تدلنا على الجانب النقدي لدى أطباء بني زُهر، وأن التلميذ لا ينبغي أن يكون نسخة طبق الأصل عن الأستاذ حتى ولو كان والده، إذ لو تمسك التلاميذ بكل ما لدى الأساتذة، لما تقدمت العلوم وتطورت. وقد قادنا البحث في الحفيد إلى الوقف على جانب مهم من جوانب فكره، وهو ممارسته للعمل العلمي الجماعي، فرأينا كيف استطاع ذلك الحفيد أن يكون جماعة علمية متآزرة ومتعاونة ضمت إلى جانبه، أخته وبنت أخته، وقد استطاعت تلك الجماعة أن تشكل أحد الأعمدة الأساسية في بناء عائلة بني زُهر الطبي والتعليمي أيضًا، إذ حرص الحفيد على الحفاظ على تقاليد العائلة التعليمية، فكما تعلم هو على أبيه وأسلافه، تعلم ابنه أبو محمد عليه، فأوقفه على كثير من أسرار الصناعة وعملها من خلال القراءة النظرية لأمهات الكتب الطبية، إلى جانب الممارسة العلمية.

ومع مرور الوقت في الاهتمام بالعلم والدرس



أجيال من العلماء سجّل الفنانون إبداعاتهم العلمية

www.ahlaltareekh.com

والممارسة، صار أبو محمد بن الحفيد ماهرًا في علم الطب، حسن الرأي في أموره النظرية، خبيرًا في ممارساته العملية، وهذا ما انعكس على شهرته العلمية في كل بلاد الأندلس.

ويُعدّ ابن الحفيد ممثلاً للجيل الخامس والأخير من أجيال عائلة بني زُهر، إذ لم تذكر المصادر وكتب التراجم أن نشاط بني زُهر الطبي والعلمي قد امتد إلى ما بعد ابن الحفيد. وبذلك تكتمل به حلقة بني زُهر (المهمة) في تاريخ العلم، تلك الحلقة التي تمثل ظاهرة علمية فريدة تتميز بها الحضارة الإسلامية. فلم نعهد في الحضارات الأخرى أن التقاليد العلمية تظل سائدة وممتدة بين خمسة أجيال من عائلة واحدة على مدار أكثر من قرنين من الزمان.

والواقع أن الإنجازات العلمية التي قدمها بنو زُهر كعائلة ممتدة تشكل منظومة معرفية مهمة ميزت القرنين الخامس والسادس الهجريين، وأفادت منها البشرية. كما عملت على تقدم الطب العربي وتطوره في مرحلة مهمة من تاريخه ، فضلاً عن الطب العالمي، ذلك الذي شغلت منظومة بني زُهر مكانًا رئيسًا في تاريخه، والذي يحث همم الباحثين العرب والمسلمين على الاهتمام بدراسة تلك العائلة، وذلك من خلال البحث والتنقيب عن مؤلفاتهم التي مازال معظمها في صورة المخطوطة، ليتم تحقيق المخطوطات ونشرها بصورة حديثة تليق بحجم بني زُهر، وتفيد الباحثين في علم الطب بصفة عامة، كما تقدم في الوقت نفسه لتاريخ هذا العلم حلقة معرفية مهمة يستحيل أن يستغني عنها إن أراد أن يكتمل بناؤه. وتلك هي النتيجة النهائية التي تنتهي إليها هذه الدراسة.

المراجع والهوامش

١. راجع كتابي: بنية الجماعات العلمية العربية الإسلامية، دار الوفاء الإسكندرية، ٢٠٠٤م، ص٣٥٣.

٢. انظر كتابي، الرازي الطبيب وأثره في تاريخ الطب العربي، دار ملتقى الفكر الإسلامية، ١٩٩٩م، ص١٩ وما بعدها.

٣. ابن القفطي، جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم، تاريخ الحكماء، تحقيق جوليوس ليبرت، لا يبزغ ١٩٠٣م، ص ٢٣٢.

٤. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، تحقيق انطوان صالحاني، بيروت، ١٨٩٠م، ص١٧٢وما بعدها.

٥. علي بن العباس، كامل الصناعة الطبية، طبعة القاهرة، ١٨٩٤م، ج٣،ص٨٥.

٦. ابن أبي أُصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٠١.

٧. الزهراوي، التصريف لمن عجز عن التأليف، طبعة لندن، ١٧٧٨، ج١،ص٢.

٨. أنور الرفاعي، تاريخ العلوم في الإسلام، دمشق ١٩٧٣م، ص ١١٠.

٩. محمد عبدالرحمن مرحبا، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٢٥٧. ٢٥٨.

١٠. المرجع السابق، الصفحة نفسها.

١١. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، بيروت (د. ت)، ص ٥١٧.

١٢. ابن حزم، المغرب عن محاسن أهل المغرب، نقلاً عن عيون ابن أبي أصيبعة، م. س، ص٥١٨.

١٣. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٥١٩ ـ ٥٢٠.

١٤. حاجي، خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبعة استانبول ١٩٤١، ج٢، ص٥٢٠.

١٥. محمد مرحبا، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٢٦٧.

١٦. العيون، ص ٥٢٠.

١٧. العيون، ص ٥٢٢.

www.ahlaltareekh.com



رحلة ابن فضلان بين الواقع والخيال

لطف الله قاري

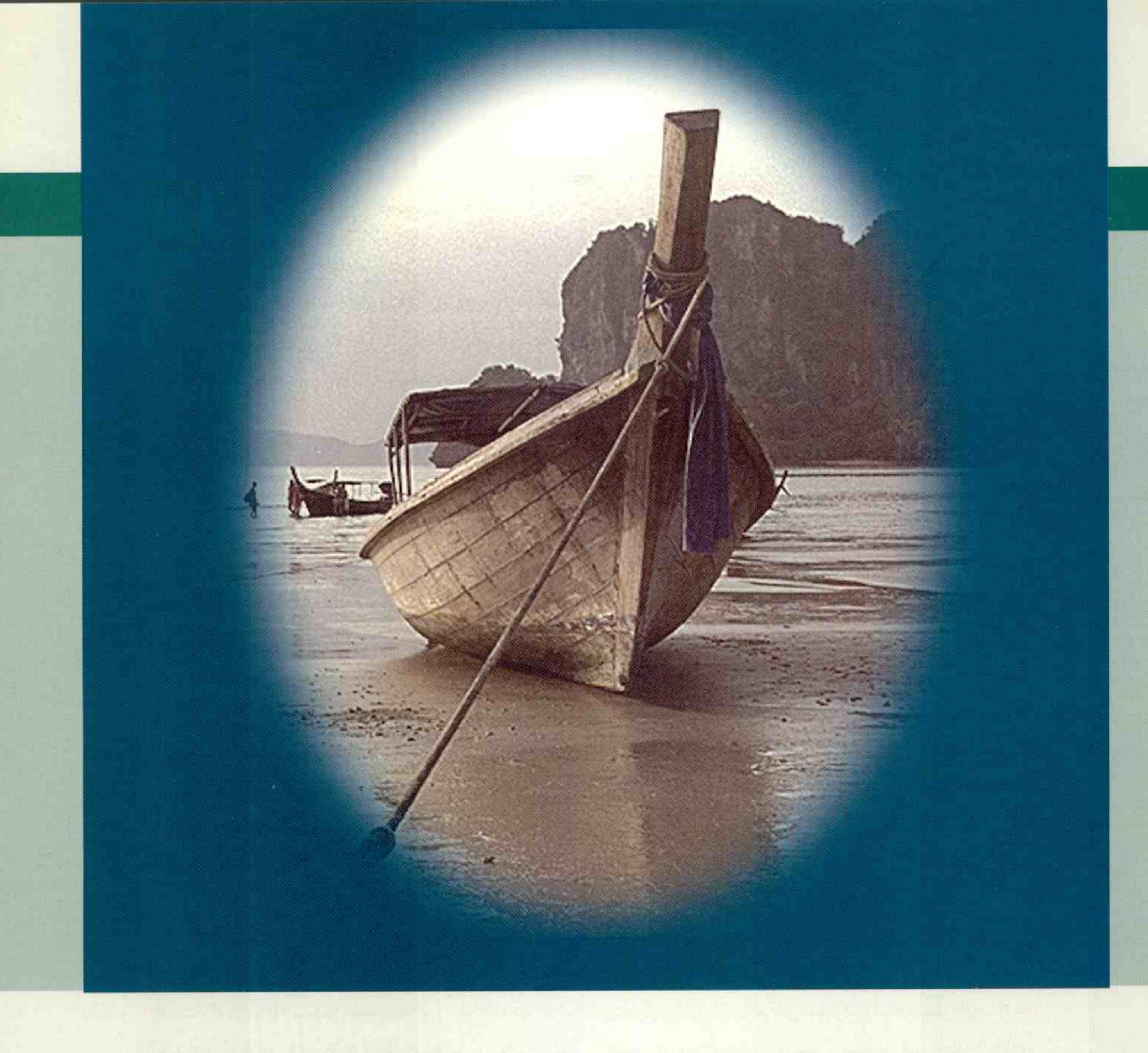
ينبع الصناعية ـ السعودية

في الحادي عشر من صفر سنة ٣٠٩هـ (٢١ يونيو/حزيران٩٢١م) خرجت سفارة من بغداد متجهة إلى بلاد الصقالبة، وبالتحديد مدينة بلغار على نهر الـڤولگا Volga . وهم غير بلغار دولة بلغاريا الحالية شمال غرب تركيا. وكانت هذه السفارة بناء على طلب ملكهم الذي أرسل رسولاً إلى عاصمة الخلافة، يرجون العون ضد ضغط الخزر عليهم من الجنوب، وأن ينفذ إليهم من يفقههم في الدين ويعرّفهم بشعائر الإسلام الذي كانوا قد اعتنقوه منذ مدة قريبة. فأرسلت إليهم سفارة كان من بين أفرادها أحمد بن فضلان فقيه الرحلة الذي دوّن أخبارها في رسالة وصلت إلينا في نسخة ناقصة.

فقد غادرت السفارة مدينة بغداد. ووصلت إلى بلاد البلغار بعد أحد عشر شهراً. ومرّت في طريقها بهمذان والري ونيسابور وبخارى. ثم ساروا مع نهر جيحون إلى خوارزم عند بحر آرال. وعبروا صحراء أوست أورت، ثم نهر بايق، فوصلوا إلى حوض نهر الڤولكا. أما تاريخ وخط سير العودة فليس معروفا لدينا، إذ ضاع القسم الأخير من الرحلة ولم يصل إلينا.

يعدّ كتاب ابن فضلان أثرًا طريفًا بالنسبة إلى عصره. فهو يقدم لنا في رحلته صورة حية للظروف السياسية في العالم الإسلامي، والعلاقات بين بلاد الإسلام والبلاد المتاخمة لها في آسيا الوسطى أو الأصقاع النائية التي كانت تمثل أطراف العالم المتمدن يومذاك، مثل حوض الڤولكا. وتحفل الرسالة بمادة قيمة تهم المشتغلين بعلم وصف الأعراق البشرية (الإثنوغرافيا). ففيها معلومات متنوعة عن القبائل الرحّل الذين كانوا بآسيا الوسطى، وعدد من الشعوب التي أدت دورًا أساسيًا في تاريخ أوربا الشرقية كالبلغار والروس والخزر. ويضاف إلى قيمتها العلمية قيمتها

www.ahlaltareekh.com



الأدبيـة، وأسلوبهـا القـصـصي السلس، ولغـتـهـا الحـيـة المصـورة التي لا تخلو بعض الأحـيـان من الأحـداث الطريفة التي تكوّن دعابة غير مقصودة من كاتبها.

وفي سنة ٦٢١هـ (ت ١٢٢٤م) أتمّ ياقـوت الحـمـوي تأليف كتابه الموسوعي المشهور «معجم البلدان». وقد عكف البـاحثون يدرسون محتوياته، ويستفيدون من معلوماته، حتى قبل أن ينشر في طبعة محققة نشرها وستنفلد Wüstenfeld بين عـامي ١٨٦٦ و١٨٧٣م. وكل الطبـعـات العـربيـة التي أتت فـيـمـا بعـد تكتفي بنسخ الطبـعـة الأوربيـة بإعـادة صف الأحـرف، مع إضـافـة الأخطاء المطبعية إليها.

وعكف المستشرقون من دول الشمال على دراسة ما رواه ياقوت عن البلدان الشمـاليـة. فاسـتـخـرج كل من الدانماركي راسموسن Rasmussen عام١٨١٤م والروسي فـرين Frahn عـام ١٨٢٣م، نصـوص ابن فـضـلان من معجم ياقوت، مع دراسة مستفيضة. فكانت هذه بداية تعـرّف المجتمع العلمي على ابن فـضـلان الـذي لم تكن مخطوطته قد اكتشفت بعد.

www.ahlaltareekh.com

وتوالت بعد ذلك دراسات المستشرقين حول الرحلة، إلى أن تم العثور عام ١٩٢٤م على مخطوطة في مشهد بإيران تحوي مجموعة من الرسائل من ضمنها رحلة ابن فضلان. وهنا ازداد اهتمام الدارسين بها. ونشرها العالم التركي زكي وليدي طوغان عام ١٩٣٩م بالحروف العربية والترجمة الألمانية، مع التحقيق والتعليق ومقارنة النصوص بكل من ياقوت الحموي والجغرافي الفارسي أمين الرازي (من أهل القرن العاشر الهجري). وصدرت الرحلة كذلك في العام نفسه (١٩٣٩م) مترجمة إلى الروسية، مع دراسة وملاحق وفهارس، بقلم المستشرق كوڤالڤسكي A. P. Kovalevski وتقديم المستشرق الكبير كراتشكو ڤسكي. وقد صدرت عدة دراسات بعد ذلك حول الرحلة.

وفي سنة ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م) أصدر مجمع اللغة العربية بدمشق نص رسالة ابن فضلان بتحقيق ودراسة سامي الدهان، مع فهارس فنية أبجدية مفصلة.

رواية كركتُن

وفي عام ١٩٧٦م قام الروائي الأمريكي مايكل كركتُن Michael Crichton بدمج ملحمة بيوولُف Beowulf مع أحداث رحلة ابن فضلان، ليخرج علينا برواية عنوانها «أكلة الأموات: مخطوطة ابن فضلان، بخصوص تجاربه مع الرجال الشماليين في عام ٩٢٢م». وملحمة بيوولُف تحكي قصة حدثين مهمين في حياة بطلها، وهو أمير إسكندنافي اسمه بيوولف، خلّص الدانماركيين من وحش يدعى جرندل، نصفه بشر والنصف الآخر شيطاني، كما خلصهم من أمه التي حضرت فيما بعد كي تنتقم لمقتل ابنها. وبعد أن ينتصر عليها بيوولف يتوج ملكًا . ثم بعد خمسين عامًا يعود عدوه في شكل تنين كبير فيهزمه، ولكنه يموت متأثرا بجراح تلقاها في أثناء القتال مع عدوه، وتنتهي القصيدة الطويلة (نحو ٣٨١٥ بيتًا من الشعر الموزون) بوفاته وجنازته حسب التقاليد الإسكندنافية القديمة. وهناك مئات الترجمات لهذه الملحمة الشهيرة. وهي مكتوبة أصلا بالإنجليزية القديمة في وقت سابق للقرن العاشر الميلادي (القرن الرابع الهجري). وهي أقدم ملحمة أو قصيدة بطولية باقية في الأدب الإنجليزي.

حسب رواية كركتُن يرحل بطلها (ابن فضلان) صوب الشمال في بعثة سلام دبلوماسية جاءت عقابًا له لجرم ارتكبه في مدينة السلام «بغداد القرن العاشر الميلادي»، ولكنه ما يلبث ان يجد نفسه متورطًا في بعثة من نوع آخر. وصدفة يلتقي مبعوث السلام العربي بمحاربين من قبائل الڤايكنك Viking الإسكندنافية الذين بدورهم ينتخبونه عنوة ليكون المحارب الثالث عشر في كتيبة تتكون من ثلاثة عشر محاربًا يتجهون إلى أقصى الشمال في مهمة قتالية خطيرة لن تنجح إلا بوجود محارب أجنبي يدعى المحارب الثالث عشر. بعد تغيير مسار رحلته يجد نفسه يتعمق في بلاد الشمال التي يغطيها ضباب كثيف أدكن يخرج منه وحش هائل يلتهم البشر ويدمر ممتلكاتهم في جنح الظلام. وهكذا يتحول رسول السلام إلى محارب وشاهد على الحياة في شمال أوروبا العصور الوسطى. ويمضي في رحلته الشاقة،

تعريب أو ترجمة البقالي أمينة لو قارناها بتعريب حيدر غيبة الذي حذف بعض النصوص من الرواية. وهذا الحذف مخالف للأمانة العلمية. فلا ضرورة تقتضي بتر الكتاب خلافًا لأصول الأمانة العلمية ومناهجها التي تستلزم نشر النص كاملاً دون حذف

www.ahlaltareekh.com

رحلة تكتنفها الأسرار والمخاطر، رحلة ملأى بالمغامرات والعقبات التي يتم تجاوزها حتى تنتهي بالقضاء على مصدر الخطر الذي هدد مملكة هوكارت بالدمار.

عمل كركتُن هو مزيج من الخيال الذي يملأ كل صفحات الرواية، وخداع القارئ بادعاء أن ما يكتبه واقع حقيقي. فهو يقتبس أشياء من رحلة ابن فضلان، ويخادع القارئ بكتابة حواشٍ لشرح الكلمات والمصطلحات، بحيث تبدو الرواية وكأنها بحث حقيقي. بينما الواقع هو أنها رواية مملوءة بالأحداث الخيالية التي لا علاقة لها بالرحلة الأصلية. وزاد الروائي من اعتدائه على المنهج العلمي بأن ادعى خلال الحواشٍ المطولة أنه ينقل معلوماته من أستاذ جامعي اسمه «پر فراوس دولُس» Per Fraus-Dolus، الأستاذ الفخري للأدب المقارن بجامعة أوسلو بالنرويج. فهو يقول: إنه يعتمد بعد الترجمة الإنجليزية لرسالة ابن فضلان «على الترجمة النرويجية لرسالة ابن فضلان التي قام بها الأستاذ النرويجي پر فراوس دولُس الذي جمع ما تناثر من أجزاء الرسالة بلغات مختلفة (اللاتينية والفرنسية والدانماركية والسويدية والإنجليزية والألمانية والعربية) ونقلها إلى النرويجية بين عامي ١٩٥١م وحتى وفاته ١٩٥٩م».

وكان على جامعة أوسلو بالنرويج أن تنفي لجمهور الباحثين مدة عقدين من الزمن وجود شخصية حقيقية باسم البرفسور پر فراوس دولُس، وأن هذه الكلمات تعني باللاتينية «بقلم مخادع».

عكف المستشرقون على دراسة ما رواه ياقوت عن البلدان الشمالية. فاستخرج كل من الدانماركي راسموسن، والروسي فرين نصوص ابن فضلان من معجم ياقوت، مع دراسة مستفيضة. فكانت هذه بداية تعرّف المجتمع العلمي إلى ابن فضلان

تعريب البقالي

وفي سنة ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م) صدرت ترجمة عربية لعمل كركتُن المذكور، دون الإشارة إلى أنها رواية مزج فيها الخيال بالحقيقة. وذلك بعنوان «مغامرات سفير عربي في إسكندنافيا منذ ألف عام»، بتعريب أحمد عبد السلام البقالي. يقول البقالي في مقدمة الترجمة: «وتعتبر مهمة جمع وتصفية وتحقيق هذا العدد الكبير من النصوص الممتدة عبر أزيد من ألف سنة - والمكتوبة بالعربية واللاتينية والألمانية والفرنسية والدانماركية والسويدية والإنجليزية - مهمة شاقة، ولا يستطيع القيام بها إلا شخص واسع المعرفة، عظيم الطاقة. وقد وجد ذلك الشخص في عام ١٩٥١م. فقد تولى الأستاذ پر فراوس دولُس الأستاذ الفخري المتقاعد للأدب المقارن بجامعة أوسلو بالنرويج مهمة جمع كل المصادر المعروفة. وبدأ مهمة الترجمة الضخمة التي شغلته حتى وفاته عام ١٩٥٧م. وقد نشرت بعض أجزاء ترجمته في مجلة محاضر متحف أوسلو الوطني، إلا أنها لم تثر أي اهتمام في الأوساط العلمية، ربما لتوزيع المجلة المحدود».

تعريب حيدر غيبة

على كل حال يجدر بنا أن نذكر أن تعريب أو ترجمة البقالي أمينة لو قارناها بتعريب آخر صدر بعد ست سنوات. ففي سنة ١٤١٤هـ (١٩٩٤م) صدر تعريب آخر لعمل كركتُن، يقول فيه المعرّب: إنه يقوم بتعريب ذلك العمل أول مرة. ولا يشير إطلاقًا إلى عمل البقالي. فهذه هي العبارات التي نقرؤها على الغلاف: «رسالة ابن فضلان ...

www.ahlaltareekh.com

احتجاجاته، وتطابقت مواقفه مع الآخر، وآل به الأمر إلى أن يكون موضوعًا لاستكشاف الآخر، عوض أن يكون الآخر موضوعًا لاستكشافاته، لم يفلح أبداً في تغيير الأنساق الثقافية للآخر، مع أنه نذر نفسه في البداية لذلك، على العكس، هو من تغيرت أنساقه الثقافية. سقط في الشرك الذي كان يحذر الجميع منه: معايشة عالم الكفر، داهمه نوع من النسيان، فعلى مرمى حجر من القطب الشمالي، أصيبت ذاكرته بعطب عقائدي، لكي يندرج ضمن الآخر عليه أن ينسى، أن يوقف عمل الذاكرة».

ويقول أيضًا: «يقول «كركتُن» الذي أعاد تركيب الأصول المفقودة لرسالة ابن فضلان على سبيل التخيل في بعض الفصول، اعتماداً على مقاطع تم العثور عليها بلغات كثيرة .. .. .. لست معنياً هنا بإعادة البحث في موضوع استأثر باهتمام المتخصصين الذين بذلوا جهوداً شاقة وشائقة في تتبع مصير المخطوط، ولم شتاته، وتركيب أجزائه، إنما أود التأكيد من أن النص الذي كان موحداً في بداية القرن السابع الهجري/ بداية القرن الثالث عشر الميلادي، قد تفرق الآن في لغات كثيرة جداً منها: اللاتينية والألمانية والفرنسية والدنماركية والسويدية والإنجليزية، وأن القسم العربي المنشور لا يشكل سوى جزء من النص المتداول في اللغات الأخرى. والملاحظ أن ما جاء في اللغات الأخرى، وغاب في العربية هو القسم الخاص برحلة ابن فضلان إلى «دار الحرب» فالأصل العربي ينتهي في بلاد الصقالبة التي كانت آنذاك ضمن «دار الصلح» ولا يتعرض بشيء إلى ما سواها. وبعبارة أخرى فإن كل ما يتصل بـ «الآخر» قد عاد إلينا بلغات «الآخر» بعد أن فقد في لغتنا».

فالباحث هنا لا يتطرق إلى ما ذكرناه من أنه لا توجد أصلا «شذرات متناثرة باللغات اللاتينية والألمانية والفرنسية والدانماركية والسويدية والإنجليزية وغيرها»، وأن البروفسور النرويجي المزعوم الذي قام بتجميع تلك الشذرات ليس إلا شخصية خيالية، وأن كركتُن قام بدمج ملحمة بيووُلف مع أحداث رحلة ابن فضلان، ليخرج علينا بروايته. صحيح أن الباحث يقول: إن في عمل كركتُن كثيرًا من الخيال، إلا أنه ينسب تلك النصوص المتخيلة إلى «الشذرات» المترجمة من عدة لغات.

صدرت ترجمات عربية ودراسات حول عمل كركتُن، كل واحدة منها تعدّ جيدة بحد ذاتها. ولكن كل واحدة منها توضح جزءًا يسيرًا من الموضوع، وكأنها تقدم قطعة واحدة من لوحة ممزقة، وتفوت القارئ الأجزاء الأخرى

طبعة العبيكان

وفي سنة ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م) أصدرت مكتبة العبيكان في الرياض طبعة جديدة من تعريب البقالي لرواية كركتُن التي صدرت سنة ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م) من قبل عن دار تهامة بجدة. ولكن هذه المرة يصرّ الناشر الجديد على أن طبعته هي الأولى..!! فلا نجد أية إشارة إلى الطبعة التي صدرت قبل ستة عشر عامًا.

فهنا يطرح أكثر من تساؤل: هل هذا يعني استغفال القارئ والظن بأن أحدًا لم ير الطبعة الأولى التي أصدرتها دار نشر كبيرة مثل تهامة؟ وإذا كان الناشر يتعدى على حقوق ناشر آخر في بلده نفسه، فكيف بالناشرين في دول مختلفة؟ وهل هذا العمل يسهم في نشر الثقافة وهي تعاني ما تعانيه اليوم في عالمنا العربي؟

www.ahlaltareekh.com

دراسة شاكر لعيبي

وفي العام نفسه ٢٠٠٣م صدرت في أبو ظبي طبعة جديدة من رحلة ابن فضلان، بتحرير شاكر لعيبي. حيث أعيدت طباعة النص الذي نشره سامي الدهان، واقتفى المحرر أثر المحقق التركي زكي وليدي طوغان بأن قارن النص بما ورد عند ياقوت الحموي. وقدّم للنص بدراسة طويلة ينتقد فيها كاتبها كلاً من حيدر غيبة وعبد الله إبراهيم بعبارات حادة، لأنهما قبلا رواية كركتُن على أنها فعلا تنسب إلى ابن فضلان. ولكنه لم يأتِ أبدًا بدليل قاطع على أن عمل كركتُن مجرد خيال. فهو لا يذكر بتاتًا أن البروفسور النرويجي المزعوم ليس إلا شخصية خيالية. بل على العكس من ذلك يراها شخصية حقيقية، إذ يقول: «أما إذا كان العمل التجميعي . وهو عصب الفصول الأخرى . الذي قام به الباحث النرويجي بير فراوس دولس هو تلكم المغامراتُ العجيبةُ الغريبةُ التي لا تمتُّ إلى روح مخطوطة مشهد بصلة فإن شكاً كبيراً يحوم حول مصادره. ما هي مصادره؟».

ولا يتطرق إلى ذكر ملحمة بيووُلف ودمجها مع أحداث رحلة ابن فضلان. وليس عنده ما ينفي به رواية كركتُن إلا عبارات مسيئة للعرب اقتبسها ورواها للقارئ على أنها هي «الدليل القاطع» على أن عمل كركتُن مجرد رواية خيالية.

وهناك ملاحظات أخرى على هذا الكاتب. منها قوله: «في السَّنة نفسِها ترجمها المستشرقُ الكبيرُ كراتشوفسكي وكتب لها مقدمة ضافية، وفي آخر دراسته نشر صورةً فوتغرافيةً للرِّسالة كاملةً عن مخطوطة مشهد وبحجمٍ كبير. وإلى أساسِ هذه الصورِ الشَّمْسيَّةِ التي نشرها كراتشوفسكي يستند التحقيقُ كلُّه الذي قام به د. الدَّهان». والصواب، كما قلنا، هو أن الطبعة الروسية بالترجمة والدراسة والملاحق والفهارس من عمل المستشرق كوفالفسكي-A. P. Kovalevski وتقديم المستشرق الكبير كراتشوفسكي.

ومن ذلك قوله: «اسم الناشر وسنة الطباعة مكتوبان في نص الدكتور غيبة بالعربية فقط. نحن من استخرجنا دار النشر وسنته باللغة الإنجليزية». وهذا الكلام الدعائي مخالف لمناهج البحث. فالباحث يكتفي بذكر ما وجده في المراجع، ويذكر تلك المراجع في الهوامش والحواشي. والقارئ هو الذي يحدد

غلاف رواية كركتُن المعرّبة، بتعريب حيدر غيبة، بيروت، ١٤١٤هـ (١٩٩٤م)

www.ahlaltareekh.com

قيمة البحث ومدى ما أضافه الباحث من جديد.

ومن ذلك قوله: «ثم صدرتْ طبعتُها الثانيةُ عن مديرية إحياءِ التراثِ العربيِّ في وزارةِ الثقافةِ والإرشادِ القوميِّ السوريةِ عام ١٩٧٧م. ثم صدرتْ لها طبعةٌ ثالثةٌ (كُتب عليها أنَّها الطبعةُ الثانيةُ!) سنة ١٩٨٧م عن مكتبةِ الثقافةِ العالميةِ في بيروت، وعليها نعتمد نحن في مقدمتنا هذه». والصواب أن طبعة بيروت طبعة غير مرخصة من قبل ناشري التصوير الذين يستولون على حقوق الناشر الأصلي ويطمسون اسمه. والطبعة الثالثة القانونية هي التي صدرت من قبل مجمع دمشق نفسه سنة ١٤٠٩هـ (١٩٨٨م). ويلاحظ عليه أنه لم يطلع على تعريب البقالي، حيث لا يذكره أبدًا.

الخلاصة والاستنتاجات

كتب ابن فضلان وصفًا لرحلته إلى مدينة بلغار على ضفة نهر الفولكا. ولكن ما وصل إلينا من كتاب رحلته هو نسخة ناقصة. واطلع الباحثون قبل اكتشافها على ما نقله ياقوت الحموي وغيره من نصوص مقتبسة من ابن فضلان.

وجاء الروائي كركتُن فزعم أنه ينقل إلى قراء الإنجليزية ما كتبه ابن فضلان نقلا عن النص العربي، وعن نصوص أخرى قصيرة أو شذرات متفرقة في عدة لغات، جمعها وترجمها أستاذ جامعي نرويجي مزعوم، اتضح أنه شخصية خيالية.

وصدرت ترجمات عربية ودراسات حول عمل كركتُن، كل واحدة منها تعدّ جيدة بحد ذاتها. ولكن كل واحدة منها توضح جزءًا يسيرًا من الموضوع، وكأنها تقدم قطعة واحدة من لوحة ممزقة. وتفوت القارئ الأجزاء الأخرى، كما أوضحنا ذلك عند ذكر كل تعريب أو دراسة. فمنهم من عرّب عمل كركتُن كما هو، وأثنى عليه وصدّقه فيما زعم. ومنهم من أنكره وبيّن أنه رواية، ولكن لم يصل إلى علمه أن الأستاذ النرويجي الذي يستند إليه كركتُن ليس له وجود في الواقع. ومن ثم ظلت أدلته ناقصة. وعرّبت الرواية مرتين، دون أن يعلم المترجم الأخير عن عمل الأول.

فكان لا بدّ من هذه المراجعة، لكي يطّلع القارئ العربي على أجزاء الموضوع كافة أو قطع اللوحة المتناثرة كافة. وذلك لئلا يظل بعض الغربيين يكررون القول بأن العرب والمسلمين لا يعرفون تاريخ العرب وتراث الإسلام واللغة العربية. وهذا القول نجده صريحًا في بعض الكتابات الغربية لمستشرقين وغيرهم.

المراجع

- كراتشكوفسكي، إغناطيوس: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تعريب صلاح الدين عثمان هاشم، التحرير الثاني (الطبعة الثانية المنقحة)، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧م، ص ٢٠٢، ٢٠٣، ٣٦٠، ٣٦٥، ٩٠٣.
- الدهان، سامي: مقدمة تحقيقه لكتاب «رسالة ابن فضلان»، دمشق: المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية حاليًا)، ١٩٥٩م، وأعيد طبع الكتاب مرتين من قبل المجمع المذكور، بالإضافة إلى طبعات غير مرخصة ببيروت، ص ٤٤ ـ٤٥، ٤٨ ـ٤٩.
- البقالي، أحمد عبد السلام: «مغامرات سفير عربي في إسكندنافيا منذ ألف عام»، جدة: تهامة للنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م)، ص ١٢.
- غيبة، حيدر محمد: رسالة ابن فضلان، بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ١٤١٤هـ (١٩٩٤م).
- الشوكاني، محمد ناصر: «من ضبابية الرؤية إلى رسم الأصوات»، جريدة «الرياض»، صفحة الثقافة، العدد ١١٩٠٣ السنة ٣٧، الخميس ٠١ ذو القعدة ١٤٢١هـ، (٢٠٠١/١/٢٥م).
- إبراهيم، عبد الله: «مفكرة السرد..الآخر ومسارات ابن فضلان»، جريدة «الرياض»، صفحة الثقافة، العدد ١٢٤٨٧ السنة ٣٨، الخميس ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ، (٢٠٠٢/٨/٢٩م).
- لعيبي، شاكر: تقديمه لكتاب «رحلة ابن فضلان»، أبوظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.
- GABRIEL, Judith: "Ibn Fadlan's Manuscript: A Saga All its Own", Aramco World, vol. 50, no. 6, Nov-Dec 1999, p.40. 1

www.ahlaltareekh.com



مؤسسة الآغا خان وترميم المواقع التاريخية السورية

محمود شاهين

دمشق ـ سورية

قامت مؤسسة الآغا خان للثقافة بترميم ثلاث قلاع أثريّة مهمة في سورية، ضمن برنامجها لدعم المدن التاريخيّة في العالم الإسلامي، هي: قلعة مصياف، وقلعة حلب، وقلعة صلاح الدين، إضافة إلى مشروع إحياء مدينة مصياف القديمة.

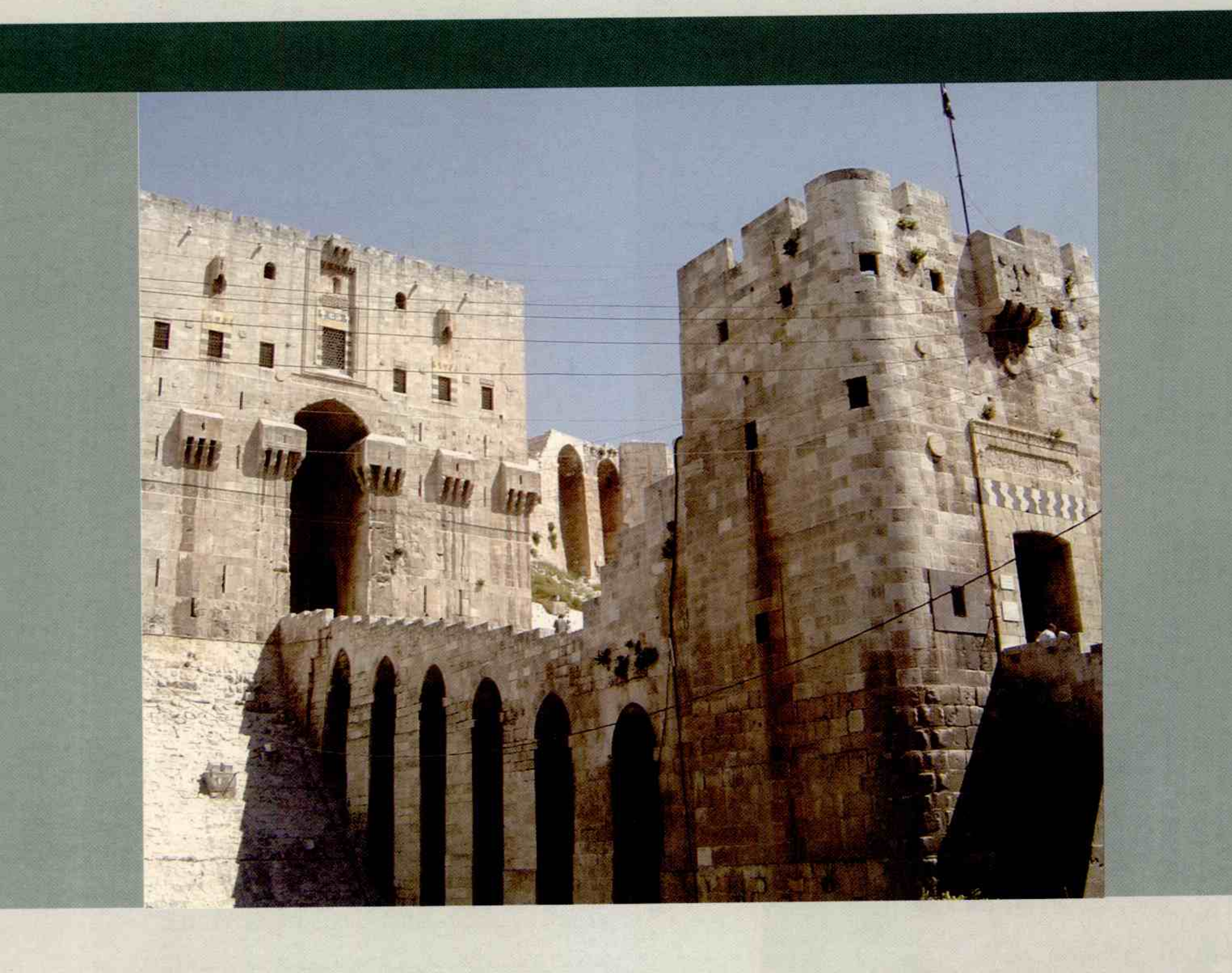
انطلق برنامج المؤسسة في دعم المدن التاريخيّة عام ١٩٩١م، بهدف تحسين توعيّة الجماعات المحليّة، عبر استثمار تراثها الثقافي، من خلال إحياء المباني التي تتصف بطابع عمراني متميز، وقد قام البرنامج حتى الآن بتنفيذ نحو عشرين مشروعًا في الباكستان، وزنجبار، وسمرقند، والبوسنة، ومصر وسورية التي ستكون موضوع تحقيقنا هذا.

مشروع سورية

تعدّ مشروعات مؤسسة الآغا خان في سورية من أحدث أنشطة برنامج دعم المدن التاريخيّة، حيث تم في خريف عام ١٩٩٩م، توقيع اتفاقية بين المؤسسة والمديرية العامة للآثار والمتاحف السورية، لترميم عدد من المواقع التاريخيّة في سورية، وإحيائها وإعادة الاستخدام الملائم لها، بالإضافة إلى تطوير البيئة التاريخيّة، ودعم التطوير السياحي والاقتصادي، وتشجيع مفهوم التخطيط المتكامل، ومشاركة السكان في خلق بيئة مناسبة للتنمية.

بدأ العمل بدراسة تحليلية لتقويم مختلف القلاع

www.ahlaltareekh.com



والمواقع التاريخية في سورية، واستندت الدراسة إلى معايير أساسية أهمها الأبنية المتبقية في هذه المواقع وأهميتها، وإمكانية الوصول إليها، وضرورة الترميم للحفاظ على هذه المواقع، وقد أدت الدراسة إلى اختيار ثلاثة مواقع هي: قلعة مصياف، وقلعة حلب، وقلعة صلاح الدين.

يتمحور مشروع برنامج دعم المدن التاريخية في سورية الذي بدأ تنفيذه عام ٢٠٠٢م حول الأعمال الآتية:

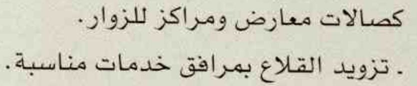
أ- حفاظ البنيّة الإنشائية للقلاع الثلاث وترميمها من خلال:

- توثيق للأبنية المقترح ترميمها ورفعها هندسيًا.
- أعمال حفريات وتنقيب أثري في مواقع الترميم.
- ترميم الأجزاء العمرانية التي تتطلب مداخلة طارئة لوقف تدهور حالة البناء وإعادة بنائها.
- تطبيق تقانات الترميم الحديثة المعترف بها دوليًا.
- تدريب الكوادر المحلية على أعمال الترميم.
- استخدام مواد مماثلة لتلك المستخدمة في البناء الأصلي.

ب - تطوير الفعاليات السياحية من خلال:

- إعادة الاستخدام الملائم لبعض الأبنية ضمن القلاع،

www.ahlaltareekh.com



كصالات معارض ومراكز للزوار.

- تزويد القلاع بمرافق خدمات مناسبة.
- تحسين الممرات ضمن القلاع وتزويدها بإشارات إرشادية ولوحات دلالة وتعريف.
- إصدار كتب إرشاد سياحية.

ج - تطوير البيئة التاريخية للقلاع وحمايتها، ودعم التطوير السياحي والاقتصادي في محيط القلاع.

مشروع قلعة مصياف

قلعة مصياف هي إحدى القلاع المهمة من قلاع الساحل السوري، تقع على الطرف الداخلي من الجبال الساحلية، وتتوضع في الطرف الشرقي من مدينة مصياف القديمة، على تلة صخرية عالية، بنيت فوقها أسوار وتحصينات وأبراج تدافع عن نفسها، وهي أهم قلعة ضمن مجموعة قلاع الإسماعيليين في هذه المنطقة التي تضم إضافة لها كلاً من قلاع: الخوابي، والقدموس، الكهف، وغيرها.

تحمل قلعة مصياف بصمات رومانية وبيزنطيّة واضحة، إضافة إلى الأسلوب العربي المهيمن على القلعة. وعلى الرغم من وضوح التهدم والتآكل الناجمين عن الحصار والحفرات الأرضية والعوامل الطبيعية، فإن القلعة تعدّ - إلى حد ما - محفوظة بشكل جيد، ولا تزال بعض جدرانها تحمل أجزاء من «الزريقة» الأصلية. وكما في الكثير من الأوابد الأثرية في سورية، فقد تمت إعادة استخدام عناصر إنشائية ومعمارية، من حقبات سابقة، في إنشاء بعض أجزاء القلعة بنتائج مذهلة، مثل العمود الكورنثي المنقوش (من المرحلة البيزنطية) الذي يدعم هيكل بوابة المدخل وتتناسب عفوية التعبير العمراني وقوته للقلعة مع الطبيعة الوعرة والجميلة للجبال المجاورة.



اختير التل الصخري الكلسي الذي يعلو فوق السهل المحيط به موقعًا، أول لهذا التحصين، ثم أضيفت طبقات من التحصينات عبر الحقب المتتالية، ووظفت الفراغات الطبيعية بذكاء في قلب التل الصخري، لخلق قاعات وممرات وأقبية في الطبقات السفلية من الموقع،

www.ahlaltareekh.com

لحكم سنان راشد الدين المعروف بشيخ الجبال الذي حكم المنطقة في ذلك العهد.

الأعمال المنجزة في الترميم والتدعيم

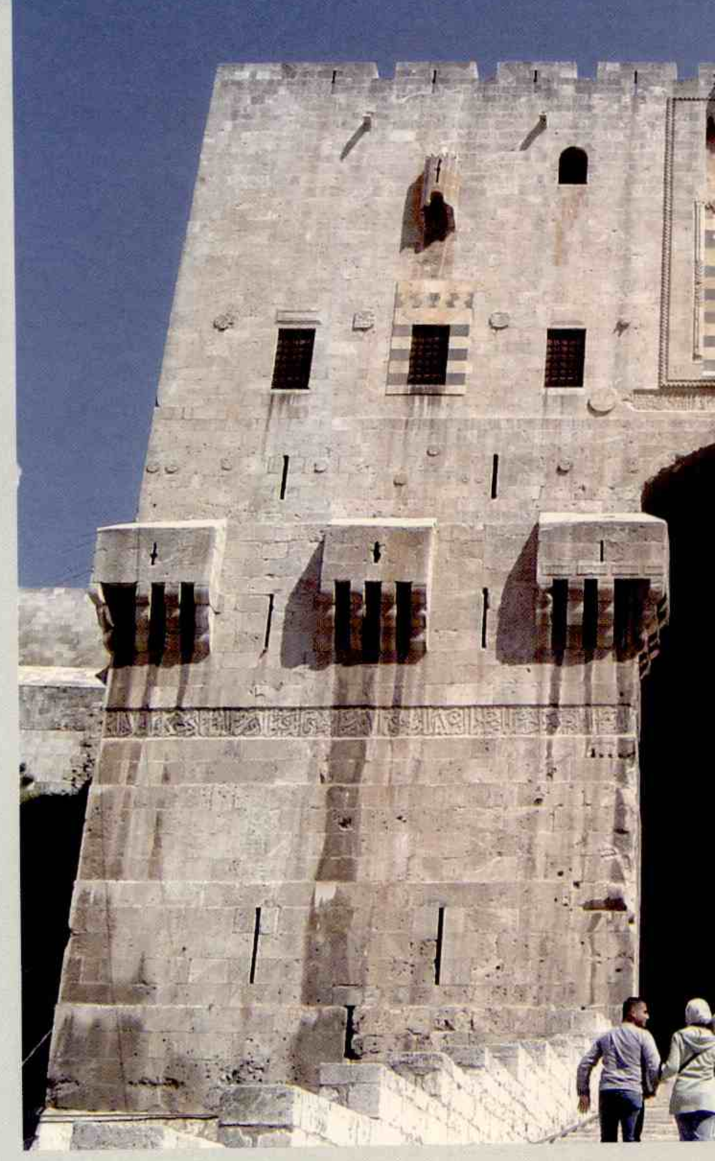
بدأت أعمال الحفاظ على قلعة مصياف من قبل مؤسسة الآغا خان للثقافة في عام ٢٠٠٠م، في جزء من الجدار الشرقي للقلعة الذي كانت بعض أحجاره قد تساقطت؛ مما أدى إلى تشويه في المنظر العام للقلعة في هذه الجهة، وكانت إعادة البناء التي تمت تهدف إلى استقرار الجدار إنشائيًا، واستخدمت من أجل ذلك أحجار مماثلة للأصلية جلبت من مقلع مجاور للمدينة.

في نهاية عام ٢٠٠٠م، وبالتنسيق مع المديرية العامة للآثار والمتاحف في سورية، تم إعداد برنامج للترميم والتدعيم في القلعة أكثر شمولية، بدأ تنفيذه وما زال مستمرًا حتى الآن.

الهدف الأساسي من هذا البرنامج هو الحفاظ على الاستقرار الإنشائي لهذا الموقع الأثري المهم؛ أي: قلعة مصياف، وبكل تفاصيله، هو مداخلات ترميم وتدعيم محدودة من أجل صيانة العناصر الإنشائية ذاتها، ووقف تدهور العنصر، وفي الأماكن الضرورية فقط. أما إعادة البناء فقد كانت محدودة جدًا، وفي أجزاء بسيطة كانت مهددة بالانهيار، وشمل ذلك مستويات القلعة كافة، كما تمت معالجة جدران أسوارها الداخلية والخارجية، ووضع خطة لتحسين التصريف في القلعة.

كما يهدف برنامج الحفاظ هذا إلى تنفيذ بنية تحتية سياحية لزوار القلعة من أجل الحصول على أكثر ما يمكن من الفائدة من خلال زيارتهم لها.

تضمن هذا البرنامج أعمالاً نمطية أو خاصة، قامت مؤسسة الآغا خان بتنفيذها خلال السنوات الثلاث الماضية وفق ما يأتي:



جانب من قلعة حلب

وبما أن الحاجة كانت ماسة إلى وجود مخزون كبير من الماء وقت الحصار فقد تم حفر تجاويف ضخمة في الصخر رفدت بشبكة معقدة من الأنابيب الخزفية وصلتها مع الأسطح لملئها من مياه الأمطار، وهناك قاعة فوق السطح الأعلى للقلعة، يقال: إنها كانت مقرًا

www.ahlaltareekh.com


داخل قلعة حلب .. قبل الترميم


... وبعده

تحشية الفراغات وحقنها داخل الجدران، ووضع كحلة كلسية في الفواصل بين أحجار الجدران حيث تكون المونة الأصلية مهترئة أو غير موجودة، وإزالة المونة الأسمنتية واستبدال أخرى كلسية بها، ثم إعادة بناء بعض الزوايا، ضمانًا لتثبيت الوضع الإنشائي للعنصر، وإعادة أحجار إلى موقعها في الجدار حيث تكون ناقصة أو مفقودة فيه، وإزالة العتبات البيتونية فوق الفتحات كانت مصبوبة في العشرينيات من القرن الماضي، واستبدال أخرى خشبية معالجة، أو كتل من حجر البازلت بها. القيام بتثبيت الزريقة الأثرية حيثما وجدت، باستخدام الطرائق القياسية المعتمدة في الترميم، ووضع زريقة مماثلة للتقليدية حيثما يثبت وجودها، ضمن غاية تحسين استخدام الفراغ سياحيًا، كما في فراغات مركز الزوار، والقيام بأعمال تبليط ورصف الأرضيات والممرات، وعزل الأسطح، وتمديد الكهرباء.

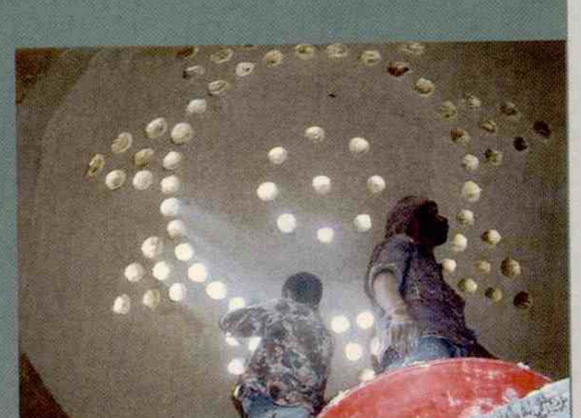
استخدمت في أعمال الترميم والتدعيم الخارجية والداخلية، السقالات المعدنية الثابتة، والمراجيح المتحركة، والروافع التلسكوبية، كما تم تأهيل مركز الزوار في الفراغات التي تم اختيارها في المستويين الأول والثاني، وتم تزويدها ببنية تحتية مناسبة وضرورية، تحضيرًا لاستخدامها في الغرض السياحي، وتم تنفيذ قناة للتصريف على السطح النهائي للقلعة، من أجل تحويل مياه الأمطار باتجاه الخزان الكبير في المستوى الأدنى منها، كما تم شراء عدد من العقارات المجاورة للقلعة الواقعة على الشارع الغربي المحاذي لها، من قبل مؤسسة الآغا خان للثقافة، بالتنسيق مع مجلس مدينة مصياف، وتمت إزالتها من أجل كشف منظور القلعة من الشارع المذكور. في الوقت نفسه، تم إنجاز المخطط الطبوغرافي الشامل، والمخططات المعمارية لكل من الفراغات على حدة، وتوثيقها، كما هي في وضعها الراهن، بالإضافة إلى توثيق المداخلات كافة بعد إنهاء الترميم فيها، وربطها مع المخطط الطبوغرافي الشامل، وتقوم المؤسسة حاليًا بتنفيذ مشروع تحسين طريق الدخول إلى القلعة، والدرج والمنظر الطبيعي المرتبط مع الشارع الغربي المجاور للقلعة، وبعد دراسة لتنفيذ أدوات الإرشاد والدلالة

www.ahlaltareekh.com

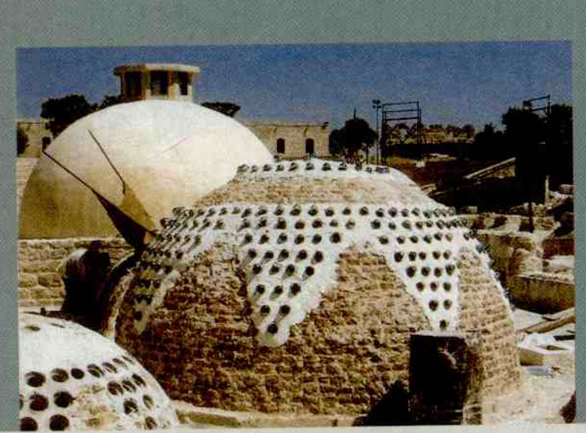
وتوجيه الزوار، وسيتم في نهاية المشروع إعداد دليل عن تاريخ مصياف وقلعتها. هذه اللمسة الحضارية التي يحملها مشروع الحفاظ على قلعة مصياف سيكون لها أكبر الأثر في هذا الصرح الخالد، وهذا الأمر سينعكس على مدينة مصياف بعد أن تأخذ القلعة صورتها المشرقة كجاذب سياحي مهم، يضاف إلى المشروع إعادة تأهيل السوق الصغير القريب منها، الذي تم إنجازه بالتعاون بين صندوق الآغا خان للثقافة ومجلس مدينة مصياف وشاغلي السوق، بتاريخ ٢٦ يونيو/ حزيران ٢٠٠٣م، إذ تمت إعادة إحياء ٧٦ واجهة حانوت تقليدي، وإنشاء سقف جديد، وتأمين مرافق جديدة للماء العذب، وإنشاء برك ولوحات للإعلانات، وحاويات للقمامة، مما يؤهل هذا السوق الذي يعود تاريخه إلى مطالع القرن العشرين، لاستعادة أهميته التجارية والثقافية الأصلية، ويجعل منه نقطة مركزية لجذب السياح والسكان المحليين على حد سواء.

قلعة حلب

تاريخ قلعة حلب وثيق الصلة بتاريخ المدينة نفسها، فالهضبة التي تقوم عليها القلعة يمكن أن تكون قد استخدمت موقعًا دفاعيًا منذ نشأة مدينة حلب قبل عدة آلاف من السنين. ومع ذلك، فإن أقدم أعمال الإنشاء الرئيسة المكتشفة في القلعة، هي موقع لمعبد فيه لوحات حجرية ضخمة منقوشة من الألفين الثاني والأول قبل الميلاد. ويمكن أن تكون الأجزاء الأولى من الأسوار قد بنيت خلال الحقبة اليونانية أو الرومانية، ثم قام



ترميم الحمامات في قلعة حلب من الداخل



الحمامات من الخارج

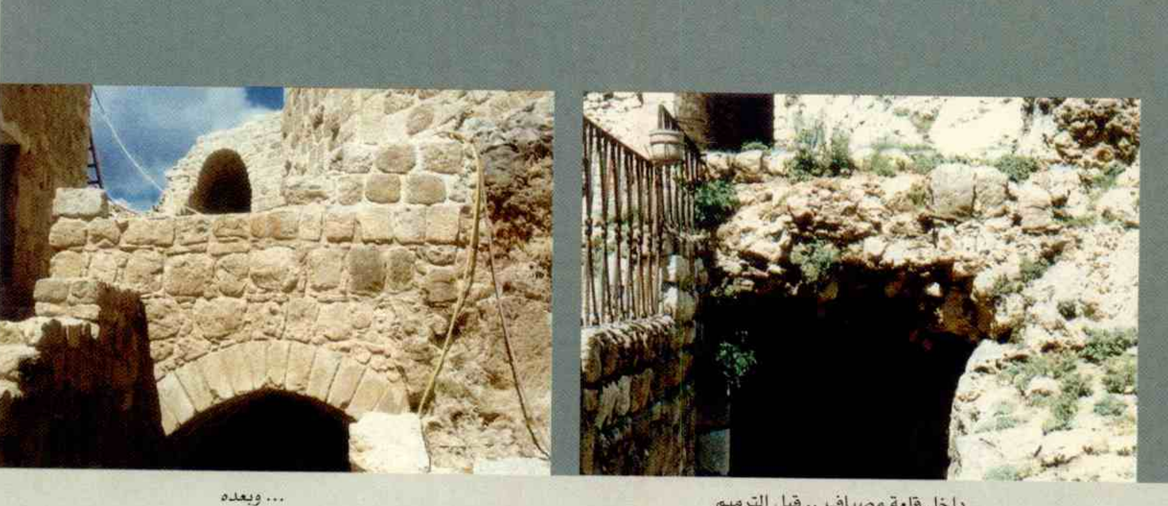
www.ahlaltareekh.com

البيزنطيون بترميم التحصينات، وإضافة صهريج الماء وتجهيزات أخرى، فغدت القلعة بذلك مركزًا دفاعيًا قويًا، احتاج العرب المسلمون إلى عدة شهور من الحصار، ليجبروا البيزنطيين داخل أسوارها على الاستسلام.

أضاف الحكام العرب المتعاقبون الكثير على منشآت القلعة، ولكن الظاهر غازي ابن صلاح الدين الأيوبي كان المساهم الأكبر، حيث أضاف خزانات للماء

المدينة إلى أن دمرها ثانية تيمور لنك المغولي عام ١٤٠٠م، وهو الفاتح الوحيد في التاريخ الذي احتلها بالقوة، وقد تم ترميمها من قبل المماليك عدة مرات.

فقدت قلعة حلب أهميتها الدفاعية في الحقبة العثمانية، ومع ذلك استخدموها ثكنات لجنودهم، كما أضاف المصري علي بك الكبير خلال حكمه القصير إلى سورية بين عامي ١٨٣٠و ١٨٤٠م بناء ثكنة رئيسة،



داخل قلعة مصياف .. قبل الترميم

... وبعده

وللحبوب، وغطى السطوح الخارجية بالحجر، كما رفع بوابة المدخل إلى مستواها الحالي، مع ربطها بواسطة جسر إلى جسم القلعة، وأضاف بوابات على طول الممر المؤدي إلى داخل القلعة، كما بنى بداخلها مسجداً وقصرًا وحمامًا ومنازل أخرى.

في عام ١٢٥٩م، نهبت القلعة ودمرها التتار، وقد أعاد المماليك ترميمها عام ١٢٩٠م، لتصبح مقرًا لحاكم

واستمرت القلعة في إيواء الحامية العسكرية في أثناء الحقبة الفرنسية، لكنها هُجرت فيما بعد.

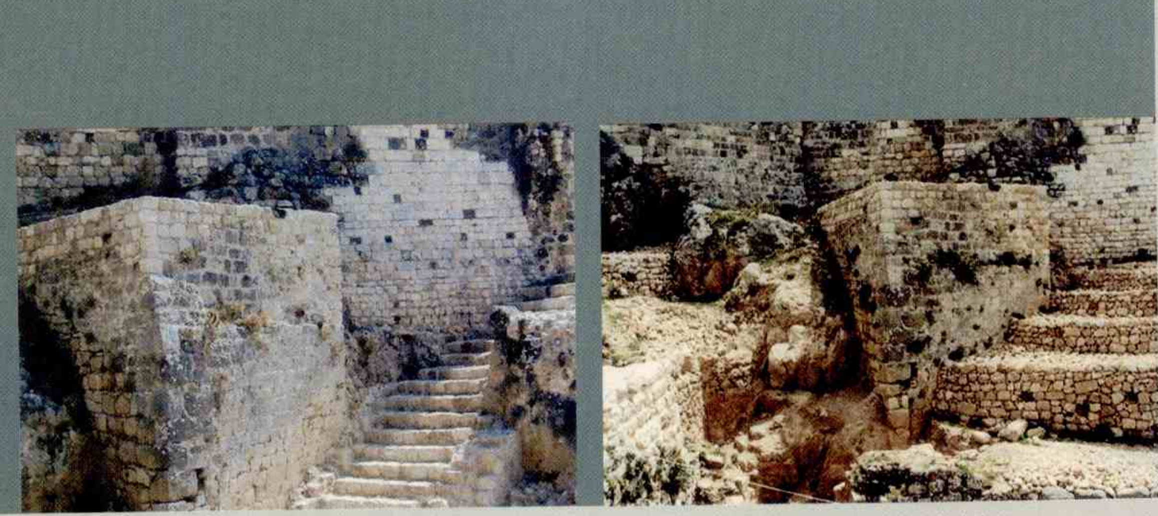
بدأت سورية منذ استقلالها جهود الترميم من قبل المديرية العامة للآثار والمتاحف، كما ساهم الكثير من البعثات الأجنبية ـ السورية المشتركة في الحفريات داخلها، والقلعة هي رمز لمدينة حلب، ومن أشهر المعالم السياحية في سورية.

www.ahlaltareekh.com

أعمال الحفاظ والترميم الجديدة

تقوم مؤسسة الآغا خان للثقافة بالتعاون مع المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية منذ عام ٢٠٠٠م بأعمال ترميم قياسية في قلعة حلب، وفق الطرائق الدولية المعتمدة في ذلك، وبأعمال تهيئة ضمن خطة واضحة لإعادة تأهيل القلعة كموقع أثري وجاذب سياحي في غاية الأهمية.

والتثبيت الإنشائي لأجزاء من الأسوار وعدد من الأبراج من الداخل والخارج، وفي الجهتين الشمالية والغربية وجزء من الجهة الجنوبية، التي تضررت بتأثيرات بشرية، وعوامل طبيعية؛ مما أضعف متانتها بشكل ملحوظ، وكذلك المجمع الأيوبي الذي يضم القصر وواجهته الرئيسة والحمام الملكي الذي خضع لأعمال ترميم وصيانة وإنارة مناسبة، وسوف تتم أعمال ترميم



داخل قلعة مصياف .. قبل الترميم

... وبعده

بدأت الأعمال بترميم برج الأسوار الواقع على الجهة اليسرى من برج المدخل، حيث كان متصدعًا، وتم تغيير شكل مدخله الأصلي في فترة الانتداب الفرنسي، كان الترميم المنفذ نموذجًا مميزًا بكل المقاييس، وتتابع مؤسسة الآغا خان للثقافة تنفيذ الخطة وفق منهج علمي متميز يعتمد التنسيق والمتابعة وأحدث الطرائق العلمية المعتمدة دوليًا وأدقها، وقد تم انجاز التدعيم

متميزة في المقرنصات الحجريّة التي تعلو المدخل.

كما تم تأهيل دار السلام (الزردخانة) لتكون متحفًا حربيًا، والمنحدر الحواري الذي ترتكز عليه القلعة، حيث تم الاهتمام بمعالجة بعض الأخاديد العميقة التي حفرتها التدفقات الغزيرة لمياه الأمطار من سطح القلعة، ومعالجة الإكساء الحجري المتساقط على جزء من منحدر القلعة في الجهة الغربية من برج

www.ahlaltareekh.com

المدخل، وتم تأهيل ثكنة إبراهيم باشا لتكون مركزًا يضم كافتيريا ومكانًا لبيع الأشياء التذكارية، كما سيضم المبنى في أحد أقسامه عرضًا متحفيًا، وقاعة لتقديم عروض مرئية. كما تم ترميم البرج المتقدم الشمالي، ومسارات السياح، وتمت إزاحة التربة الردمية المتراكمة، والكشف عن أطلال عمائر ودور سكن في معظم السطح الغربي للقلعة وإدخالها ضمن القصر الأيوبي، وقصر الطواشي وأعمال تدعيم وتثبيت الأبراج والأسوار من الخارج، وتثبيت الأطلال والمستويات، وضبط التصريف في سطح القلعة الغربي، وسوق القلعة، ومشروع ممرات السياح، وتأهيل ثكنة إبراهيم باشا لتكون مركزًا للزوار ومواقع في الهواء الطلق، وتأهيل دار السلاح لتكون متحفًا، والمهوى والبئر والخزان الأيوبي، وتنسيق شبكة أرضية



داخل قلعة حلب .. قبل الترميم



... وبعده

مسارات السياح، وتم ترميم البرج الأيوبي ٤٢ الذي خضع لأعمال ترميم وتثبيت من الداخل، وكذلك قطاع من الأسوار الجنوبية، ولدى مؤسسة الآغا خان للثقافة خطة مستقبلية تنفذها الآن، تهدف إلى استمرار الأعمال في المجمع الأيوبي وعناصره المعمارية، كمقرنصات المدخل الرئيس، والغرفة العثمانية، وتأهيل البرج الايوبي والساحة أمام مدخل للتمديدات الكهربائية، كما ستقوم المؤسسة في نهاية المشروع، بإنجاز دليل سياحي شامل عن تاريخ القلعة ولمحة عن مدينة حلب القديمة التي تحيط بها.

قلعة صلاح الدين

تقع قلعة صلاح الدين على بعد ثلاثين كيلو مترًا إلى الجنوب الشرقي من مدينة اللاذقية، وهي أكبر

www.ahlaltareekh.com

القلاع الصليبية في سورية، أتى ذكر لهذا الموقع الدفاعي أول مرة في القرن الخامس، وفي القرن العاشر احتله سيف الدولة الحمداني، ثم استعاده البيزنطيون في النصف الثاني من ذلك القرن، وأعادوا تحصين أسواره وأبراجه.

احتله الصليبيون عام ١١٠٨م، وأسموه (قلعة صهيون)، وأضافوا أسوارًا خارجية إلى أبراجها وتحصيناتها، حتى أصبحت أكبر قلعة للصليبيين في الشرق الأدنى، وأصبحت منشآتها تغطي مساحات تزيد على خمسة هكتارات، كما تم فصل القلعة عن الهضبة الواقعة إلى شرقها بشق ضخم في الصخر بطول ١٥٦ مترًا، وعرض ٢٠ إلى ١٤ مترًا، وارتفاع ٢٨ مترًا .

فتح صلاح الدين الأيوبي القلعة عام ١١٨٨م بعد ثلاثة أيام من الحصار، وقد بدئ ببناء المجمع الأيوبي داخل القلعة خلال هذه الفترة، ويتألف هذا المجمع من مسجد ومئذنة وقصر وحمام، وبعد انتهاء الوجود الصليبي في المنطقة، فقدت القلعة أهميتها الإستراتيجي، وهجرت، وتهدمت. وفي عام ١٩٥٧م قررت الحكومة السورية تسمية الموقع بقلعة صلاح الدين تخليدًا لذكرى من افتتحها عام ١١٨٨م. يعود تاريخ المنشآت المتبقية في القلعة إلى الحقب البيزنطية والصليبية والإسلامية، وقد شيدت منشآت الفترة الإسلامية بين أعوام ١١٨٨ و١٢٧٠م، ويصعب تحديد تاريخ كل منها بالضبط.



جانب من سوق مصياف الصغير ... قبل الترميم



... وبعده

أعمال الحفاظ والترميم الجديدة

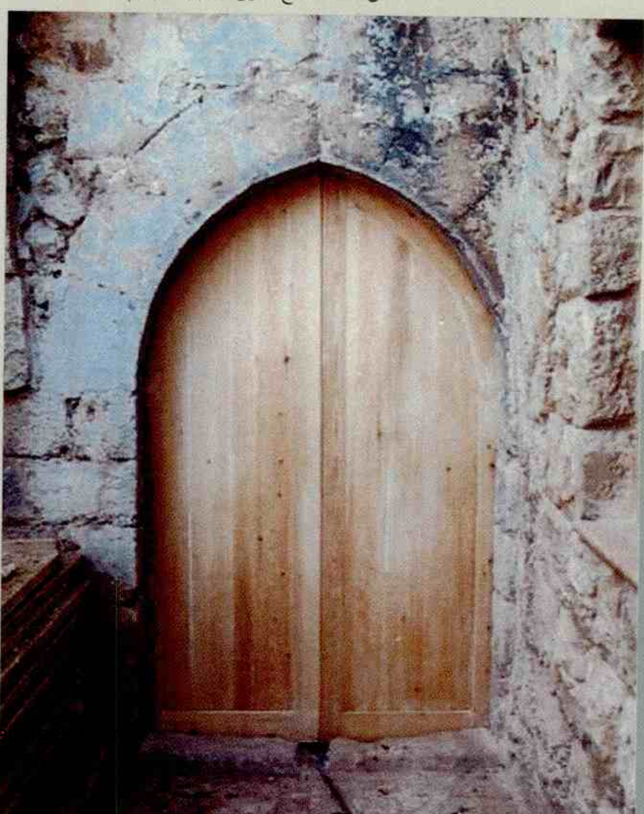
تقوم مؤسسة الآغا خان للثقافة منذ شهر أبريل/

www.ahlaltareekh.com

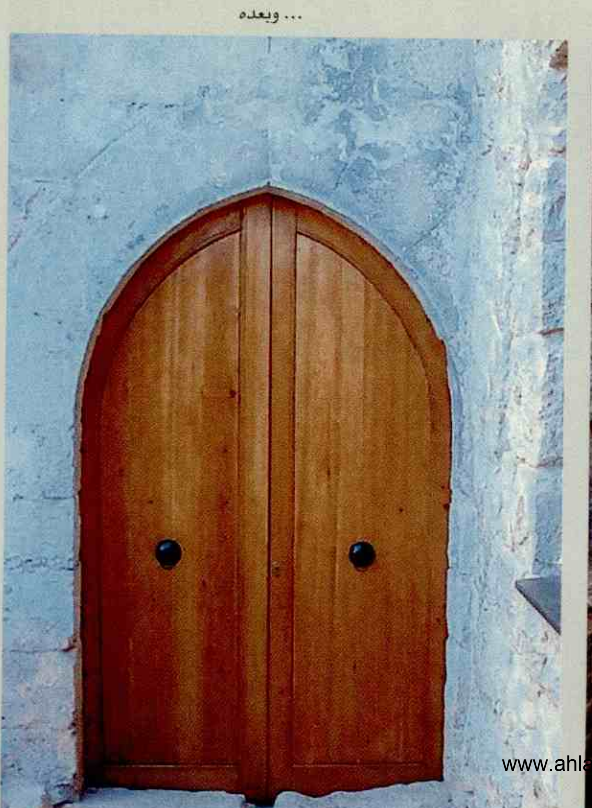
نيسان عام ٢٠٠٠م بأعمال الحفاظ والترميم في قلعة صلاح الدين، بإشراف المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية، وقد تمت عملية إكمال الاحجار الناقصة في المئذنة لأسباب إنشائية، وإعادة التكحيل، وترميم الأجزاء العلوية فيها، أما بالنسبة إلى الجامع والبناء الملحق به والمدخل والممرات فقد تمت إزالة المونة والإكمالات الأسمنتية المستخدمة سابقًا في الترميم، واستبدال المواد الكلية الأصلية بها، وتأمين أبواب ونوافذ خشبية ومعدنية للفتحات وتمديد الكهرباء، واعداد المجمع ليصبح مركزًا للزوار في القلعة. كما تم ترميم الأقسام المختلفة في القصر والحمام وتثبيتها، وبركة الماء والمقرنصات، وقامت المؤسسة بحفريات أثرية تحت إشراف المديرية العامة للآثار والمتاحف، أتت بمعلومات مهمة عن الوضع التاريخي لهذه المنشآت، وفيها تأكيد أنها فعلاً قصر أيوبي، وليست حمامًا فقط، كما كان يظن في الماضي، كما تم إنشاء مبنى لدورات مياه خارج القلعة أسفل الدرج، وأصلح ورمم برج البنات، ورصفت ممرات الزوار. ولدى مؤسسة الآغا خان للثقافة خطة تقوم بإنجازها الآن، تتضمن إنشاء مركز الزوار الذي سيتم فيه عرض لوحات تبين الشخصية العسكرية لصلاح الدين الأيوبي، والتطور التاريخي لإنشاء القلعة، كما ستوزع لوحات استدلالية، وإشارات إرشادية عبر الموقع ككل، وتهيئة الكافتيريا وتزويدها بالمعدات والأثاث، إضافة إلى تجهيز موقع استقبال الزوار في المدخل.

من جانب آخر، تلجأ مؤسسة الآغا خان للثقافة، في جميع عمليات الحفاظ والترميم التي تقوم بها في القلاع السورية الثلاث، بمسح ميداني مفصل للوضع

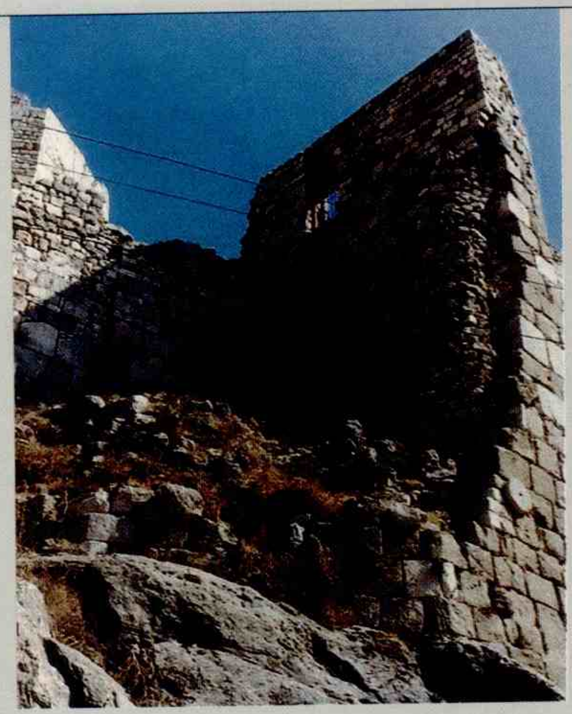
داخل قلعة صلاح الدين .. قبل الترميم



... وبعده



www.ahla


أسوار قلعة مصياف .. قبل الترميم


... وبعده

المعماري والإنشائي الحالي، ثم تقوم بوضع مخططات مفصلة له، إضافة إلى وضع دراسة إنشائية تعتمد فحص الأساسات والجدران والأسقف ودراسة التربة والأحجار ومواد البناء الأساسية، ثم تقوم بالإجراءات نفسها خلال عمليات الترميم والتثبيت، وفق أحدث الطرز العلمية المتبعة في العالم.

أخيرًا نشير إلى أن صندوق الآغا خان للثقافة، يقوم بتنفيذ مبادرات ثقافية ترمي إلى إعادة إحياء تراث المجتمعات الإسلامية، والاسهام في تطويرها الاقتصادي والاجتماعي، وإن برامجه تشمل جائزة الآغا خان للعمارة، وبرنامج دعم المدن التاريخية، وبرنامج الآغا خان لفن العمارة الإسلامية في جامعة هارفرد ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وشبكة العمارة Archnet والمبادرة الموسيقية في آسيا الوسطى، ومشروع الدراسات الإنسانية في آسيا الوسطى ووحدة المتحف.

تشّكل أنشطة الصندوق جزءًا من طريقة متكاملة للتنمية، تضطلع بها شبكة الآغا خان للتنمية AKDN، إذ تسعى جاهدة إلى إيجاد برامج يتمّم ويعزّز كل منه الآخر، فقد أطلقت خلال السنوات الأربع الأخيرة في سورية عددًا متنوعًا من أنشطة التنمية في كل من محافظات: حماة، وحلب، وطرطوس ... واللاذقية. تضمنت هذه الأنشطة المساهمة في المجال الصحي، والترميم الثقافي، وتنمية الطفولة المبكرة، والتربية، وإدارة المياه، والقروض الصغيرة.

إشارة

اعتمد الموضوع على نشرات مؤسسة الآغا خان للثقافة، وزيارة الكاتب الميدانية للمواقع التي تتم فيها عمليات الحفاظ والترميم في القلاع الثلاث، ومدينة مصياف.

www.ahlaltareekh.com





الأفلاج العمانية ابتكار هندسي فريد

يحيى حسن وزيري

القاهرة ـ مصر

الماء في الرؤية الإسلامية هو أصل الحياة وأساسها مصداقًا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وجعلنا من الماء كلَّ شيء حي﴾ الأنبياء:٣٠. ولقد قامت الحضارات الكبرى القديمة في أماكن توافر الماء سواء كان ذلك عن طريق الأمطار أو الأنهار. وفي بعض الأماكن كان الاعتماد على ماء الآبار والينابيع الطبيعية. ولكن في بعض الحالات الأخرى تكون قلة الموارد المائية سببًا في بحث الإنسان عن وسائل مبتكرة لتوفير الماء أو نقله إلى الأماكن والمجتمعات العمرانية التي تعاني قلة الماء أو ندرته لتلبية الحاجات الأساسية لحياة الإنسان.

ومن المناطق التي تمثل الحالة الأخيرة أصدق تمثيل هي سلطنة عمان في الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة العربية حيث انعدام وجود الأنهار وقلة الأمطار، والاعتماد خاصة في الماضي كان أساسًا على آبار المياه التي تستقي ماءها من جوف الأرض، مما حدا بالعمانيين إلى ابتكار فكرة استخدام الأفلاج المائية بأشكالها المختلفة وتطويرها.

تحكي بعض الأساطير العمانية القديمة أن سليمان بن داود عليه السلام دخل عمان فأقام فيها عشرة أيام، وأمر الشياطين في كل يوم يحفرون ألف نهر، فسار منها وقد جرى منها عشرة آلاف نهر(١)، تلك هي القصة التي أوردها مسلمة بن مسلم العوتبي في كتابه الأنساب تفسيرًا لأصل وجود الأفلاج في عمان، التي تعد بمنزلة شرايين الحياة التي توصل المياه إلى مناطقها الصحراوية.

ويرى ولكنسون(٢) أن الجذر اللغوي لكلمة فلج يرتبط في اللغات السامية بمعنى التقسيم والمشاركة، وأنه لا يعني مجرى مائيًا إلا بصورة ثانوية فحسب «فهو نظام توزيعي للمياه بين أولئك الذين لهم مصلحة فيه».

والواقع أن كلمة فلج تعني المعنيين معًا: التقسيم والنهر

www.ahlaltareekh.com



منظر لفلج بركة الموز

الصغير، وكل شيء شققته نصفين فقد فلجته، وقد فطن إلى ذلك فرانسيسكو ساردا في دراسته «الأفلاج العمانية ومجاري المياه» حين رجع إلى المراجع العربية مثل «جمهرة اللغة» لابن دريد، و«المحكم» لابن سيده الأندلسي و«لسان العرب» لابن منظور، و«تاج العروس» للزبيدي (٣)، والاستعمال الشائع لكلمة فلج يعني نظام الري بالقنوات.

وقد وجدت الأفلاج في عمان منذ ما قبل الإسلام، فهو نظام هندسي للري تتوارثه الأجيال منذ مئات السنين، فبعض أفلاج مدينتي منح ومسائل، على سبيل المثال، تم بناؤها منذ ما يزيد على ١٥٠٠ عام، بينما توجد أفلاج في المنطقة الشرقية بنيت في بداية القرن العشرين، ويصل عدد الأفلاج في عمان إلى أكثر من ٤٠٠٠ فلج تتوزع على ولايات السلطنة، وتتصدرها ولاية صحار بـ ٧٠ فلجًا (٤).

وتشيد الأفلاج على أشكال مختلفة، فقد تكون القناة مخفية في باطن الأرض حتى نقطة وصولها إلى الاستغلال البشري، وقد تظهر ثانية، وقد يقيم أصحاب الفلج مساقط ماء عند بعض نقاط القناة للاستفادة منها في تشغيل طواحين حجرية (٥)، وتتقسم الأفلاج إلى ثلاثة أنواع (٦):

www.ahlaltareekh.com

. **الفلج الداودي**: وهو عبارة عن قناة طويلة محفورة تمتد عدة كيلومترات تحت الأرض بعمق يصل إلى عشرات الأمتار، ويمتاز الفلج الداودي بتواصل جريانه طوال العام، وتبلغ نسبة هذا النوع من الأفلاج نحو ٤٥٪ من عدد الأفلاج في السلطنة، ويلاحظ وصف هذا النوع من الأفلاج «بالداودي» نسبة إلى سيدنا داود عليه السلام.

. **الفلج العيني**: ويستمد مياهه من إحدى العيون، ومنها عيون ساخنة، كفلج الحمام ببوشر في محافظة مسقط، وعدد هذه الأفلاج محدود.

. **الفلج الغيلي**: ويستمد مياهه من المياه الجارية السطحية وشبه السطحية بأعماق لا تزيد على ٣ ـ ٤ أمتار، ويزيد منسوب المياه في هذا النوع من الأفلاج مباشرة بعد هطل الأمطار، وقد يجف عند انقطاع الأمطار مدة طويلة، وتبلغ نسبة الأفلاج الغيلية في السلطنة ٥٥٪.

وهذا التنوع في أشكال الأفلاج من أجل الاستفادة القصوى من الموارد المائية القليلة من أجل خدمة الاستيطان البشري في مناطق متعددة من عمان، وبخاصة على جانبي الجبل الأخضر، وفي سهول الباطنة المطلة على خليج عمان، وسهول الظاهرة المطلة على صحراء الربع الخالي، وبذلك فإن نظام الري بالأفلاج يتناسب مع البيئة العمانية بسبب انعدام الأنهار مع ارتفاع درجات الحرارة بصورة كبيرة.

ولتحديد أماكن توافر إمدادات المياه الباطنية (الجوفية) تتم الاستعانة بباصر أي رجل بصير بمعرفة مواقع الماء تحت الأرض، حيث يقوم بفحص النباتات النامية أو الكشف عن وجود برك مائية أو أي شيء آخر قد يوحي بوجود نبع أو كميات وافرة من الماء في باطن الأرض، ويتم التأكد من حجم الماء الباطني عن طريق حفر بئر أو سلسلة آبار تجريبية، وقياس مقدار التدفق عن طريق النزح، وإذا كانت نتيجة هذه الفحوص مرضية يبدأ



www.ahlaltareekh.com



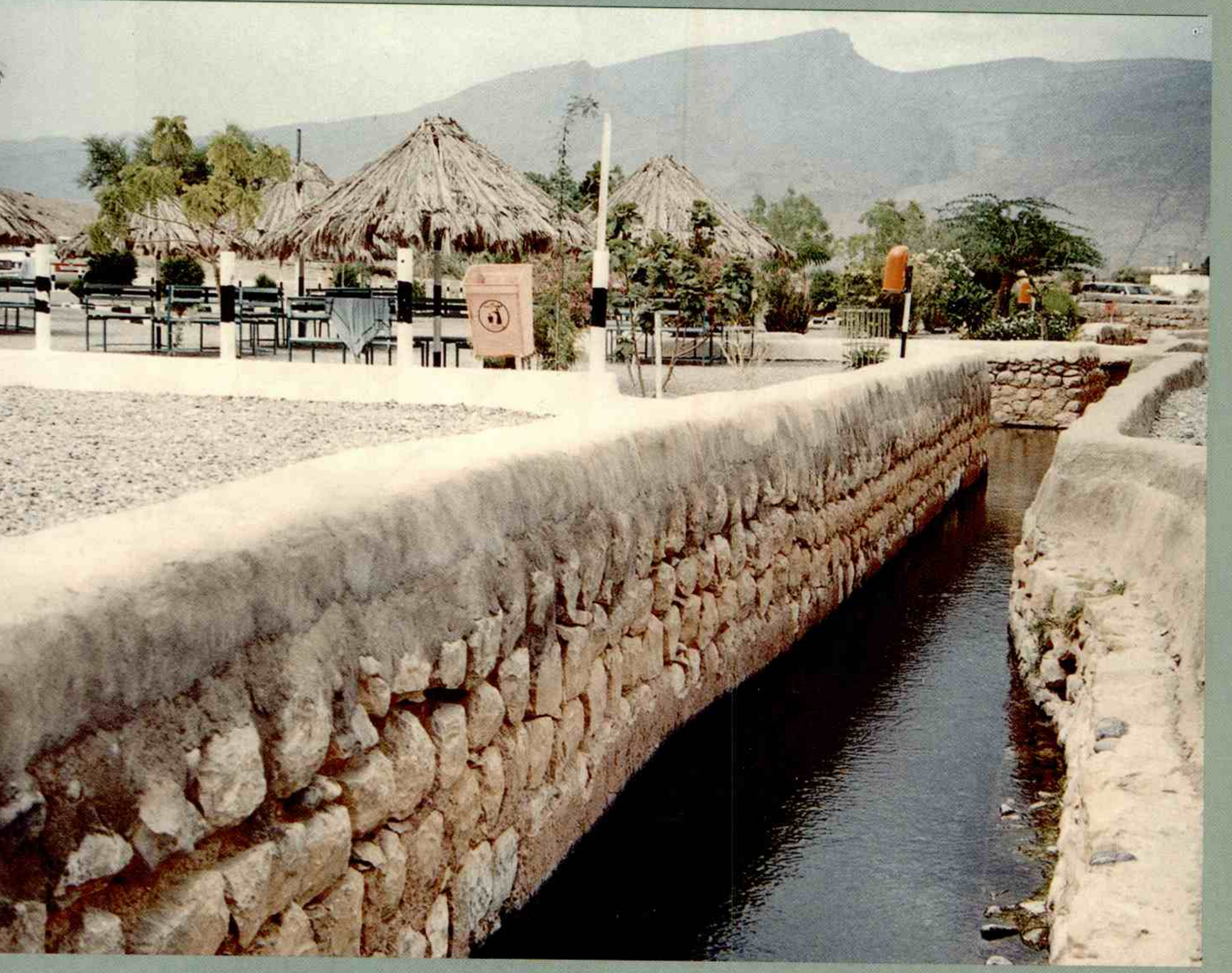
نظام الري التقليدي عن طريق الأفلاج بالجبل الأخضر

العمل في حفر الفلج ابتداء من مصبه الذي يبعد في الغالب عدة كيلومترات عن البئر الأم الماء، ويتم حفر قناة مائلة برقة مع إقامة مجار رأسية على فواصل (مسافات) منتظمة لتوفير الهواء النقي اللازم لعمال حفر القناة والسماح بنقل الأنقاض (٧).

وتكاد تنفرد قبيلة العوامر بعملية حفر الأفلاج وتمديدها، ولا سيما إذا كانت في الصخر الأصم، وهو عمل شاق يستدعي استعمال المطرقة والإزميل تحت الأرض في درجات عالية من الحرارة والرطوبة، ومن كان منهم يحترف هذا العمل تكون بنيته قوية، ويتم حفر الفلج بأسلوب معين حيث تحفر قصبات أو ثقايب (مفردها ثقابة) قبل المجرى بقليل ويجرى الحفر صعداً من عند كل ثقابة، ويكون الانحدار النهائي هو الحد الأدنى الذي لا بد منه لسيلان الماء، وتتوقف مقاييس النفق على صلابة الصخر فكلما زادت صلابة الصخر صغرت المقاييس، وقياس الإنجاز يتم بالوحدات المتوارثة، فالباع هو طول امتداد الذراعين جانبًا ويبلغ طوله ١٧٢سم تقريبًا والذراع نحو ٤٣سم، وتمثل المسافة بين رؤوس الأنامل إلى الكوع على ذراع ممدودة، وهذه الوحدات يمكن استعمالها في القياسات الأفقية على امتداد مجرى الفلج وفي القياسات العمودية هبوطًا في ثقابة أو بئر، وإن كان يغلب أن تستعمل القامة في القياسات العمودية أكثر من الباع، والقامة مقدار ارتفاع «الرجل العادي» وهي أيضًا ١٧٢سم، والقياس عادة يجرى بعصا من جريد النخل ذات طول معير بدل الاعتماد على القياس بقامات رجال متباينين طولاً (٨).

وتواجه بناة الأفلاج مشكلتان رئيستان: هما تأمين

www.ahlaltareekh.com



منظر لفلج دارس - بنزوى

سرعة تدفق كافية ومتواصلة للمياه على طوال القناة، والتغلب على العقبات الناتجة من مرورها بالأودية والعوائق الأخرى، وللتغلب على المشكلة الأولى يجب على البنائين الموازنة بين درجة انحدار القناة ومعدل مستوى المياه المتدفقة مع مراعاة الاختلافات الموسمية لهذا المستوى، ولتجنب الاحتكاك والتأكّل وفقدان المياه تتم كسوة جدران القناة بأسمنت محلي مقاوم للمياه المتدفقة يعرف باسم «الصاروج»، أما بالنسبة إلى المشكلة الثانية فإذا لم يكن الوادي الذي يمر به الفلج عريضًا جدًا، وتدفق مياه الفلج غير شديد، فبإمكان بناة الأفلاج استخدام جذوع أشجار النخيل المجوفة لنقل المياه عبر الوادي، لأنه يمكن استبدالها بسهولة إذا جرفتها مياه سيول استثنائية، أما بالنسبة إلى فلج كبير سريع التدفق مع واد أكثر عرضًا يجب عليه اجتيازه، فيتم بناء مجرى دائم قوي قادر على

www.ahlaltareekh.com

الوقوف في وجه فيضانات متوسطة، ومثل تلك القنوات يتم بناؤها عادة على أعمدة أو قناطر مقواة بدعامات تحميها في وجه تيار الفيضانات (٩).

ويخضع استعمال مياه الأفلاج في القرى والمناطق السكنية لنظام صارم يجب اتباعه، ففي أعلى الفلج حيث يخرج الماء إلى سطح الأرض توجد فتحة يمكن لكل الناس أخذ مياه الشرب منها وللوضوء، فالمياه ملك عام مشترك في المناطق السكنية، وكان نظام الاستخدام المنزلي لها كما يأتي(١٠): أولاً: الشرب منها، ثم الاستحمام بحيث يكون حمام الرجال أعلى من حمام النساء، وكل منهما محاط بسياج صغير، ثم يأتي بعد ذلك مكان غسل الموتى، بعد ذلك كانت المياه توزع للري، وعادة تكون هناك عدة مجار تتفرع من القناة الرئيسة.

وقد يخصص جزء من المحصولات الزراعية وفقًا للفلج للصرف على صيانته، وذلك باتفاق الأهالي، وتحت إشراف وكيل الفلج، وهو شخص منتخب يشرف على عملية توزيع مياه الفلج على الحيازات الزراعية المختلفة وفق نظام دقيق يعتمد على التقسيم الزمني.

كما تقع مسؤولية تنظيف الفلج - إذا كان صغيرًا - على عاتق الأفراد، كما أنهم ينظفون القنوات الصغيرة، ويقومون بإصلاحها؛ لأن كميات المياه التي يمكن فقدها في القنوات التي تترك دون صيانة تصل إلى ضعف كميات المياه المفقودة في القنوات التي يتم تنظيفها وإصلاحها، كما أن عدم تنظيف القنوات يؤدي إلى زيادة ملوحتها (١١).

ومن النماذج الفريدة التي توضح التكامل بين الماء، في صورة الأفلاج، والبناء هو مرور بعض الأفلاج داخل بعض الحصون العمانية القديمة، كما في حالة مرور فلج «الخطمين» الذي يمر داخل قلعة «بركة الموز» وكما في حالة مرور فلج عبر الفناءين الداخليين بحصن جبرين في تصميمه الأصلي (١٢)، وهو يعكس حالة تصميمية فريدة للأفنية الداخلية حيث المزج بين الماء والعمارة بأسلوب طبيعي يؤكد علاقة الترابط ما بين خارج المبنى وداخله.

إن الأفلاج العمانية إلى جانب كونها إنجازًا هندسيًا عبقريًا في أساليب الري لخدمة المجتمعات العمرانية التي كانت بعيدة عن مصادر المياه، فقد أدّت أيضًا دورًا اجتماعيًا واقتصاديًا في تاريخ المجتمع العماني، كما أنها من جانب آخر تمثل تراثًا معماريًا فريدًا له خصائص جمالية رفيعة المستوى، مما يدعو إلى أهمية صيانتها والحفاظ عليها بوصفها أحد المعالم الحضارية الباقية بالجزيرة العربية والتي تحمل عبق الماضي والتاريخ.

المراجع والهوامش

١. الشاروني، يوسف (١٩٨٦م). سندباد في عمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢. ولكنسون، جي (١٩٨١م)، نشأة الأفلاج في عمان حصاد ندوة الدراسات العمانية، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.
٣. الشاروني، المرجع السابق.
٤. مسيرة الخير (٢٠٠١م). وزارة الإعلام، سلطنة عمان.
٥. عمان في التاريخ (١٩٩٥م). دار إيميل للنشر، لندن.
٦. مسيرة الخير، مرجع سابق.
٧. فاين، بيتر (١٩٩٥م). تراث عمان. دار إيميل للنشر المحدودة، لندن.
٨. العوامر، قبيلة متخصصة بحفر الآبار والأفلاج في شمال عمان الداخلية (١٩٧٨م). مجلة الدراسات العمانية (مجموعة مختارة من الدراسات التاريخية من الجزءين الأول والثاني الصادرين عام ١٩٧٥م وعام ١٩٧٦م)، إصدار وزارة الإعلام والثقافة، سلطنة عمان.
٩. الشاروني، مرجع سابق.
١٠. هولي، دونالد (١٩٩٨م). عمان ونهضتها الحديثة، مؤسسة ستايسي الدولية، لندن.
١١. ولكنسون، جي (١٩٨١م). الأفلاج ووسائل الري في عمان (ترجمة محمد أمين عبدالله)، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.
١٢. لمعرفة المزيد من التفاصيل انظر: كالديري، يوجينو (١٩٧٨م)، تحفة رائعة من العمارة العمانية في القرن السابع عشر (قصر الإمام بلعرب بن سلطان اليعربي في جبرين)، مجلة الدراسات العمانية (مجموعة مختارة من الدراسات التاريخية من الجزءين الأول والثاني الصادرين عام ١٩٧٥م وعام ١٩٧٦م)، إصدار وزارة الإعلام والثقافة، سلطنة عمان.

www.ahlaltareekh.com



الأمويون في الأندلس وفريضة الحج

خالد بن عبدالكريم البكر

الرياض ـ السعودية

عندما حدث الانقلاب العباسي ضد الخلافة الأموية سنة ١٣٢هـ جرت عمليات مطاردة واسعة النطاق لأفراد البيت الأموي، بغرض تصفيتهم واستئصال شأفتهم لئلا تبرق لهم بارقة أمل في استعادة حكمهم البائد. لكن القسوة المفرطة التي استعملها العباسيون ضد خصومهم لم تؤد إلى الهدف المنشود الذي كانوا يأملون.

فقد ثبت الأمويون في مواجهة المحنة، وما زادتهم إلا إصرارًا على البحث عن مكان آخر لإحياء تراثهم التليد في مجال الإدارة وشؤون الحكم، وما هي إلا بضعة أعوام حتى تمكن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك من سلخ الأندلس عن جسم الدولة العباسية، وإنشاء إمارة أموية فيها سنة ١٣٨هـ وإحباط محاولات العباسيين في ضرب هذا المشروع السياسي الطموح؛ إذ باءت جميعها بالفشل الذريع والإخفاق الكبير، فلم يجد الخليفة أبو جعفر المنصور أمامه سوى الاعتراف بمقدرة خصمه والإشادة بمواهبه السياسية والإدارية، فخلع عليه لقب «صقر قريش»، معللاً ذلك بأن عبدالرحمن شاد ملكًا عظيمًا منفردًا بنفسه، فقد جاء إليه طريدًا شريدًا وحيدًا، فدوّن الدواوين، وجنّد الأجناد، ومصّر الأمصار.

وعلى الرغم من أن اعتراف المنصور يدل على يأس الخلافة العباسية من استعادة الأندلس، ويكشف عن جانب من سياسة العباسيين تجاه أقاليم الغرب الإسلامي البعيدة، حيث لم تنشط الخلافة العباسية في تأكيد حضورها المباشر في تلك الأصقاع، وإنما اكتفت منها بالسيادة

www.ahlaltareekh.com



الاسمية. وعلى الرغم أيضًا من أن البيت الأموي لم يعد يشكل خطرًا على العباسيين، بعد اجتماع فلول الأمويين في الأندلس، وهي تقع في أقصى الغرب الإسلامي؛ إلا أن الوحشة السياسية بين الطرفين ظلت قائمة ، وبسببها كان الأمويون يتحوطون على أنفسهم بالمشرق، بينما أحجم أمويو الأندلس عن المجيء أصلاً إلى المشرق. ويدفعنا ذلك إلى التساؤل هل تمكن أمويو الأندلس من أداء فريضة الحج، الركن الخامس من أركان الإسلام، ونجحوا في تضليل عيون العباسيين وعملائهم في الحجاز، أم أنهم قعدوا عن أداء هذه الشعيرة لعدم الاستطاعة؟!

الواقع أن (ابن حزم) ذهب إلى القول بأن أحدًا من أفراد الأسرة الأموية لم يرحل إلى الحج، إلا أنه استثنى منهم رجلاً واحدًا، اسمه محمد بن عبدالجبار بن عبدالعزيز ابن عبد الجبار بن عبدالرحمن الناصر، فوصف إقدامه على الحج بأنه ضرب من المغامرة، إذ لم يفعلها أحدٌ من بني أمية. فقال في ذلك: «وحج محمدٌ هذا مغررًا بنفسه، ولم يحج من قومه أحدٌ غيره» (١).

لم يكن (ابن حزم) دقيقًا حينما قطع بأن جميع الأمويين

www.ahlaltareekh.com



استأجر الأمويون من يحج عنهم وخصوصًا التجّار





تحفظ الأمويين اقتصر على الأمراء وأبنائهم المرشحين لولاية الأمر

في الأندلس أحجموا عن أداء فريضة الحج، فلئن صحّت شهادته تلك على أمراء الأندلس وبنوهم من بعدهم؛ إلا أنها لا تنسحب بالضرورة على سائر أفراد البيت الأموي. فقد ارتحل بعض الأمويين من الأندلس إلى الحجاز منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. فمن هؤلاء مثلاً حبيب بن الوليد بن حبيب بن عبدالملك، الذي رحل إلى الحجاز أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم (٢٠٦– ٢٣٨هـ)، فأدى فريضة الحج، بل والتقى بعض ممثلي السلطة العباسية في الشام فلم ينله أذى (٢). كما ارتحل في الفترة ذاتها معاوية بن محمد ابن هشام، فحج سنة ٢٧٥هـ، ثم عاد إلى الأندلس (٣).

بل إن (ابن حزم) نفسه قد حدّث تلاميذه برحلة أبي بكر محمد بن معاوية الأموي، المعروف بابن الأحمر، إلى المشرق (٤) كما حدثنا (ابن حزم) أيضًا عن رحلة حج في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، قام بها أحد أبناء الأسرة الأموية في الأندلس، وهو (عبدالملك بن محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن الناصر) (٥).

ويظهر من العرض السابق أن التحفظ الشديد الذي التزمه الأمويون فيما يخص قضاء فريضة الحج؛ إنما اقتصر بالدرجة الأولى على الأمراء الذين حكموا الأندلس وعلى أبنائهم المرشحين لولاية الأمر من بعدهم، ويعزز ذلك أننا لا نجد في المصادر التي بين أيدينا ما يشير إلى قيام الأمراء الأمويين أو أبنائهم بالرحلة إلى الحجاز. ولعلهم استأجروا من يحج عنهم ممن يثقون بدينهم وأمانتهم وصدق إخلاصهم، كما فعل الأمير محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨- ٢٧٣هـ) حينما طلب من أحد التجار الوافدين على الأندلس، وهو محمد بن موسى الرازي، أن يحج عنه (٦).

وكذلك فعل الحكم المستنصر بالله، إذ طلب رجلاً عالمًا زاهدًا يحج عن والدته، نظير خمسمئة دينار (٧)، وذلك عندما كان وليًا لعهد أبيه الخليفة الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ). ومن الواضح أن المستنصر لم يرحل للحج، وخصوصًا في أثناء خلافته، ولعله استأجر من يحج عنه من أفاضل العلماء الذين تربطهم به علاقات متينة. ومن الطريف أن أحد شعراء الأندلس حاول أن يسوغ ترك الحكم المستنصر لأداء فريضة الحج، معللاً ذلك بتعاظم نفوذ الفاطميين في

www.ahlaltareekh.com

الأماكن المقدسة، إبان القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي فقال في ممدوحه (٨):

يرى أن تـرك الحج أنجـى لدينـه
من الحج باسم الرافضي الذي صبا

ولقد ذهب (ابن خلدون) إلى أبعد مما ذهب إليه (ابن حزم) بما يتعلق بتحفظ الأمويين في الأندلس من الرحلة إلى الحجاز، فأشار إلى أن حكام الأندلس الأمويين منعوا وزراءهم وكبار موظفي دولتهم من الحج خوفًا من احتجازهم من قبل العباسيين، فقال بهذا الصدد: «ولقد كان بنو أمية بالأندلس يمنعون أهل دولتهم من السفر لفريضة الحج لما يتوهمونه من وقوعهم بأيدي بني العباس، فلم يحج سائر أيامهم أحدٌ من أهل دولتهم، وما أبيح الحج لأهل الدول من الأندلس إلا بعد فراغ شأن الأموية ورجوعها إلى الطوائف ...» (٩) . لكن المعلومات المستقاة من المصادر التي بين أيدينا تفيد أن عددًا من الوزراء والقضاة وأرباب المناصب العليا في الدولة الأموية، قد خرجوا للحج خلال أوقات متفاوتة من العصر الأموي، ففي القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، استأذن عبدالله ابن الأشعث - وكان قاضيًا لإشبيلية - الأمير الحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦هـ) في الرحلة إلى الحج فأذن له (١٠) . أما عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة، فقد تقلد عدة مناصب في عهد الأمير عبدالله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠هـ)، ثم استأذن الأمير عبدالله لقضاء فريضة الحج، فأذن له (١١) . كما خرج موسى بن محمد بن زياد للحج، وكان قد تقلد خُططًا مهمة، مثل: الكتابة والوزارة والقضاء (١٢). ويتضح مما سبق أن أمويي الأندلس لم يضعوا قيودًا تمنع كبار موظفي دولتهم من أداء فريضة الحج. وإن كان هناك شيء من التقييد أو التحفظ على رحلة (أهل الدول)؛ فلعله اقتصر على فترة التأسيس للحكم الأموي في الأندلس، أي طوال عهد الأمير عبدالرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ)، وخصوصًا أننا لا نجد في المصادر التي بين أيدينا ما يشير إلى أن أحدًا من وزراء الأمير عبدالرحمن الداخل أو حجابه قد أدى فريضة الحج. ويرجع ذلك فيما يبدو إلى تخوف الأمير الداخل على أنصاره من تأثير الدعاية العباسية؛ لأن فكرة الولاء لإمارات خارجة عن إجماع المسلمين لم تكن مقبولة في النصف الأول من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، فضلاً عن خشية الأمويين من وقوع أنصارهم بأيدي بني العباس.

المراجع

١. ابن حزم، علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٥، القاهرة، دار المعارف، ص١٠١.

٢. ابن حيان، حيان بن خلف، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ٩٤-٩٥.

٣. ابن الأبار، محمد بن عبدالله، التكملة لكتاب الصلة، نشره عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، ج٢،ص ٦٩٢.

٤. الحميدي، محمد بن أبي نصر، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج١،ص١٤٦.

٥. ابن حزم، جمهرة، ص٤١٩.

٦. ابن حيان، المقتبس، ص ٢٦٧.

٧. القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، المجلد الثاني، ص٥٤٣.

٨. ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبدالرحمن علي الحجي، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٣م، ص٢٣٢.

٩. ابن خلدون، ولي الدين عبدالرحمن بن محمد، المقدمة، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ص ٢٨٥.

١٠. ابن الأبار، التكملة، ج٢، ص٧٧٤.

١١. ابن الأبار، محمد بن عبدالله، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٣م، ج١، ص١٤٧، ٢٤٧.

١٢. الخشني، محمد بن حارث، قضاة قرطبة، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م، ص ٩٤.

www.ahlaltareekh.com



استطلاع



وادي لجب: متنزه ومضمار هوايات وحقل تعليم

يحيى بن مقنع الأمير

الرياض ـ السعودية

تباعدت صفائح القارات قديماً، فكانت جازان جزءًا من الدرع العربي بمكوناته الجيولوجية المتعددة. وتقاربت الأهداف والقلوب حديثاً على يد المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود، طيب الله ثراه، فتوحدت جازان مع المقاطعات الأخرى مكونة المملكة العربية السعودية.

وصدرت الأنظمة في عهد خادم الحرمين الشريفين، حفظه الله، فجاءت جازان إحدى مناطق البلاد الثلاث عشرة، تقع منها في الركن الجنوبي الغربي، يطل ثغرها الباسم غرباً على البحر الأحمر، وتتعمق فيه بمقدار العمق الإستراتيجي للمملكة.

تتباين عليها مظاهر السطح ؛ بين جزر غافية وسط المياه، وشواطئ موشاة أطرافها برمال ذهبية، ثم سهول زراعية خصبة تمتد شرقاً بعرض يزيد متوسطه على ٣٠ كلم، تنتج أطناناً من غلال الدخن والذرة والسمسم، وسلال فاكهة المانجو والتين، وشجيرات ردائم الفلّ الأبيض الفوَّاح، إلى جبال شرقية يراوح ارتفاعها بين ٥٠٠ و ٢٠٠٠م تلونُ سفوحها مدرجات البرِّ والبن، وبعض الفواكه من حمضيات وموز وباباي، وأحواض من النباتات العطرية.

تختلف فيها أوجه المناخ بين رطب على الجزر والسواحل، وشبه جاف على السهول الداخلية ومعتدل فوق المرتفعات. تتزايد نسب معدل سقوط الأمطار صيفاً بفضل الله، ثم بسبب الرياح الجنوبية الغربية، وتتناقص

www.ahlaltareekh.com



مدخل أحد الكهوف في الوادي

مع تفرقها خلال الفصول الأخرى.

تنحدر من جبالها، ثم تفيض في سهولها بآلاف الأمتار المكعبة من المياه والطمي عدد ستة عشر وادياً رئيسًا يصب بعضها في البحر عندما تخلو مجاريها من العقوم (١)، ونوردها بالترتيب من الشمال إلى الجنوب (عرمرم - ريم - عتود - رملان - بيض - سمرة - معقر - السِّر - بيش - صبيا - ضمد - جيزان - الخُمس - خُلب - تعشر - حرض «وادي بن عبد الله») تغذيها حال نزول الأمطار نحو ٥٢ وادياً ورافدًا منها ثمانية عشر واديًا تجتمع في وادي بيش. وسوف نتحدث عنها بالتفصيل لاحقاً بإذن الله، كما تجتمع أيضاً عشرة أخرى من تلك الأودية في وادي جيزان.

موقع وادي لجب الخاص

يقع وادي لجب في محافظة الريث، إحدى محافظات منطقة جازان الثلاث عشرة، وتقع في الشمال الشرقي منها. يحدها من الشمال منطقة عسير، ومن الجنوب جبال العزيين التابعة لمركز هروب، محافظة

www.ahlaltareekh.com

العيدابي، ومن الشرق مركز الحشر، محافظة بني مالك، ومن الغرب محافظتا القياس وبيش، وتبعد حاضرتها بلدة (رخية) عن قاعدة المنطقة مدينة جازان مسافة ١٤٠كم شمال شرق، ويقدر عدد سكانها بنحو ١٥٠٠٠نسمة. يصنف معظمهم من البدو الرحل لكثرة تنقلاتهم بحثاً عن الماء والكلأ اللازمين لتربية ماشيتهم، وبخاصة الماعز. أما بقيتهم فيعملون في المزارع القليلة لقلة الأراضي الصالحة لها، ويعمل بعضهم في الوظائف الحكومية.

يعود نسب سكان الريث إلى قبيلة قحطان، ومن أسماء قبائلهم الخاصة (آل سلمه وهم الأكثر عدداً، وآل مسعود، وآل مَشْحَنَة، وغيرها) ولكن الاسم الشامل لهم قبيلة الريثي.

وبها من الدوائر الحكومية الإدارية والخدمية الآتي:

- محافظة ويتبعها مركز إمارة واحد فئة «ب» في بلدة مُقْرُع
- مركز شرطة.
- محكمة شرعية
- مركز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ثلاثة مراكز رعاية أولية في (رخية، وجبل القهر(الرهوة)، ومُقْرُع).
- مكتب بريد في رخية وخدمات بريدية للقرى التابعة لها.
- ثلاث وثلاثون مدرسة منها أربع ثانويات للبنين والبنات، والأخرى بين متوسطة وابتدائية.

رفاق الطريق

وقد تطوع بمرافقة القائم بالاستطلاع مشكورين في هذه كلٌ من الأستاذ محمود بن محمد مدخلي مدرس مادة الأحياء، والأستاذ علي بن محمد صميلي مدرس مادة الجيولوجيا من منسوبي ثانوية الشيخ عبد الله القرعاوي في صامطة، وكذلك الموظف بإمارة المنطقة، ومن سكان محافظة العيدابي السيد أحمد بن محمد الأمير، وهو مرشد لنا إلى الموقع، وذو دراية كبيرة بلهجة قبائل المناطق الجبلية وعاداتهم، إضافة إلى المصور.

الطريق إلى لجب

وكانت بداية طريقنا إلى وادي لجب ؛ من نقطة تقع جنوب مدينة بيش على الطريق الإقليمي الذي يربط جنوب غرب المملكة باليمن، حيث المتفرع منه باتجاه الشمال الشرقي المشهور بطريق الحقو، متخللاً بعض الأراضي الزراعية لوادي بيش .المتميز بخصوبة تربته، والمتحدث اخضراره بنعمة ربه على مدار أيام العام، فكم من ردحة (٢) سطَّرت خلفيتها تلوم (٣) زرع الذرة، فإن تكلَّلت قصباته بالعذوق الحمراء والبيضاء ظن ناظرها أنها لوحة فسيفساء لرسام مُبدع ! وكم من مسطح لم تبلغه يد المزارع بأدواته القديمة والحديثة فتوارى بجذع دومة (٤) فارعة الطول، أو سدرة متشابكة الفروع، أو أثل تقاربت شجيراته وتراكمت أطرافه، تراه على بُعدٍ كأقواس الكثبان!

وبصعودنا تدريجياً عن مستوى سطح البحر، تصاعد رصيدنا من مسافة الطريق المعبد المشغول جانباه وعلى امتداده، بمعدات التوسعة والصيانة، شأنه

تختلف أهداف المتنزهون والسائحون. فمنهم الرياضي الذي يرتدي الملابس الرياضية الملائمة لرياضته المفضلة. ومنهم الرسام الذي يحمل الضروري من لوازم مرسمه. ومنهم الأديب الذي يستمد قوت خياله من موائد جداول الماء الممدودة فوق خوانٍ أخضر

www.ahlaltareekh.com

في ذلك شأن جميع طرق منطقة جازان التي شملها الاهتمام، وبعد أن قطعنا من الطريق نحو ٤٨كم تقريباً، وازدادت تعرجاته اقتربنا من قرية القوَّام التابعة لمركز الحقو من محافظة بيش. وتبعد عنه بنحو ٢كم تقريباً، ثم واصلنا السير باتجاه الشمال بين الآكام، التي تتخللها بعض الأودية، وتعبرها طريقنا ؛ مثل وادي قُرَى وغيره، ثم زاد ارتفاع الجبال حيث يصل بمحاذاة مركز مُقَزُعْ من الغرب إلى نحو ٦٠٠م، وهو المركز الوحيد التابع لمحافظة الريث، ويبعد عن حاضرتها بلدة (رخية) بنحو ٢٠كم تقريباً، وبوصولنا إلى قرية (الراس) انخفضت حرارة الجو قليلاً لارتفاع الجبال إلى ١٠٠٠م تقريباً، وعندما غادرناها باتجاه الشرق، بدأنا ندرك انخفاض مستوى الأرض عما كانت عليه، وعلى بُعد ٦كم تقريباً ظهرت أمامنا بعض البيوت، ومبنى حكومي حديث لإحدى مدارس بلدة رخية، حاضرة محافظة الريث، فأشار مرشدنا بترك الطريق المعبد واتخاذ المتفرع منه الأيمن الوعر، إلا أن العمل الدؤوب الجاري عليه يبشر بإتمام سفلتته قريباً، إن شاء الله.

سوق الريث

وقد انتهى بنا الطريق الوعر المقدّر طوله بنحو ٥٠٠ متر إلى سوق الريث المشهور في جهته باسم «خميس رخية»، بإضافة اسم المكان إلى اليوم الذي يقام فيه السوق، كما يشترك مع البلدة في الاسم كلّ من السوق والوادي، الواضح مأتاه من الجبل الأسود، أو الجبل المجاور له من جهة الغرب، تشاهدها بوضوح إذا ما ارتقى بصرك بامتداد تعرجاته إلى الشرق من موقعك.

وبسؤال مرشدنا والمعروفين له من سكان تلك الجهة، الذين قابلناهم في السوق عن سبب إضافة اللون الأسود إلى اسم ذاك الجبل دون الجبال المجاورة له، والأكثر منه سواداً فعزَّت علينا الإجابة، وقدَّرتُ أن تسميته جاءت لكثرة الأشجار فوق قمَّته وسفوحه، استنتاجاً مما سمعته سابقاً من سكان بلاد جماعة، الواقعة بين جبال رازح وصعده في الجمهورية اليمنية؛ إذ يطلقون اسم السواد على بلادهم لكثرة أشجارها.

نعود إلى خميس رخية وقد تناثرت في وسط الوادي سيارات الباعة المحمَّلة ببعض البضائع البسيطة، ثم استظل أصحاب المواشي المجلوبة إليه تحت الأشجار القليلة في داخله، وقد اقتصر عرضهم المجلوب على الماعز الجبلي المشابه للغزلان في رشاقة الأجسام، وجمال الألوان ؛ وتقول بعض مصادر مادة الأحياء: إنّ ماعز المنطقة الجنوبية في المملكة من أصل هجين مع الظباء.

أما دكاكين السوق المبني بعضها بالبلك والأخشاب، وبعضها الآخر بالزنك، فقد أقيمت على حافتي الوادي الشمالية والجنوبية، تحوي هذه الدكاكين بعض المواد الغذائية، وبقدر ما يكفي سد النقص الطارئ للسكان من تلك المواد، أما احتياجهم الكامل فيبتاعونه من الأسواق الأسبوعية الأخرى القريبة، مثل سوقي بيش (يوم السبت)، وصبيا (يوم الثلاثاء) ؛ لوفرتهما بالأزكى طعاماً، والأقل قيمة عن سوق رخية.

تتعدد البيئات الحيوية وغير الحيوية في وادي لجب: لتوافر مقومات النظام البيئي فيه، وتصنف بيئة الوادي تحت مسمى البيئة الجبلية، المتميزة بعدم وجود الفوارق بين درجات الحرارة على مدى ساعات النهار وفصول السنة

www.ahlaltareekh.com



الجبال مهيأة لهواة التسلق

وهناك أسباب أدت إلى تناقص مرتادي سوق رخية من باعة ومشترين، نستدل عليها عند تطبيق بعض الدراسات الاقتصادية التي تقول: «من أسباب صغر حجم الأسواق وقلَّة المرتادين العوامل الآتية :

- صغر حجم الظهير التجاري للسوق، الناتج من تناقص عدد السكان.
- تدني القيمة الشرائية في أيدي المتسوقين، الناتج من ضآلة الدخل.
- وعورة الطرق المؤدية إلى السوق».

وسوف تزول هذه الأسباب، بإذن الله، بعد أن وصلت يد التطوير إلى المحافظة.

و قد تحتم على القائم بالاستطلاع أن يورد خلال الأسطر الآتية بعض الآراء التي من شأنها تحقيق السلامة العامة لمرتادي السوق والممتلكات فيه.

سوق (رخية) والاحتياج الضروري إلى تغيير موقعه

لعل الجهات ذات العلاقة أن تقبل رأينا الناتج من رؤيتنا لسوق الريث (خميس رخية)، ونحن في طريقنا إلى وادي لجب، المتلخصة في الآتي:

- نقل سوق رخية بعيداً عن بطن الوادي موقعه الحالي؛ حتى لا يتعرض مرتادوه لأخطار السيل، إذ من المؤكد أن تتجمع المياه سريعاً من المرتفعات القريبة في مجرى الوادي مروراً بالنقطة التي يقام فيها السوق عند نزول الأمطار في فصلها السنوي المعتاد، أو تبلغ أضرار السيل إلى الدكاكين المقامة على حافتي الوادي، إذا ما ارتفع مستوى المياه داخل

www.ahlaltareekh.com



وادي لجب حقل تتعدد فيه الظواهر الجيولوجية

مجراه بزيادة نسبة معدل هطل الأمطار.

- أن يحظى موقع السوق الجديد بنصيب وافر من الترتيب والنظافة؛ لما في هذين الاقتراحين من إسهام مباشر في تطوير السوق، وسلامة مرتاديه.

وبانتهاء إشارتنا البسيطة عن سوق رخية نغادره باتجاه الشرق، وعلى طريق تنذرك بوعورته عشرات السيارات الصغيرة، التي تقف عند بدايته بعد أن خذلت أصحابها بعدم استطاعتها مواصلة السير بهم، إضافة إلى ردم الطريق بقطع من الأحجار في حجم قبضة الكف، تكون شبه متحركة تحت عجلات السيارة ذات الدفع الرباعي، وقد لا تؤهلها مواصفاتها إذا لم يكن لسائقها مهارة في القيادة وطول مران، بسبب عدم ثبات أحجار الردمية وتصاعد العقبات المتتالية بمستوى درجة الزاوية الحادة، فوق الجبال الملاصقة لشمال غرب الجبل الأسود، وبمحاذاتنا نصف ارتفاعه تقريباً انحدر بنا الطريق بميل مماثل معكوس زاوية الصعود، إلى قاع حجري متسع تحيط الجبال بجميع جوانبه وعنده انتهت العقبات بعد أن قطعنا مسافة ٨ كم تقريباً عن سوق رخية، ثم بدأ طريق مسفلت باتجاه الشرق، قيل: إنه يصل إلى جبل القهر التابع لمحافظة الريث، وبلا قصد منَّا أو إشارة من مرشدنا كان على يسارنا ما يلفت الانتباه !.

وادي لجب

لقد لفت انتباهنا حقاً منظر الصدع الذي قسم الجبل الواحد إلى طودين عظيمين متقابلين يفصلهما منخفض

www.ahlaltareekh.com

شبه رملي يقل مستواه عن القاع الحجري، وبعرض لا يزيد على خمسة أمتار، فقال مرشدنا للطريق أحمد بن محمد يحيى الأمير: إننا وصلنا بداية وادي لجب!.

عند ذلك طلبنا من المصور التقاط أول صورة في استطلاعنا، ثم ترجلنا عن السيارة إلا سائقها الذي استمر في قيادتها بمعدل سرعتنا، وقد افترقنا عنه يمنة ويسرة.

وتقدر المسافة التي قطعناها من التفرع بداية طريق الحقو إلى بداية وادي لجب بنحو ٩٨كلم. أما بُعد الوادي عن مدينة جازان فيقدر بنحو ١٤٨كلم.

نهاية المتسع الحجري وبداية الوادي من جهته الجنوبية

وبدخولنا خلال فتحة الصدع، بدأت تعرجات الطريق مع ضيق في عرض الوادي أحياناً عن خمسة أمتار، إلاّ في بعض جيوبه الجانبية المتسعة قليلاً التي يستطيع السائق أن يميل إليها جزءًا من سيارته ليتمكن قائد السيارة الأخرى المواجهة له من التجاوز.

امتداد الصدع إلى قمة الجبل

وهكذا واصلنا السير مع تعرجات الوادي نركب مرة، ونترجل مرات، لالتقاط الصور والتأمل في الأشكال الهندسية المختلفة المنحوتة على جانبي الوادي؛ بفعل عوامل التعرية.

وعلى عمق كيلو مترين تقريباً انتهينا إلى ساحة شبه بيضوية غير مستوية في السطح وخط المحيط، يقدر قطرها الأكبر مع مجرى الوادي بنحو ٣٠متراً والأصغر بين الجانبين بنحو ٢٠متراً، يجد عليها المرتادون موقفاً مناسباً لسياراتهم.

ثم تنقطع بعد ذلك طريق السيارة ؛ لوجود كتل صخرية كبيرة تملأ عرض الوادي. وعند وصولنا إلى تلك الساحة في تمام الساعة العاشرة من صباح يوم الخميس، كان هناك جمع كبير من الشباب من مختلف الأعمار سبقونا إليها، بعد أن جاؤوا من جهات متفرقة داخل منطقة جازان وخارجها مثل (أبها، وبيشة، وظهران الجنوب، وسراة عبيدة، وبلسمر، وبلحمر) عرفنا جهات قدومهم بعد أن تحدثنا مع الذين انتقيناهم بطريقة عشوائية من مجموعاتهم.

وقد أوقفوا سياراتهم في وسط الوادي، حيث تجري المياه المتجمعة من منابع الصخور الجانبية باختلاف مستوياتها كمية وارتفاعًا، وكان عدد السيارات يقدر بنحو ٢٠ سيارة، منها ثلاث سيارات لجهات حكومية تابعة لـ (الإمارة، والشرطة، والهيئة) في محافظة الريث، ورابعة لمؤسسة أهلية يظهر من ملصق مكتوب على جانبيها؛ إنها متعاقدة مع بلدية المنطقة تقوم بجزء من نظافة الموقع، أما منسوبو الدوائر الحكومية بزيهم الرسمي، فإنهم يقومون، إلى جانب حضورهم الأمني، بمهمة إرشاد رواد الوادي، وتوجيه الذين جاؤوا مع عائلاتهم إلى أن يغادروا المكان منعاً للاختلاط، ويمكنهم الحضور بعائلاتهم متى أرادوا خلال أيام الأسبوع إلا يومي الخميس والجمعة. هذا ما قاله لنا أحد أخوياء الإمارة الذي أردف قائلاً: إن وجودنا والآخرين من منسوبي الدوائر

تحت الظل الوارف للأشجار المتناثرة وسط الوادي تشاهد الزوار بين مستمتع بحديث جلسائه، راشف فنجانًا من قهوة أو شاي، أو مستمع إلى تسجيل مادته المفضلة، وبين ممارس هوايته في تبادل كرة الطائرة مع رفاقه، وملتقط صورة فوتوغرافية لزملائه

www.ahlaltareekh.com

الحكومية لا يقتصر على هذين اليومين فقط، بل على مدار أيام الأسبوع.

الخدمات في الوادي

وعلى المتبقي من الساحة البيضوية بعد وقوف السيارات، يوجد على جزء من الجانب الغربي للوادي مسجد لم يكتمل بناؤه أي؛ (تم بناء جدرانه الأربعة من البلك الخرساني دون سقف) وأمام محرابه غرفتان مبنيتان من البلك مسقوفتان بالزنك، مكتوب على جدارهما الشرقي «مندي وادي لجب»، تدل بساطة لوحته على تدني مستوى الخدمات فيه، والمقتصرة على إعداد وجبة من الرز واللحم المندي، تنقصها البهارات بمقدار ما تنقصها نظافة في الطبخ والتقديم، وبقيمة تفوق أضعاف قيمتها في المحلات المماثلة خارج الوادي، شريطة الحضور المبكر للزبون، وألاّ يقل طلبه عن نصف الذبيحة، ومن تأخر عن الطلب فإنه سيبقى على ما حمله معه من بسكويت وقطع كيك حتى يعود، أما الحريصون على تناول وجبة نظيفة تفوح بأطايب البهارات، فعلى المتبرع منهم بمهمة الطبخ التنازل عن استمتاعه بالرحلة.

وهناك بين المسجد والمندي مساحة صغيرة تظللها الأشجار مفروشة أرضها بالخرسانة الصغيرة، تكفي لجلوس ثلاث مجموعات من زبائن المندي إذا ما رغبوا في تناول وجبتهم عليها، ولديهم شيء من مستلزمات الجلسة، كالبساط والمسند. ولم نجد إجابات وافية لدى العاملين في المندي عن صاحب المندي، وهل الموقع مستأجر أو مملوك؛ ليتسنى لنا المساهمة في الآراء المناسبة لتحسين الخدمات في المكان، التي عادة يطلبها الزائر.

كان السواد الأعظم من الآباء والأجداد في منطقتي جازان وعسير لا يلبسون غير تلك المآزر التي اختص ببيعها تجار الملابس في سوقي(صبيا الأقدم تاريخاً، وأبي عريش)، بعد أن يجلبها المستوردون من الأسواق اليمنية

أما تحت الظل الوارف للأشجار المتناثرة وسط الوادي وعلى مصاطب جانبه الشرقي تشاهد الزوار بين مستمتع بحديث جلسائه، راشف فنجانًا من قهوة أو شاي، أو مستمع إلى تسجيل مادته المفضلة، وبين ممارس هوايته في تبادل كرة الطائرة مع رفاقه، وملتقط صورة فوتوغرافية أو متحركة لزملائه.

وعند دخولنا في عمق الوادي بعد الساحة التي لم تستطع السيارات اجتيازها، شاهدنا الكثيَر من المناظر،حيث الصخور المتباينة الأحجام، وقد فتَّتَ السيل أجزاءها الليِّنة، فتشكلت أحواض شبه دائرية لم تكتمل خطوط محيطاتها، تكوَّنت في المياه المحبوسة بداخلها، بيئة صالحة لعيش الأسماك وأنواع أخرى من الكائنات الحية.

أما الفائض من تلك الأحواض فقد سال باتجاه منخفض الوادي متخلِّلاً شقوق ما يليها، فتداخل خرير الماء بتغريد الطيور المتخذة من أعالي الأشجار منا بر لخطابتها، أما الباسقات فقد تناثرت بين الآكام في وسط الوادي، وانتظم بعضها على جانبيه جماعات وفرادى، فوق المدرجات المختلفة ارتفاعاً، وكأنها حدائق بابل المعلقة حقيقة لا مجازاً.

أما الأقصر قامة، والأنحل ساقاً من أشجار وشجيرات، فمن شقوق الجانبين خرجت، وعلى حوافها الحادة تسلقت كأنها دليل على وجود حفنات من تربة غائرة بين الطيات .

www.ahlaltareekh.com



الصخور تتعدد أشكالها في لجب



طريق وسط الصخور

ندية بقربها من مصايد المياه بين الطبقات.

ولي فيما تراه من صور لبعض مشاهد الوادي، شواهد على قصور تعبيري وخلو وصفي من عبارات المبالغة.

وجه من لجب

هذا وجه لفتىً راعٍ في وادي لجب من أبناء محافظة الريث، بعفويته وملابسه التقليدية تحيط برأسه العِصابة (٥) المثبت فوقها السير (٦) ، والمُشْقُرُ (٧) متعامداً مع جبهته، ثم الغترة على كتفيه، يغطي نصفه الأعلى قميص كحلي مخطط، أما نصفه الأسفل فيستره الإزار الذي يظهر جزء منه تحت ذراعه الأيسر، وتلك المآزر (٨) معروفة في منطقة جازان بأسماء (الْمصنَف - الْوِزْرَة - الْمبِرَد) ولا تزال حتى اليوم زيّاً تقليدياً أصيلاً يحافظ عليه سكان المناطق الجبلية عندما يكون الموظفون منهم خارج الدوائر الحكومية، وطلاب المدارس في غير أماكن الدراسة، أما أسماء مآزر النساء فهي (الْمُقَفَّلْ - الحطيم - الوزرة) وتتميز وزرة المرأة عن وزرة المرأة من الرجل بألوانها الزاهية المتعددة.

ولتاريخ استيراد هذه المآزر قصة نلخصها في الآتي:

من القصص التجارية

كان السواد الأعظم من الآباء والأجداد في منطقتي جازان وعسير لا يلبسون غير تلك المآزر التي اختص ببيعها تجار الملابس في سوقي (صبيا الأقدم تاريخاً، وأبي عريش)، .بعد أن يجلبها المستوردون من الأسواق اليمنية، وخاصة مدينة الحديدة الموجود بها مصانع للحياكة البدائية، ولكن زيادة العدد السكاني في المنطقتين أدت إلى عجز تلك المصانع عن تأمين الكميات المطلوبة، فارتفعت أسعارها، وبانفتاح أبواب التجارة السعودية على العالم؛ كُتِبَ النجاح لأحد تجار الملابس من سوق صبيا في خطوته نحو إحدى الدول الآسيوية، عندما اصطحب في حقيبة سفره نماذج من تلك المآزر، وعاد بعد فترة زمنية بباخرة مملوء بعض

www.ahlaltareekh.com

يطفو على سطح الماء لخفة وزنه، فينتقل إلى الآلاف الكيلومترات قبل امتلاء فتحاته بالماء والسقوط على القاع، أما الظواهر الجيولوجية الأخرى فتتمثل بالتطبق غير التوافقي الزاوي الواضح جداً، وكذلك التطبق المتقاطع الواضح أيضاً في الصخور الرملية.

كما يوجد في الوادي كثير من الطبقات الدالة «المفتاح» التي يسهل تتبعها، وهي مفيدة جداً في عملية المضاهاة.

وتوجد أشكال أخرى مثل القواطع والسدود، وهي عبارة عن عروق من الصخور النارية، إما قاطعة للطبقات وإما موازية لها.

وهذه الظواهر الجيولوجية تدل على أن هذه المنطقة شهدت حركات جيولوجية عنيفة، مما أدى إلى تكون الصدوع بمختلف أنواعها، وكذلك الطيات، وخروج اللابه البركانية والتكسر والتشقق.

المراجع والهوامش

١. العقوم : مفردها عقم : سد ترابي يرتفع إلى المترين يحول اتجاه مجرى المياه في الوادي. وفي القاموس المحيط للفيروز ابادي جاء المعنى في ص ١٤٤٠ مادة (عقم) لكلمة ركم: جمع شيء فوق آخر حتى يصير ركاماً كركام الرمل أو الروضه وجانب الوادي.القاموس المحيط للفيروز ابادي ص ١٤٤٠، مادة (عقم).

٢- رُدْ حة: سترة في مؤخرة البيت، أو قطعة تزاد في البيت. القاموس المحيط / الفيروز ابادي، ص٢٨٠ مادة (ردح)، وفي أساليب الزراعة المحلية في جازان: هي قطعة الأرض المحاطة من جهاتها الأربع بالعقوم الترابية.

٣- تلوم: محركة: مشق الكراب في الأرض، أو كل أخدود في الأرض. المرجع السابق ص١٣٩٩، وفي أساليب الزراعة بجازان هي خطوط مستقيمة تحدثها حركة جر المحراث على الأرض الزراعية توضع فيها البذور.

٤- الدوم: شجر المقل والنبق، وضخام الشجر. المرجع السابق ص١٤٣٢، مادة (دوم)، وهو شجر كبير من فصيلة النخل، تخرج منه ثمار في حجم التفاحة حلوة المذاق عند قضم اليافها، له أوراق مروحية يصنع منها الزنابيل والحُصر، وتستخدم جذوعه الكبيرة في سقف البيوت.

٥- العِصابة : بالكسر ما عُصِبَ به، كالعصا ب والعمامة. المرجع السابق ص١٤٨، مادة (عصب). وهنا شبيه حبل مجدول من فروع النباتات العطرية الغضة توضع على الرأس.

٦- السَّيْرُ: الذي يُقَدُّ من الجلد، جمع سيور، المرجع السابق ص٥٢٨، مادة (سير)، وهنا شريط من خيوط ملونة مُحاكة يُعْصَبُ بها الرأس.

٧- المُشْقُر: يشبه قضيبًا قصيرًا يلف حوله خيط حتى لا تتناثر رزمته المجموعة من فروع النباتات العطرية.

٨- المآزر: مفردها إزار: والإزار المِلْحَفَة، وكل ما سترك، المرجع السابق ص٣٤٧، وما أوردناه بعد الكلمة بين القوسين من أسماء مختلفة للأزر (المصنف، المبرد، الوزرة) فقد جاء اختلاف أسمائها من اختلاف ألوانها، وكثرتها في الوزرة والمصنف على التوالي عن ثالثها المبرد.

٩- خريطتان لأودية منطقة جازان ـ وزارة الزراعة / مشروع تشغيل وصيانة سد وادي جيزان.

١٠- مناهج العلوم والأحياء والجيولوجيا للمرحلتين المتوسطة والثانوية، والمعلومات التي أسهم بها كل من: الأستاذ محمود بن محمد مدخلي مدرس مادة الأحياء، والأستاذ علي بن محمد صميلي مدرس مادة الجيولوجيا من معلمي ثانوية الشيخ عبد الله محمد القرعا وي في صامطة، والموظف بإمارة منطقة جازان أحمد بن محمد الأمير.

١١- النُكر، الأثب، الرُقَّع، الصَّوْمَل: من ضخام الشجر المعمرة تنبت بكثرة في الأماكن الجبلية، وتستخدم في البناء وغيره، تحتاج إلى بحث متخصص في النباتات لبيان فصائلها ومحتويات أجزائها.

١٢- الإبري: التين البري، وهو من ضخام الشجر أيضاً، ولكنه ينبت في المرتفعات والسهول من منطقة جازان.

١٣- الشُطُبُ: هو من فصيلة النخيل الملكية أو (نخيل الزينة) ذكر مرافقنا أحمد ابن محمد الأمير أن ثمارها صغيرة في حجم البسر من التمر، ولكن مذاقها جداً حلو. لم أشاهدها في غير وادي لجب من أماكن منطقة جازان.

❖ إيضاح لوادي بيشة والذي أضفنا إليه الجنوبي؛ تمييزاً له عن وادي بيشة الرئيس المشهور، الذي يتجه إلى الشمال متخللاً منطقة عسير، وجامعاً معظم أوديتها. أما وادي بيشة الجنوبي فهو تلك الفروع المناظرة لبعض فروع وادي بيشة الرئيس الكائنة شمال وشرق بلدة تمنية (شعف شهران) من منطقة عسير، وبسبب الانكسار الحاد في جبال السروات يتغير اتجاه تلك الفروع إلى الجنوب فتصب في وادي بيشة.

www.ahlaltareekh.com

تعقيب على مقال المعرفة والإبداع بين القلم والحاسوب

نشر في العدد ٣٣٤ من مجلة الفيصل الغراء تحت عنوان خاتمة المطاف مقال بعنوان: المعرفة والإبداع بين القلم والحاسوب بقلم الكاتبة وفاء عمر حصرمة. ومن غريب الأمر، ولعله راجع إلى توارد الخواطر، أني ومنذ فترة ليست بالقصيرة جدًا كنت أفكر في كتابة مقال عنوانه شبيه بهذا المقال. لقد سميت المقال الثقافة بين الورقة والشاشة. حددت العنوان وفتحت ملفًا له على حاسوبي. كتبت بعض العناوين الفرعية ووضحت بعضها، وتركت المقال على حاله للمشاغل الأخرى على أمل توافر فرصة سانحة لإكماله. ومرت الأيام تتلوها أيام أخرى بل أسابيع وأشهر، فلم يقدر لهذا المقال أن يخرج إلى حيز الوجود. وأتحفنا العدد الأخير من مجلتنا الفيصل بهذا المقال الشبيه في عنوانه والمختلف في محتواه عما يجول في خاطري عن هذا الموضوع. وواضح للقارئ أن الثقافة تقابل المعرفة، وتقابل الورقة القلم، بينما تقابل الشاشة الحاسوب وغير الحاسوب من وسائل التكنولوجيا الحديثة. وارتأيت كتابة هذا التعقيب لتوضيح بعض جوانب الموضوع.

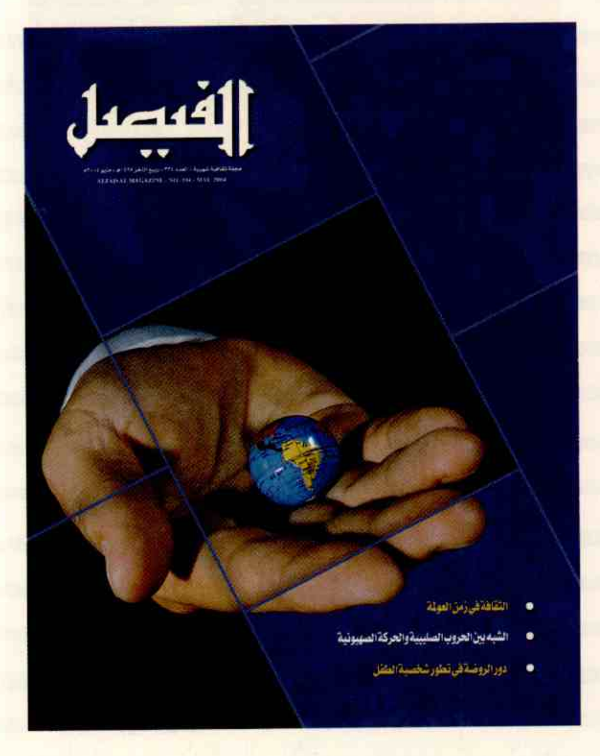
الإبداع والابتكار

صرفت الكاتبة جهدًا كبيرًا في تعريف الإبداع وانتقدت بعضها، ولا سيما إتيان الجديد، وتشترط الجمال في هذا الجديد لكي يكون مبدعًا. أشتم من أسطر الكاتبة رائحة الانطلاقة الأدبية. ولا ضير في ذلك فكل واحد منا له اختصاص معين يرصف له أرضية الانطلاقة في الكتابات. والإبداع في الأدب جوهري؛ لأنه لا آداب من دون إبداع. ولكن الإبداع ليس محصورًا في الآداب، ولا شك حتى ولو كان الأمر تأريخيًا.

تستخدم في اللغة العربية تعابير أخرى للدلالة على الإبداع. فأنا أفضل الابتكار على الإبداع، وأرجح التمييز بينهما. فالإبداع هو الإجادة في عمل شيء ما إجادة بالغة بإتقانه إتقانًا تامًا. فالجودة أو الكيفية تظهر نتيجة لاكتساب مهارات معينة، وإتقان أعمال خاصة، وأدائها بشكل يختلف عن أداء الآخرين، وابتكار شيء ما فيها بشكل ملحوظ بحيث يجلب نظر الآخرين، ويكون مقبولاً من قبلهم ولا سيما العاملين في هذا الميدان بالذات. الابتكار في أوسع معانيه تحطيم القوالب الموجودة، والبحث عن شيء جديد تحت الشمس، أو الخروج عن المألوف، أو كسر قيود الفكر المفروضة على الفرد، أو ارتياد طريق آخر غير الطريق الرئيس الذي يسلكه الآخرون، أو الانفتاح على خبرات الآخرين، أو المباشرة بأول خطوة نحو المجهول، أو وضع خط فكر جديد، أو طرح بدائل مختلفة لمشكلة معروضة، أو إيجاد شيء جديد يؤدي إلى إيجاد أشياء أخرى، أو التوصل إلى إيجاد علاقات جديدة بين الأفكار المطروحة، أو طرح فكرة جديدة، أو إيجاد وسيلة أو طريقة غير معروفة سابقًا، أو ارتياد مكان جديد، أو كشف شيء لم يسبق إليه أحد، أو اختراع آلة أو جهاز جديد يفيد الإنسان.

وإذا ما انطلقنا من هذه التعاريف فإن الابتكار كان

www.ahlaltareekh.com



موجودًا قبل وجود الآداب التي رأت الكاتبة أنها كانت سباقة على العلوم. كان الإنسان الأول مبتكرًا عندما ربط حجارة مدببة على رأس عصاه بألياف النباتات. فقد اخترع هذا الإنسان آلة يستخدمها في الدفاع والهجوم والصيد. وكانت هذه الآلة ابتكارًا من دون الاهتمام بجمال شكله. بل كان المحك في هذه الحالة أن هذه الآلة إنما تؤدي له غرضًا خاصًا، وتقضي له حاجة معينة، فالحاجة أم الاختراع، والابتكار ضروري للاختراع. وكانت هذه الآلة ابتكارًا على الرغم من عدم وجود الآداب أو الشعر.

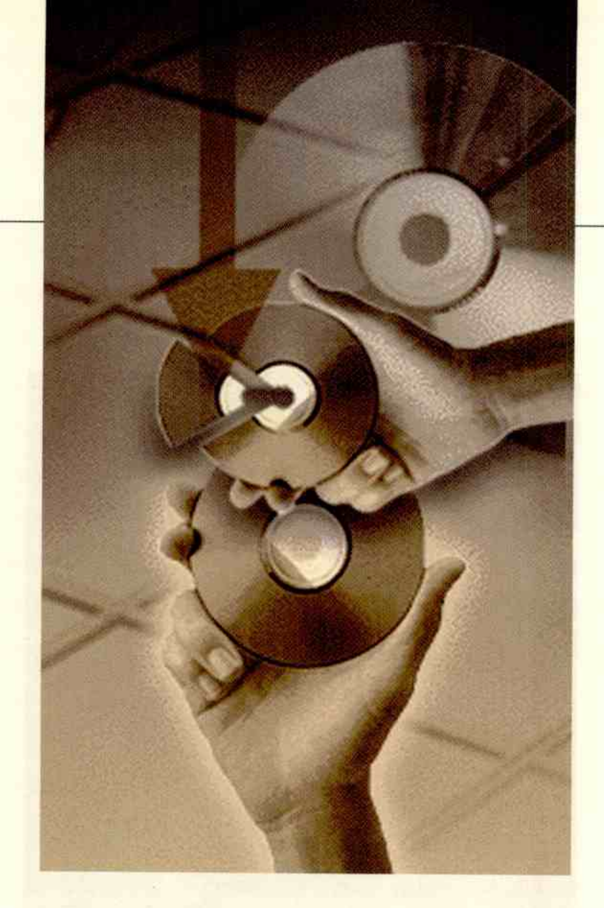
تعريف المعرفة

كنت أنتظر من المقال توضيح تلك العلاقة الخاصة بين المعرفة والابتكار أو الإبداع على حد قول الكاتبة، إلا أن المقال لم يسعفنا بشيء من ذلك، ولم يسعفنا بشيء يوضح فيه المعرفة التي تكون من نتاجات القلم الذي ورد في عنوان المقال. فالمعرفة هي تراكم الخبرات الإنسانية عبر الدهور السالفة وانتقالها من جيل إلى آخر. وهذه الخبرات كثيرة ومتنوعة كما تذكر الكاتبة. فالآداب جزء ضئيل من هذه الخبرات الكثيرة. إن سهم القلم فيه بارز إلا أنه لا يشكل الكل. ويحصل الإنسان على هذه الخبرات المتراكمة عن طريق القراءة مع أن القراءة ليست الوسيلة الوحيدة للحصول على هذه الخبرات.

المعرفة والقراءة

ومن الأمور اللافتة للنظر فعلاً أن يكون أول أمر ربّاني للرسول محمد ﷺ والإنسانية جمعاء هو القراءة، وأن يقرن أمر القراءة هذا باسم الرب الأعلى. يتابع الأمر الربّاني بالتذكير بأنه هو الذي علم الإنسان بالقلم ما لم يعلم، والقلم أداة الكتابة لدى الإنسان، وجزء من عنوان مقال الكاتبة. ويظلّ جبريل يكرّر هذا الأمر الربّاني على الرسول محمد ﷺ عددًا من المرات، مما يعكس على ما في هذا الأمر من أهميّة بالغة الغاية. وكلما أجاب الرسول محمد ﷺ بأنّه إنما لا يعرف القراءة أصرّ جبريل على تكرار أمر ربّه. ولقد أدرك الرسول محمد ﷺ أهمية هذا الأمر منذ الأيّام الأولى من نبوّته، فبدأ ينشر رسالته بين أفراد عائلته وأبناء قومه. وقد أرسيت دعائم هذه الرسالة بشكل أساسي على قراءة القرآن وتطبيق تعاليمه. ولقد اشترط النبي محمد ﷺ على كلّ أسير بعد معركة بدر تعليم عشرة من أطفال المسلمين القراءة والكتابة مقابل إطلاق سراحه إيمانًا منه بأهمية القراءة في حياة المجتمع. وحثّ الإسلام على القراءة والكتابة، وعدّ قراءة القرآن والعلوم الأخرى مطلبًا أساسيًا من مطالب هذا الدين الحنيف. وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، ودعا إلى طلبه ولو كان في الصين.

www.ahlaltareekh.com



القراءة والابتكار

ليست قراءة المعرفة الإنسانية بحد ذاتها تقنية من تقنيات تحقيق الابتكار. على أن القراءة تشكل الأرضية التي ينبني عليها الابتكار. ودون إعداد هذه الأرضية لا يمكن توقع الكثير من الابتكار. تضمن القراءة الغزيرة تملك المتراكم من المعرفة الإنسانية. يتميز العصر الحديث بأنه عصر الانفجار المعرفي؛. أي أن المعرفة تضاعف نفسها في كل بضع من السنين. ويقل عدد هذه السنين كلما تقدمنا نحو المستقبل. لذلك لا يمكن للإنسان الاطلاع على جميع ما كتب في أي ميدان من ميادين المعرفة. وفي واقع الحال ليس هذا الأمر ضروريًا أبدًا. بل يحتاج الإنسان إلى القدر الكافي من المعرفة في الميدان الذي يعمل فيه لكي يكون قادرًا على إبداء الرأي في ذلك المجال.

أما إذا لم يفعل ذلك فإنه قد يضطر إلى تكرار أفكار الآخرين وأفعالهم، ويحصل هناك إسراف في الوقت والجهد والمال. ثم تكون الأفكار التي يصل إليها ليست بذات قيمة؛ لأنه لم يأت بشيء جديد، ولم يضف في واقع الحال إلى المعرفة الإنسانية شيئًا يذكر. وعندما يطلع الإنسان على ما لدى الآخرين يتمكن من تعديله وتحويره وتطويره.

يغني التراكم في المعرفة المرء عناء كشف قارة أمريكا مرة أخرى، أي الإتيان بما أتاه الآخرون. إن تعلم ما هو موجود يوسع أفق الفرد، ويساعده على النظر في الأمور من زوايا مختلفة، يسهل عليه أخذه إلى مرحلة لاحقة، ويفتح الطريق لأفكار جديدة. وعندما يكتشف الفرد أفكارًا جديدة يعيد عملية القراءة من جديد. وهذا يعني أن التفكير ينبغي أن يتبع القراءة وأن القراءة، ينبغي أن تتبع التفكير، وتستمر الحال على هذا المنوال. ومن هنا تبدو أهمية تذكير القرآن الإنسان بالتفكير والتأمل في كل ما يرى ويسمع.

يحتاج الابتكار من جانب آخر إلى تعلم لغة الأم ولغات أخرى غيرها، وتملك ثروة لغوية كافية؛ ذلك لأن اللغة هي وسيلة توصيل الأفكار إلى الآخرين. ومهما كانت الأفكار المبتكرة - سواء كانت في الآداب أو في غير الآداب - فإنها تحتاج إلى التوصيل إلى الآخرين عن طريق اللغة؛ ذلك لأن المبتكرين لا ينتجون أعمالهم لأنفسهم. ولا أهمية لعمل لا ينشر إلى الآخرين بطريقة أو بأخرى. ومن هنا فقد عدّت وسيلة الاتصال عنصرًا بارزًا من عناصر الابتكار.

تصنيف المعرفة

تصنف الكاتبة المعرفة إلى مادية. وغير مادية. وتضع في صنف المادية الفيزياء والكيمياء والطب، وفي صنف غير المادية الدين والفلسفة والفنون ومنها الآداب. وكنت أفضل أن تكون تسمية هذا التصنيف تطبيقية ونظرية. على أنه من الصعب وضع حد فاصل بين المادية وغير المادية أو النظرية والتطبيقية. فعلوم الفيزياء والكيمياء والطب لها جوانب نظرية وأخرى تطبيقية. وهذا الأمر

www.ahlaltareekh.com

صحيح بالنسبة إلى الدين والفلسفة والفنون.

هذا ومن جانب آخر كنت أفضل تصنيف المعرفة إلى ما هو اختصاص، وما هو ثقافة عامة، وما هو قصص وروايات. هذا التصنيف أكثر وضوحًا وتبيانًا، فلكل منا اختصاصه الذي يصرف فيه جهدًا كبيرًا، ووقتًا واسعًا للتعمق فيه، وكشف أسراره. وهذا الاختصاص ضروري لإبداء الرأي، والإتيان بشيء جديد، والبت في حسم مشكلاته. كما أن الاختصاص مهم في الابتكار فإن الثقافة العامة هي الأخرى مهمة. فالمتكرون بشكل عام يكونون من ذوي الثقافة العامة الواسعة. تساعد الثقافة العامة على إيجاد العلاقات بين الاختصاص وغيره، وهو أمر مهم في الابتكار. إن القصص والروايات أو الآداب تشكل جانبًا مهمًا من الثقافة، ولا غنى لكل فرد عنها. لقد عدّ سرد القصص والروايات عنصرًا مهمًا من عناصر الابتكار يعمل فيه كل من فصي المخ الأيمن والأيسر.

المعرفة والابتكار والحاسوب

ومع أن المقال كان بعنوان المعرفة والإبداع بين القلم والحاسوب، إلا أنه لم يشمل إلا النزر اليسير من الحاسوب. فقد كانت الفقرة الأخيرة غير وافية بالغرض خصوصًا أنها كانت عبارة عن تساؤلات بدلاً من أن تكون إجابات عن هذه التساؤلات. إني أفضل تسمية هذا الجهاز بالآلة المبرمجة. يدّعى بعضهم أن الآلة المبرمجة إنما تحدد الابتكار، إلا أن واقع الحال على العكس من ذلك. تؤدي الآلة المبرمجة دورًا بارزًا في نقل أقدم المعرفة الإنسانية وأغزرها وأجدها من مصادرها الأولى عبر الحدود الدولية بأشكاله المختلفة من كتابات ومصورات ومنطوقات. تشكل هذه النماذج صورًا حية للابتكار يمكن أن يقتدي بها مستخدم هذا الجهاز، وتشكل من ناحية أخرى الأرضية الخصبة التي ينبت عليها الابتكار. والجهاز بحد ذاته أرقى نتاج من نتاجات الابتكار، الذي يطور يومًا بعد يوم بشكل يبهر العقول. والعلم مع نتاجات الابتكار يرفع من مستوى ابتكار الفرد. وكما أن الجهاز بحد ذاته مجال خصب للابتكار فإن برامجه أخصب من ذلك بكثير.

توفر الآلة المبرمجة فرصة ذهبية للابتكار لا تقدر بثمن. فكاتبة الأفكار على شاشة هذه الآلة ترفع من جودة النتاج، وتزيد من الابتكار. فلا حاجة إلى مسودات القلم والورق. يفسح الجهاز المجال لكتابة المقالات، ورسم الصورة، وتسجيل الصوت، ووضع الخطط والتصاميم، فيحذف المرء ما يشاء، ويضيف ما يشاء ويكرر ما يشاء، وينقل ما يشاء دون عناء يذكر، فيبقى النتاج في كل مرة نظيفًا جميلاً ومنظمًا. وهو في كل هذا يقتصد عناء التسويد وتكرار الكتابة، فيصرف وقته في التفكير والابتكار.

الكتابة والتصحيح وترك الأمر والعودة إليه بعد فترة للحذف والإضافة والنقيح من جديد ترفع من مستوى النتاج في كل مرة. الأفكار لا ترد في بال المرء مرة واحدة، بل بشكل تدريجي قد تتخللها فترات من الوقت طويلة جدًا. فالمشاهير على المستوى الدولي ينقحون أفكارهم بشكل مستمر. الآلة المبرمجة تساعد على إجراء مثل هذه التنقيحات. هذا ومن ناحية أخرى فإن هناك علاقة تفاعلية بين الابتكار والدافعية. الابتكار يولد الدافع والدافع يولد الابتكار. إن العمل على الآلة المبرمجة يولد الدافع، فيبقى الإنسان يعمل عليه ساعات طويلة دون كلل أو ملل.

أنور طاهر رضا
جامعة التاسع من أيلول - كلية التربية
أزمير - تركيا

www.ahlaltareekh.com





تعويذة الرمال

جلال قضيماتي

حلب – سورية

كيف استجار الرمل من وَقْعِ الخطا

فتسمَّرتْ عند الصخورِ

عَرافَة الموج المهادنِ

عنفوانَ الماءِ

من خَفَر الرمالْ؟

هيَ ضحكة البحر الجموحِ

وقد تثاءب عن كوامنه الخليجُ

فضاعَ

ما بين الحقيقةِ

والخيالْ

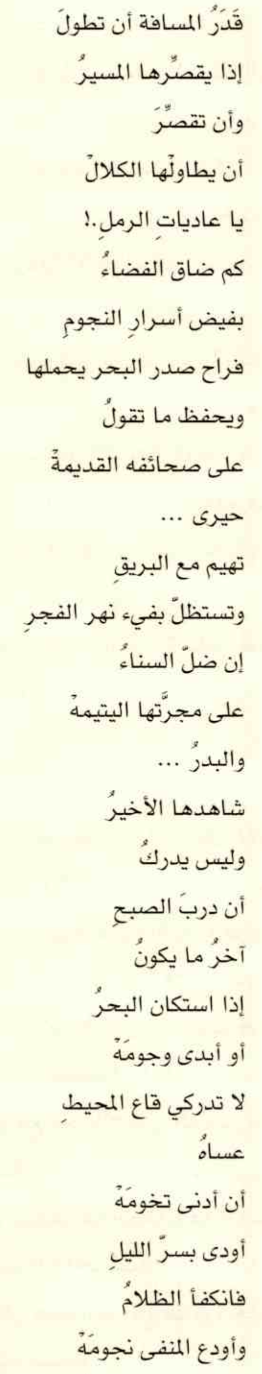
قَدَرُ الشواطئ

أن تؤرّقَها الهواجسُ

ثم تخلدَ

في تعاريج المآلْ

لكنّما ..



قَدَرُ المسافة أن تطولَ

إذا يقصّرها المسيرُ

وأن تقصِّرَ

أن يطاولَها الكلالْ

يا عادياتِ الرملِ.!

كم ضاق الفضاءُ

بفيض أسرارِ النجومِ

فراح صدر البحر يحملها

ويحفظ ما تقولُ

على صحائفه القديمةْ

حيرى ...

تهيم مع البريقِ

وتستظلّ بفيء نهر الفجرِ

إن ضلّ السناءُ

على مجرَّتها اليتيمةْ

والبدرُ ...

شاهدها الأخيرُ

وليس يدركُ

أن دربَ الصبح

آخرُ ما يكونُ

إذا استكان البحرُ

أو أبدى وجومَهْ

لا تدركي قاع المحيطِ

عساهُ

أن أدنى تخومَهْ

أودى بسرّ الليلِ

فانكفأ الظلامُ

وأودع المنفى نجومَهْ

يا أيها اليمّ المسافرُ



www.ahlaltareekh.com

بين أسرار النجومِ
وبين كثبان الرمالِ
متى الوصولُ؟
وأين يمكن أن تكونْ؟
ضاق المدى
وانشق صدر الموجِ
عن دنيا تكونُ
وربّما
إن شئتها
قد لا تكونْ
هيّئ صواري العَوْدِ
لا تلق الحبالَ
إذا رأيت الموج أعلى من ضلوع الماءِ
واهدأ
إن تغرّبك السنونْ
لا شيء بعد الريحِ
يسكن في سدومِكَ
فانطلق عبر القرونْ
عبثًا
تحاول أن تكونَ
وصيّة الماء المهاجرِ
من محطّات الضياءِ
إلى محطات الدجونْ
فالماءُ
أوصى أن يكونَ الرملُ
مرقدَه الحنونْ
فاسكنْ
وقل للريحِ:
إني مطلَقٌ
والكون بعدي لا يكون
ولو يحاول أن يكونْ
يا أيّها الرمل المحاور زرقةَ البحرِ
استرح
فعلى غضون الماء ترقدُ
بانطلاقات الحداةْ
قاومتَ مدّ الموجِ
واستأنستَ بالليل المقيمِ
على نواميس الجهاتْ
تعويذةً
كانت نجادُك للمسافرِ
إن يفاجئْه الفواتْ
هيهاتَ
أن ترضى المقامَ
على الرسوم الدارساتْ
أنت البداية والنهايةُ
فاحفظ السرّ الموطّن فيكَ
أسرار الحياةْ
واصبرْ
فان العمر أبقى
من مقولة موجك اللجيِّ:
هيهاتَ التوحّدُ في المدى ...
هيها... تَ...
... ها ... تْ
... والرَجْعُ في أثر الخطا
ما زال يَسْطر فوق رمل الشطِّ
آيات الغدوِّ
من الحياةِ
إلى المماتْ

www.ahlaltareekh.com

عاطل عن الأمل

عبدالله السمطي

الرياض ـ السعودية

يدرّبُ أيامَهُ أن تكونَ سماءً، ويمضي إلى جهة القلب حين تطلُّ نجومٌ مرايا، ويسألُ كيف توددت الأرض أكثر للتيه، كيف تصيرُ المسافةُ ما بين عشبة روح وصحراء أقرب للضوء.. باح المغنّي ونام على عزفِ شبّابةٍ لا تنامُ كثيرًا.

❖❖❖

يُخمّنُ أنّ الحياة ستشرقُ حين يزفُّ إلى دمه مطلقًا من جراح، ويمضي إلى جهة الحبّ، أين الحدائق، سوف تخاصمنا وردة ما. أين البلاد التي وعدتْ شفتانا النسيم؟ وأين. تساءل أبعدَ مما تظنّ القصيدةُ. خبّأ في جيبه غيمةً وتهيّأ للطير. سوف تطلُّ الفصولُ وراء الخوافي، وخلف مناقير قمحٍ سيطرحُ برقٌ جفافًا مطيرًا

❖❖❖

تسلى بماضي يديه. هنا في الأصابع قطْفٌ، وفوق الخطوط تعاويذُ حبْرٍ. دمٌ عفويٌ يسيلُ بجمر الأظافر. كان يفكر أن ينحت الصخر يمضي إلى جهة غير معلومةٍ ويرى في البكاء قناديل للصبر يعبر كوكبَ أحزانه في مدار الشرايين، يرمي يديه بعيدًا، ويكسرُ بين الأصابع أمكنة ودهورًا.

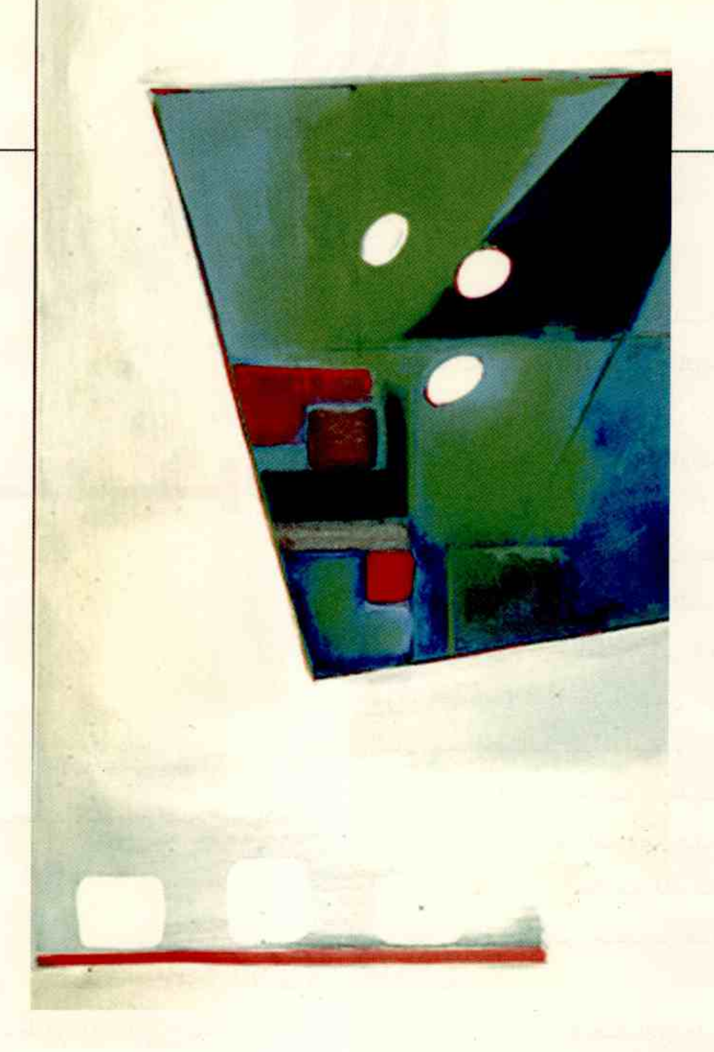
❖❖❖

يربّي غدًا أملاً هاربًا، ويربّي شهيقًا لكي تتنفسَ زنزانةٌ. فوق كرسيّ موّاله يضعُ الشمسَ. لا بد أنّ صباحًا سيأتي، يصالحُ سجّانَه في الحواسِ، ويُجدلُ قضبانَ آلامه وطنًا، وأنينَ المساءات حريةً وحبورًا.

❖❖❖

متى يصلُ الحلمُ حتى النهايةِ؟ قال. فوشوشَ برقٌ ذراعيه. أبحر مثل «أوديسيوس» ولما يعدْ بعد. ليس لـ

www.ahlaltareekh.com



«بنلوب» وقت. تدق الثواني على باب وحشتها. يقرعُ الرعب. صمتُ البحار تسلل، يغز خيطانه في خطوط يديها. انتظارٌ. سناريو صغير لكابوس لحظاتنا. تتثاءب أكثر أكثر. والليلُ يأتي ببغداد فجرًا. ودجلةُ في سجن شرفته. قد يجمّد فينا الضميرا.

❖❖❖

هنا. لم يعدْ للمدائح معنى، فصِفْ وردةً في ركام، وصف طللاً قادمًا من بلاد المساكين. خذ معطف الشنفري وتصعلكْ مع القافلين من الهند أو من بلاد الفرنجة. كل الجهاتِ صقالبةٌ وعلوجٌ. وأنت أنا. من؟ هشيمٌ تبقّى ستأكله الريحُ حتمًا. هشاشةُ شيء وفزّاعةٌ لا يحركها - بيقينٍ - سوى شبح من بعيدٍ أحبَّ الذرا والنسورا.

❖❖❖

مضى عائدًا لمُضيٍّ جديد. إقاماتُه سفرٌ وغيابٌ. تُشردُهُ جهةٌ بعدها جهةٌ ومنافٍ. يدربُه سندبادُ على حافة المطلق. الآن يعرفُ كيف يجوسُ. يفتّشُ عن حلمه في انتظار القيامة لا أنا في الضمير، ولاعَلَمٌ أو حدودٌ تُدثّرُ في الرمل أبناءَها «كلّهُ قبر مالكْ» ولن ينهضَ العاشقون أخيرًا.

فلن يجدوا شرفةً أو طيورا

ولن يجدوا بلدًا أو مصيرا

ولن يجدوا غير محبوبة

زارها الغرباء

- بلا رحمةٍ تركوها قشورا

لذا -

لن نرى العاشقين أخيرا

❖❖❖

www.ahlaltareekh.com

العقرب

بول بولز
ترجمة: محمد هاشم عبدالسلام
القاهرة ــ مصر

عاشت المرأة العجوز في الكهف الذي كان أولادها قد قاموا بتجويفه في جرف طفلي قرب ينبوع ماء، قبل ذهابهم بعيدًا إلى المدينة، حيث يعيش العديد من الناس. لم تكن سعيدة ولا حزينة لكونها هناك؛ لأنها كانت تعرف أن نهاية حياتها كانت قريبة وأن أولادها لن يحبوا أو يتمكنوا من العودة بأي شكل مهما كانت الأسباب، ففي المدينة هناك دائمًا العديد من الأشياء لعملها، وعليهم أن يقوموا بها، غير مبالين بتذكرهم للوقت الذي كانوا قد عاشوا فيه في التلال يخدمون المرأة العجوز ولا يبخلون عليها بالرعاية.

عند مدخل الكهف، وفي أوقات معينة من السنة، كانت هناك ستارة من الماء المتساقط أمامه حيث يتوجب على المرأة العجوز عبورها للدخول. كان الماء ينحدر إلى أسفل المنحدر من النباتات الموجودة أعلاه ويقطر نحو الطمي الموجود في الأسفل، لذا فقد عودت المرأة العجوز نفسها على الجلوس منحنية دون حركة في الكهف لفترات طويلة من الوقت لكي تبقى جافة وبعيدة عن البلل قدر المستطاع.

في الخارج عبر قطرات المياه المتساقطة كانت ترى الأرض الجرداء تلمع بفعل السماء الرمادية، وأحيانًا كانت أوراق النبات الكبيرة الجافة تطير من أمامها بفعل دفع الرياح لها؛ تلك التي تأتي من الأجزاء المرتفعة من الأرض.

اعتاد القليل من الناس على المرور من وقت إلى آخر على امتداد الطريق، ليس بعيدًا عنها، ولأن الينبوع كان على مقربة، فإن القادمين منهم الذين يعرفون أن عين الماء موجودة، لكن ليس بالضبط أين كانت توجد هذه العين، هؤلاء أحيانًا ما كانوا يقتربون من الكهف قبل اكتشافهم أن العين ليست هناك. المرأة العجوز لم تكن تتحدث إليهم أبدًا. كانت تراقبهم فحسب بينما يقتربون وفجأة يرونها. ثم تواصل مراقبتها لهم وهم عائدون وهم يذهبون في اتجاهات شتَّى أخرى بحثًا عن الماء لكي يشربوا.

كان هناك الكثير بخصوص هذه الحياة التي تحبها المرأة العجوز.

لم تعد مجبرة بعد الآن على الجدال مع أولادها لجعلهم يجيئون بالخشب لفرن الحطب. كانت حرة في التنقل هنا وهناك في الليل للبحث عن الطعام كان بإمكانها أكل أي شيء تجده بدون أية مشاركة من أحد. لم تكن مدينة لأحد بأي جميل تشكره عليه لشيء نالته في حياتها.

اعتاد رجل عجوز على المجيء من القرية إلى أسفل الوادي، والجلوس على صخرة قريبة بقدر كاف من الكهف بحيث يمكنها أن تدرك وجوده. عرفت أنه كان مدركًا لوجودها هناك في الكهف، وعلى الرغم من أنها لم تكن تعلم هذا، إلاّ أنها كرهته لعدم إعطائه أية إشارة يُعبِّر فيها عن أنها موجودة هناك. بدا لها أنه لديه فرصة غير عادلة ضدها ويستخدمها بطريقة غير مهذبة. فكَّرت في العديد من الأفكار لمضايقته إذا حاول الاقتراب أكثر من هذا، لكنه كان دائمًا يمر على نفس المسافة، متوقفًا لبعض الوقت للجلوس فوق الصخرة، غالبًا عندما يريد أن يحدق مباشرة

www.ahlaltareekh.com

نحو الكهف. ثم بعد ذلك يستأنف سيره ببطء، كان يبدو دائمًا للمرأة العجوز كما لو أنه يذهب ببطء أكثر عما كان قبل استراحته.

كانت هناك عقارب في الكهف طوال تلك السنين، لكن الأهم كان وجود العقارب خلال الأيام السابقة مباشرة لابتداء النباتات في جعل الماء يتساقط. كان لدى المرأة العجوز كومة ضخمة من الخرق والأسمال البالية، التي كانت تمسح بها الحوائط وتنظف السقف من هذه العقارب لتسحقهم في سرعة بكعب قدمها العاري القوي أحيانًا بين الفينة والفينة كان أحد الطيور أو الحيوانات البرية يضل إلى داخل المدخل، ولكنها لم تكن أبدًا سريعة بما يكفي لتقتله، وسرعان ما تقلع عن المحاولة.

في يوم قاتم مليء بالسحب نظرت فوجدت أحد أبنائها يقف عند المدخل. لم تذكر أيًا من أولادها هو، لكنها اعتقدت أنه كان ذلك الذي ركب الجواد إلى أسفل قاع النهر الجاف، وربما مات مقتولاً على الأرجح. نظرت إلى يده لترى ما إن كانت هي يده. لكنها لم تكن كذلك.

بدأ التحدث قائلاً: «هل هذا أنت؟»

- نعم.

- هل أنتِ بصحة جيدة؟

- نعم.

- هل كل شيء على ما يرام.

- كل شيء على ما يرام

- أنت موجودة هنا؟

- بإمكانك أن ترى هذا.

- نعم.

كان هناك صمت. نظرت المرأة فيما حول الكهف وكانت غاضبة لرؤية ذلك الرجل عند المدخل وقد جعله فعلاً لا ينفذ الضوء إلى الداخل. شغلت نفسها بمحاولة تمييز الأشياء المتنوعة التي لديها: عصاها، جرة الماء، علبتها

www.ahlaltareekh.com

المصنوعة من الصفيح، طول حبلها. كانت متجهمة من فرط المجهود..... تحدث الرجل مرة ثانية:

ـ هل تسمحين لي بالدخول؟

ـ لم تعط إجابة.

تراجع مبتعداً عن المدخل، ينفض قطرات الماء عن ثيابه. كان في موقف يسمح له بقول شيء مهين، هكذا فكرت المرأة العجوز، التي، على الرغم من ذلك لم تعرف من يكون ولا ماذا كان يريد أن يقول، وتذكرت ما سوف يفعله.

قررت أن تتكلم.

ـ ماذا؟ قالت.

أحنى رأسه إلى الأمام عبر ستارة المياه وكرر سؤاله.

ـ هل بإمكاني الدخول؟

ـ ما الذي تريده؟

ـ لا شيء.

أضافت: لا يوجد متسع هنا.

تراجع مرة ثانية، ومسح رأسه. اعتقدت المرأة أنه ربما يكون ذاهباً، ولم تكن متأكدة إن كانت تريده أن يفعل. أيًا كان، لم يكن هناك شيء آخر بإمكانه أن يفعله، فكرت. سمعته وهو يجلس في الأسفل خارج الكهف، ثم شمت رائحة تبغ. لم يكن هناك صوت سوى صوت المياه المتساقطة فوق الطمي. بعد فترة زمنية قصيرة سمعته ينهض. وقف مرة ثانية خارج المدخل.

ـ سوف أدخل، قال.

لم تُجب.

انحنى واندفع إلى الداخل. كان الكهف واطئًا جداً بالنسبة إليه كي يقف نظر متفحصاً فيما حوله وبصق على الأرض.

ـ تعالي قال.

ـ أين؟

ـ معي.

ـ لم.

ـ لأنه عليك أن تأتي.

انتظرت لفترة قصيرة، ثم قالت بارتياب: إلى أين ستذهب؟

أشار بلا مبالاة تجاه الوادي، وقال: أسفل ذلك الطريق.

ـ إلى المدينة؟

ـ أو أبعد؟

ـ لن أذهب.

عليك المجيء.

ـ لا.

ـ التقط عصاها وناولها إياها.

ـ غداً، قالت.

ـ الآن.

ـ ينبغي عليَّ أن أنام، قالت، عادت لترقد فوق كومة أسمالها.

ـ حسنًا سأنتظر بالخارج. أجاب، وذهب إلى الخارج.

دخلت المرأة العجوز في النوم على الفور. حلمت أن المدينة كانت واسعة جداً. ممتدة إلى ما لا نهاية وشوارعها ممتلئة بالناس الذين يريدون ملابس جديدة. كان للكنيسة برج عال ذو أجراس عديدة كانت تدق طوال الوقت. كانت تمشي في الشوارع طوال يوم كامل، محاطة بالناس. لم تكن متأكدة هل كانوا كلهم أبناءها أو لا. سألت بعضاً منهم: هل أنتم أبنائي؟ لم يكن في استطاعتهم الإجابة، لكنها اعتقدت أنهم إن كانوا قادرين على الإجابة، فسوف يقولون: نعم. وعندما حل الليل وجدت بيتًا بابه مشرع. بالداخل كان هناك ضوء وبعض نساء جالسات في أحد الأركان. نهضن عندما دخلت . وقلن لديكِ حجرة هنا. لم تكن راغبة في رؤيتها، لكنهن ظللن يدفعنها حتى دخلتها وأغلقن الباب.

www.ahlaltareekh.com

وجدت نفسها فتاة صغيرة وكانت تبكي. أجراس الكنيسة في الخارج عالية جدًا، وتخيلت أنها تملأ السماء. كانت هناك مساحة مفتوحة في أعلى الحائط فوقها. كان بإمكانها رؤية النجوم من خلالها، وألقت النجوم بالضوء داخل غرفتها. عبر البوص والغاب الذي يتشكل منه السقف جاء عقرب يزحف، نزل على الحائط ببطء تجاهها. توقفت عن البكاء وراقبته. ذيله منحن إلى أعلى فوق ظهره ويتحرك قليلاً من جانب إلى آخر بينما كان يزحف. بحثت سريعًا عن شيء ما تزيحه به ونظرًا لأنه لم يكن هناك شيء بالغرفة استخدمت يدها لكن حركتها كانت بطيئة، وأمسك العقرب إصبعها بكلابتيه، ممسكًا بها بإحكام على الرغم من أنها حركت ذراعها تهزها في قوة في كل الاتجاهات. ثم أدركت أنه لن يلدغها. غمرها إحساس طاغ بالسعادة. رفعت إصابعها إلى شفتيها لتُقبِّلُ العقرب. توقفت الأجراس عن الرنين. بخطوات بطيئة كان ذلك العقرب قد تحرك إلى داخل فمها. أحست بقشرته أو محارته الصلبة وأرجله الكلابية الصغيرة خلال شفتيها وعبر لسانها. كان يزحف ببطء إلى أسفل حلقها واستقر هناك. استيقظت وصرخت بدهشة.

رد ابنها: ما الأمر؟

- أنا مستعدة.

- بهذه السرعة؟

وقف بالخارج حتى جاءت عبر ستارة المياه، متكئة على عصاها. ثم بدأ يخطو خطوات قليلة إلى الأمام منها نحو الطريق.

- سوف تمطر، قال ابنها.

- هل الرحلة طويلة.

- ثلاثة أيام، قال وهو ينظر إلى قدميها الخائرتين.

أومأت برأسها، ثم لاحظت الرجل العجوز الجالس على الصخرة. كان قد انطبع على وجهه تعبير عميق من الدهشة، كما لو أن هناك معجزة قد حدثت لتوها. كان فمه فاغرًا بينما هو يحدق في المرأة العجوز. وعندما وصلا قبالة الصخرة أنعم النظر عن قصد أكثر مما سبق إلى وجهها. تظاهرت بأنها لم تلحظه. بينما كانا يمشيان في طريقهما ببطء أسفل التل على امتداد الطريق الحجري، سمعا الصوت الواهن للرجل العجوز من خلفهما يحمله الهواء.

- مع السلامة.

- من هذا؟ قال ابنها.

- أنا لا أعرف.

نظر ابنها إلى الوراء نحوها باكفهرار.

- أنت كاذبة، قال.



www.ahlaltareekh.com

اسم الله الأعظم

آدم بمبا

كوالالمبور ـ ماليزيا

كنت أسير مع رفاقي بين أعشاب السَّافانا الطويلة، والبدر في ليلة تمامه حتى ليكاد يُنسيك أن الوقت ليل. تُجيل ببصرك في صفحة السَّماء الفسيحة فلا تكاد تعثر على مقدار قبضة يد من السَّحاب في صفحتها الزَّرقاء، وفي المدى البعيد، في هذا السَّهل المنبطح، تهبُّ الرياح العليلة؛ فتتمايل بها الأعشاب الطَّويلة المنعكسة لضوء القمر فيبدو سرابه للنَّاظر كأنه بحر ممتدٌّ تلعب على سطحه الرِّياح.. لعل الشَّيء الوحيد الذي بقي جميلاً، ولم تصل إليه رصاصاتنا في هذه الحرب القبليَّة الملعونة، هو هذا القمر المنير، والنَّسيم العليل الذي يضفي على سكون الليل إنعاشاً ورقَّة.

تحملني أحلامي، بل أشجاني، إلى زمنٍ قريب لا تكثر عن ثلاث سنوات، في مثل تلك اللَّيالي الجميلة، وتحت ضوء القمر المنير، كنتُ أسابق أترابي إلى ساحة القرية، وعلى إيقاع الـ «بَلافُونْ» ونغمات عود الـ كُورا»، وأصوات طبلة «جِمْبِي» كنا نستسلم لهستيريا رقصيَّة صاخبة، وبسرعة دقات الطبلة كانت أقدامنا تدقُّ الأرض، حتى لكأنَّ صوت الدَّقات ينبعث من وقع أقدامنا لا من الطبلة، وبطول تصفير صاحب العود في عوده، كنا نظلُّ وسط الحلقة نحرِّك كلَّ جزء في أجسامنا كأننا تحت تأثير مسٍّ من الجنِّ أو صعقة كهربيَّة. في ضوء هذا القمر المنير.. تحملني شجوني إلى تلك الليالي المقمرة، وقد تحلَّقت بنات القرية، يصفِّقن تصفيقات منتظمة على إيقاع غنائهن.. تنتزع إحداهن من الحلقة واقفةً وسطها، وعلى البديهة، تنشد أغنية قصيرةً سرعان ما تردِّد المجموعة إحدى مقاطعها مع المغنِّية..

آه.. ها هي «ماسيني» الجميلة تنتزع من الحلقة، وها هي بصوتها البلبلي تنشد أغنيةً كأنها حفظت تلك الأغنية منذ طفولتها من أفواه مرقصيها.. تقول:

تحت ضوء القمر المنير..

وغير بعيد عن كوخ أمِّي الفسيح

مرَّ غلام وسيم وبيده عوده الصغير

تحت ضوء القمر المنير..

لم أطق قرارا.. في كوخ أمي الفسيح

كانت تلك الكلمات ترنُّ في أذني، وأنا أعلم يقيناً أنها لم تنشد إلا لي أنا، وهل يصعب على المرء تمييز نصيبه من الكلام؟ وفي الحال، كنت أرفع العود إلى شفتي، وأدفع من جوفي أنغاماً ومزامير لا يخطئ أحدٌ من السامعين أنها ردٌّ بالحسنى في حقِّ التي لم تطق قراراً في كوخ أمِّها الفسيح.

آه.. ما أقرب اللَّيلتين، ولكن ما أشد اختلافهما. ليلة مضت وأنا بعود أصدر منه أنغاماً منسابة، وليلة حاضرة وأنا فيها بكلاشنكوف يروِّع صوته حتى التماسيح الكسلى الراقدة بعيونها الكبيرة عند ضفة النَّهر ذي اللَّون اللَّبني.

كنت أسير مع رفاقي، ونحن في صمت نمل الـ «مانْيا» الاستوائية الغازية؛ حذرين أن يتنبَّه أهل القرية بقدومنا؛ فيأخذوا حذرهم، ويهاجمونا قبل أن ننطلق فيهم انطلاق الذئاب في قطيع حملان. وهكذا سرنا حتى دنونا من القرية، وحمل الليل الصامت إلى أسماعنا نباح الكلاب المتقطِّعة. لوَّح

www.ahlaltareekh.com

بنا رائد المليشية الكابتن «الأفعى الغضبان» برشاشته إشارةً بالتَّوقُّف، ثم أومأ إلينا بالجلوس لاستعادة قواتنا ونشاطنا. وكعادتنا قبل كل غارة، كان ذلك وقت تدخين الأفيون واستنشاق المخدّر، والاستماع للمرة الألف إلى توجيهات الرائد وأوامره بالقتل وعدم الإشفاق على هذه القبائل التي لا تستحقُّ أرواحها ثمن الرَّصاص الذي نضيِّعه في تقتيلهم.

كانت المعركة، بل المجزرة، قد أسفرت، وأشرق الصَّباح بجوِّه الصافي، غير أن البلدة كانت غارقة في ضباب من الدُّخان المتصاعد من الأكواخ المبنية من أعواد البامبو المحترقة. كنا قد جمعنا النِّساء اللاتي أخطأتهن رصاصاتنا أو استبقيناهنَّ لحصَّة «الفحولة».. أما الأطفال الصِّغار، فكان معظمهم قد أخرِس من شدَّة الهلع، وأما من لم يخرسه هول الموقف، أو الرَّضيع الذي لم تكن في أمِّه بقيَّة حياة أو حركة لإسكاته، فإن رائدنا سرعان ما كان يضجره ذلك الصِّياح، فينْزع الطِّفل من بين ذراعَيْ أمِّه، ويرفعه من رجله في الهواء، ويُسكته بطلقة رصاص في فمِّه الصَّغير الخالي من الأسنان اللبنية، ثم يلقي به على أمِّه.. كانت تلك أبسط أنواع التَّقتيل التي تعوَّدنا رؤيتها من رائدنا «الأفعى الغضبان»، وتعلَّمنا تنفيذها تحت أوامره، وفي كل مرَّة كنا نكتشف معه طرقاً تعذيبيَّة بشعة لضحايانا مما لم يحلم به الرُّومان وهم يصفرون ويصفِّقون لمشهد الأسُود الضارية وهي تحلِّق بالشَّخص الملقى بينها، وتضيق عليه الحلقة خطوةً خطوة، قبل أن تطلق في جسمه مخالبها الغضبى، وأنيابها الحادَّة تمزِّقه بعنف.هكذا كان رائدنا قد انتزع طفلاً رضيعًا من بين ذراعيْ أمِّه، وبركلة من جزمته الغليظة، كان قد أكبَّ المرأة الولهى على وجهها في شبه غيبوبة. بدأ رائدنا الكابتن «الأفعى الغضبان» يعدُّ تنازليًّا من ثلاثة إلى صفر، ويستجمع قواه ليلقي بالرضيع عالياً في الهواء عند العدد صفر، ولتنطلق رصاصاتنا صوب هذا الجسم الملقى في الهـــواء.. ثْرِي.ي.ي.. تووووو.. واااااااانْ.. هنا انطلقت صرخة مدوية من أمِّ الرضيع اختلطت بأصوات أعواد البامبو المتفرقعة بين لهيب النِّيران.. صرخت في استغاثة: إيهْ مارِي الله!!! في ذلك الحين، في أقلَّ من غمضة عين، كان دولاب الزَّمن قد توقَّف ليستوعب أحداثًا كثارًا تضيق عنها سنون.. في تلك اللَّحظة، تراجع بي الزَّمن سنين، تدافعت في أذنيَّ الأصوات مثل صوت شريط كاسيت بالتَّمرير العكسي السَّريع.. هربت الصُّور أمام عيني هروب الأشجار والأجسام بين عينيْ راكب قطارٍ سريع، وفي نقطة بالذَّات، توقَّفت الصور والأصوات: صورتي وأنا أعبث بفرخ حمامة لم ينبت ريش جناحها بعدُ، أربط ساقها بخيط، وأرمي بها في الهواء.. صورة أمي وقد فاجأتني، وصوتها المدوي، وهي تصيح في غضب وردْع: إيهْ مارِي الله!! عُوثُو (عثمان)!! ألقيتُ بالفرخ المسكين وهربت، وأمي تهدِّدني وتتوعَّدني بإطعامي الفرخ طازجاً إن هي ماتت. - يا لك من ولد دَموي.. مصَّاص دماء.. لا شكَّ أن لبن الرَّضاعة كان يتحوَّل في حلقك إلى دم! بسرعة البرق والضَّوء، تراجع دولاب الزَّمن رجعة خلفيَّة إلى الحاضر.. واااااااانْ.. تتابعت الرَّصاصات من رشاشتي الأتوماتيكيَّة مثل أسراب نحل.. ترررررررْ.. تتابعت الرَّصاصات من رشاشات رفاقي.. ترررررررْ.. انطلق بعضها صوب رأس رائدنا الكابتن «الأفعى الغضبان»، وانطلق بعضها خبط عشواء.. تعالت الصَّيحات، واختلطت الأنَّات، وتكاثف الدخان، وفي برهة من الزَّمن، كان الصمت، كانت الدنيا في درجة الصِّفر التي كنا ننتظرها جميعاً من رائدنا.. جثَّة رائدنا، جثث متناثرة.. جثث أصحابي.. جثَّتي أنا؟؟ هل أنا حي؟ وهنا -بالذات- كان الرَّضيع قد أطلق للمرَّة الأولى صرخة الحياة التي أحيتْ بعض الأموات، أو ميَّزت الأحياء من الأموات، وحرَّكت عقارب ساعة الحياة لتدبَّ متثاقلةً ثانيةً ثانية.. جاوبه الحنان الأمي بصرخة مثلها، وطارت إليه تنْتزعه من بين جثث الموتى المنكفئة عليه مثل أنقاض بُرجيْ نيويورك.. تسابقت النساء والأطفال إلى الأم ورضيعها. رفعت رأسي؛ إذن أنا حيٌّ!! هبت كي أشارك في هذا السِّباق إلى الحياة والأمل.. رصاصاتٌ في ساقي اليسرى قلن: لا!

www.ahlaltareekh.com



بنيـة الجماعـات العلمـية العربية الإسلامية

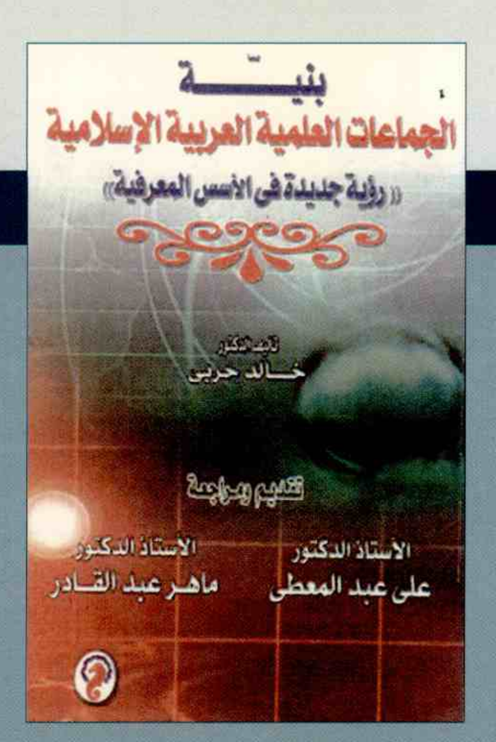
حاتم السيد مصيلحي
الإسكندرية ـ مصر

لم تكن كلمة «اقرأ» مجرد كلمة فتحت أمام البشرية آفاقًا جديدة، أو لفظة أرّخت لكتاب سماوي جاء خاتمًا لسائر الكتب والعقائد السماوية، وإنما كانت بمنزلة روح جديدة نفثتها العناية الإلهية في روع البشرية، كي ينجلي عنها الجهل والضلال، ويحل مكانهما النور والحكمة، وهذا ما ورد بنصه في قوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأُميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ الجمعة٢. فأخذ المسلمون هذا الأمر الإلهي على عاتقهم يطبقونه باسم ربهم الذي خلق، ويجمعون ما تيسر لهم من الحكمة أينما ثقفوها، فكانت وظلت ضالتهم التي ينشدونها في كتب السابقين واللاحقين، فتناقلوها ونقلوها إلى عربيتهم، صانعين بذلك أكبر حضارة عرفها التاريخ، امتدت بين المشرق والمغرب، فزلزلت عروشًا، وهددت جيوشًا، وأقامت صروحًا وجماعات علمية يربطها روح الفريق. وهذا ما توصل إليه، وأثبته الدكتور خالد حربي في كتابه «بنية الجماعات العلمية العربية الإسلامية» وبصفة خاصة لقرنين بلغت فيهما الحضارة الإسلامية أوج مجدها وعزها ألا وهما القرنان الثالث والرابع الهجريان جاعلاً الترجمة مفتاحًا لتاريخ الحضارة الإسلامية، وهمزة الوصل لتاريخ العلم البشري الذي انصهر في بوتقة الفكر والعبقرية الإسلامية، والجسر الذي عبرت عليه ثقافات وعلوم الأمم الأخرى إلى العالم الإسلامي، حيث توافرت البيئة الخصبة التي استطاع المسلمون أن يؤسسوا من خلالها علومًا فلسفية ودينية وطبية ورياضية وغيرها.

حركة الترجمة وأثرها

ولقد نشطت حركة الترجمة نشاطًا ملحوظًا في العصر العباسي، وخاصة في عهد الخليفة المأمون حتى غدت سياسة أو إستراتيجية عامة للدولة، فقد شملت ما أنتجه الأقدمون من فلسفة وعلم، ولم يمض زمن طويل على تأسيس بغداد حتى كان العرب يطالعون بلغتهم معظم ما

www.ahlaltareekh.com



بنية الجماعات العلمية العربية الإسلامية
«رؤية جديدة في الأسس المعرفية»
تأليف: د. خالد حربي
تقديم ومراجعة الأستاذ الدكتور علي عبدالمعطي، والأستاذ الدكتور ماهر عبدالقادر

كتبه أرسطو، وأكثر مؤلفات أفلاطون والأفلاطونية الحديثة، وأهم ما كتبه أبقراط وجالينوس وإقليدس، وبطليموس وغيرهم من الكتّاب والشراح، ولم يقفوا عند علوم اليونان، بل تجاوزوها إلى الترجمة من الفارسية والهندية ... إلخ، وينبغي أن نشير إلى أنه كان من الصعوبة بمكان أن يتحقق هذا المشروع القومي للترجمة، وأن ينجح، ويؤدي رسالته الإنسانية لولا الحرية التي توافرت لرجل العلم والفكر، وسياسة التسامح التي انتهجتها الدولة العباسية آنذاك تجاه الآخرين وحضارتهم وعقائدهم، وقد كان للسريان، سواء أكانوا نساطرة أم يعاقبة، دور واضح وملموس بوصفهم إحدى حلقات الوصل التي انتقل عبرها التراث من اليونان القديمة إلى المسلمين. ويرى الدكتور خالد الحربي أنهم، على الرغم من الجهود الضخمة التي بذلوها في ترجمة العلوم اليونانية إلى العربية، قد نسبوا إلى أرسطو وأفلاطون كتبًا كثيرة، ونقلت إلى العالم الإسلامي بهذه النسبة الخاطئة، مثل كتاب الربوبية المنسوب خطأ إلى أرسطو، على أن كثيرًا مما نسبوه إليه صحيح، وبخاصة ما يتصل بالطب والحيوان، كما أن ترجماتهم كان يشوبها الضعف والخروج عن قواعد اللغة العربية في كثير من الأحيان، مما احتاج ذلك إلى مراجعة ترجماتهم على يد مفكرين عرب وغير عرب ... وعلى العكس من ذلك كانت الترجمة عن الفارسية، إذ إن المترجم كان يتحرى الدقة أولاً في الوقوف على أدق نص للكتاب الذي يترجمه، حتى يتحاشى الأخطاء المختلفة للنُساخ في معظم النسخ.

وأيًا يكن الأمر، فقد كان للترجمة أثرها الكبير في نشأة الجماعات العلمية، وتكوين هيكلة معلوماتية ومؤسسية تمثلت في «بيت الحكمة» الذي استمد اسمه - بلا شك - من العلوم الفلسفية والمعرفية التي جرت ترجمتها آنذاك، وقد تكوّن من بناية كبيرة بها عدد من القاعات والحجرات الواسعة، وتضم مجموعة من خزائن الكتب، وقسمًا خاصًا بالترجمة رتب فيه الرشيد عددًا من المترجمين ومن يعاونهم، فكان منهم أبو سهل الفضل بن نوبخت الذي عني بالنقل عن الفارسية وغيره، ومن

www.ahlaltareekh.com

مفاخر المسلمين أنهم أدركوا في العصور الوسطى ضرورة أن يكون بالمكتبة قسم للطبع والنشر، ولم تكن وسائل الطبع الحديثة قد وجدت بعد بطبيعة الحال، فعينوا بالمكتبات نساخًا عُرفوا بالدقة والإتقان وجودة الخط، بحيث لا تدعو الرغبة أحدهم في سرعة الإنجاز إلى أن يحذف في أثناء الكتابة شيئًا أو أن يسهو عنه.

أثر بيت الحكمة

ومن أهم المؤثرات العلمية والثقافية التي أحدثتها مكتبة «بيت الحكمة» في العالم الإسلامي أن انتشرت المكتبات العامة في معظم أقطاره، كمكتبة قرطبة التي زخرت بكثير من المصنفات في مختلف العلوم والفنون، والتي ضمت خزائنها أربعمئة ألف مجلد، وذلك في عهد الحكم المستنصر ٣٥٠هـ، و«دار الحكمة» بالقاهرة التي أنشئت في عهد الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥هـ، وأجريت الأرزاق على من فيها من العلماء والفقهاء والأطباء، وأبيح دخولها لسائر الناس، فوفدوا إليها على اختلاف طبقاتهم، كما أباح الحاكم المناظرة بين المترددين إلى دار الحكمة، و«دار العلم»، بالموصل في مطلع القرن الرابع الهجري التي أنشأها أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي، وكانت تشتمل على جميع العلوم، وقد جعلها وقفًا على كل طالب علم لا يُمنع أحد من دخولها، وكان لذلك أثره في تأسيس عدد كبير من المدارس العلمية بعد القرن الرابع الهجري، «كالمدرسة النظامية» التي أسسها نظام الملك، و«المدرسة الأتابكية» العتيقة قبل سنة ٥٤٢هـ.

ومن ثم كان بيت الحكمة مواكبًا لدعوة الإسلام في انفتاحه على العقلانية الإنسانية، وأصالة هذا التوجه العلمي في الفكر الإسلامي منذ نزول القرآن الكريم.

جدّة المفاهيم

كما تمخض عن حركة الترجمة الواسعة، أفكار ومفاهيم لم يكن للمسلمين بها سابق معرفة، ولم يدر بخلدهم السؤال عنها، وإن كانت هناك إرهاصات على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم سجلها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي...﴾ الإسراء:٨٥. ﴿ويسألونك عن الساعة أيان مرساها ...﴾ النازعات:٤٢. كما دونت السنة طرفًا منها، حينما سأل أحد الأعراب الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله ومن أين أتى؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء ...». وقد أوجد القرآن الكريم ببلاغته وإعجازه طريقة للدعوة والجدل بقوله تعالى: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ النحل:١٢٥. إلا أن اتساع رقعة العالم الإسلامي الجغرافية والمعرفية، واحتكاك المسلمين بغيرهم من أصحاب الديانات والأجناس الأخرى الذين كانوا يعيشون بين ظهرانيهم، وانتشار مقولاتهم التي ما أرادوا بها سوى إضعاف الروح الإسلامية، وتفتيت وحدة المسلمين، اضطرت العلماء إلى التسلح بالفلسفة والمنطق الأرسطي لمواجهة هؤلاء الخصوم الذين حذقوا فن الجدل الديني، وكان هذا سببًا كافيًا لنشأة علم الكلام.

مناظرات علمية

وإذا كان فن الجدل والحوار والمناظرة قد تأثر بالمنطق

الجبرية: إن الإنسان مجبور في أفعاله. وقالت القدرية والمعتزلة: إن الإنسان مختار في أفعاله. حر في إرادته. ورأي أهل السنة والجماعة أن الإنسان مخير فيما يعلم ومسير فيما لا يعلم. واعتقد الأشاعرة أن الفعل الإنساني يتم بالمشاركة بين الله وعباده

www.ahlaltareekh.com

تمخض عن حركة الترجمة الواسعة أفكار ومفاهيم لم يكن للمسلمين بها سابق معرفة. ولم يدر بخلدهم السؤال عنها. وإن كانت هناك إرهاصات على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم سجّلها القرآن الكريم

اليوناني ومحاوراته إلا أن الدكتور خالد حربي يرى أن تلك المناظرات تعدّ أيضًا متطورة لما عرفته شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام من مناظرات كانت تدار بين المذاهب، مستشهدًا بما أورده الشهرستاني في الملل والنحل من مناظرات ومحاورات جرت بين الصابئة والحنفاء في المفاضلة بين الروحاني المحض والبشرية والنبوية.

دين ودنيا

ومع بداية القرن الثالث الهجري - الذي يعد البداية الحقيقية للنهضة العلمية التي عاشتها الأمة الإسلامية، التي كانت المناظرات العلمية - بلا ريب - إحدى صور هذه النهضة التي تمثلت في نوعين من الدراسة وما يتعلق بها من علوم فرعية: نوع ديني يرتبط بدراسة القرآن والحديث والفقه، ونوع دنيوي يرتبط بدراسة الطب وما يتعلق به، اعتمد البحث في العلوم النقلية على الرواية وصحة السند، في حين اعتمد منهج العلوم العقلية، كالطب والطبيعة والرياضيات على معقولية الحقائق واختبارها عن طريق المنطق والتجربة العلمية، وبطبيعة الحال كان لكل نوع مناظراته الخاصة به، وقد أثرت تلك المناظرات تأثيرًا كبيرًا في تشكيل هياكل الجماعات العلمية، أمثال: جماعات جبرائيل بن بختيشوع، وحنين بن إسحاق، والرازي، وثابت بن قرة ... إلخ.

مشكلات كلامية

ولقد ضرب المؤلف مثلاً ظاهرًا يمثل مفترق طرق لحياة العقل والفكر الإسلاميين، إذ كان لحكم مرتكب الكبيرة نقطة تحول كبرى في منظومة الجماعات العلمية وبنيتها، والمناظرات الجدلية، ثم يفرد الباحث فصلاً كاملاً حول المشكلات الكلامية التي تفتقت عنها الاختلافات المذهبية وظهور المدارس الكلامية وعلى رأسها المعتزلة والأشاعرة، ومفندًا أوجه الخلاف التي أقضت مضاجع المفكرين والمتكلمين في تلك الفترة، بل إنها أدت في بعض الأحيان إلى أزمة ومحنة خصوصًا إذا كانت الدولة شريكًا في فرض فكر معين ضد آخر أو تبني رأي أو نظرية دون غيرها، وظهر ذلك جليًا في «محنة خلق القرآن» التي اكتوى بنارها الإمام أحمد بن حنبل ... فقد صرح المعتزلة بخلق القرآن، ووافقهم في ذلك الخوارج وأكثر الزيدية، وكثير من الرافضة، والمرجئة، وقد استند المعتزلة إلى آيات من القرآن يشعر ظاهرها بخلقه، وتقوم أدلة نقلية يستدلون بها على خلق القرآن، ومنها قوله جل شأنه ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ الأنبياء:٢، و﴿ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث﴾ الشعراء:٢٦. وما دام الله وصف كلامه (القرآن) بأنه (محدث) فلابد أن يكون مخلوقًا، وإذا كان القرآن هو آخر الكتب المنزلة بعد التوراة والإنجيل، فإن المعتزلة قالت: وما تقدمه غيره يلزم حدوثه، كما استندوا إلى أحاديث نبوية تدلل على نظريتهم منها قوله صلى الله عليه وسلم «كان الله ولا شيء ثم خلق الذكر» وقوله: «ما خلق الله عز وجل من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي في البقرة» كل ذلك إضافة إلى أدلتهم العقلية.

وكان مسوغ المعتزلة في إصرارهم على فرض الاعتقاد بخلق القرآن عقيدة عامة على المسلمين، يرجع إلى: خشية المعتزلة من أن يضاهي المسلمون المسيحيين في اعتقادهم

www.ahlaltareekh.com



أبدع المسلمون في الطب والعلوم وكان الفن موثقاً لتقدمهم

بقدم كلمة الله (المسيح)، فتوهم المعتزلة أن القول بقدم القرآن إنما يترتب عليه أن يحل القرآن في نفوس المسلمين مكانة المسيح من النصارى إذ كلاهما: القرآن والمسيح كلمة الله، لذلك استعدى المعتزلة الدولة على كل مخالف للقول بخلق القرآن واتباعها لهم بالقتل والحبس والجلد وقطع الأرزاق، وهذا ما أدى إلى رد فعل عنيف من قبل العامة.

وعلى العكس من ذلك يرى الأشاعرة أن للّه كلامًا، وهم يستدلون على ذلك بوجود التكاليف الشرعية، فكيف لا يكون له كلام وبه يتحقق معنى الطاعة والعبودية لله تعالى، فإن من لا أمر له ولا نهي له لا يُوصف بكونه مطاعًا ولا حاكمًا، ومن ثم يرى الأشاعرة أن كلام الله غير مخلوق لقوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ النحل:٤٠. فلو كان القرآن مخلوقًا لكان الله تعالى قائلاً له: كن، والقرآن قوله، ويستحيل أن يكون قوله مقولاً له؛ لأن هذا يوجب قولاً ثانيًا، والقول في القول الثاني وفي تعلقه بقول ثالث، كالقول في القول الأول وتعلقه بقول ثانٍ، وهذا يقتضي ما لا نهاية من الأقوال، وذلك فاسد، وإذا فسد ذلك فسد أن يكون القرآن مخلوقًا، إذن القرآن قديم في معتقد الأشاعرة.

رؤية العلم

والقضية الثانية مسألة (رؤية الله) التي انقسموا إزاءها إلى فريقين: فالمعتزلة أجمعوا على انتفاء رؤية الله مطلقًا، فالله سبحانه لا يُرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة، وقال أكثرهم: إنه تعالى يُرى بقلوبنا بمعنى أنّا نعلمه بها.

ويستدل المعتزلة على نفي رؤية الله بالسمع والعقل جميعًا، فتراهم يستدلون بقوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ الأنعام:١٠٣. ووجه الدلالة في الآية، وهو ما قد ثبت من أن الإدراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية، وثبت أنه تعالى نفى عن نفسه إدراك البصر، ونجد في ذلك تمدحًا راجعًا إلى ذاته، وما كان من نفيه تمدحًا راجعًا إلى ذاته، كان إثباته نقصًا، والنقائص غير جائزة على الله تعالى في حال من الأحوال، ومعنى هذا أن رؤية الله مستحيلة عند المعتزلة.

ويخالف المعتزلة في ذلك أهل السنة والجماعة، فقد أقر السلف بأن القديم سبحانه يُرى، ويجوز رؤيته بالأبصار، إذ إن ما صح وجوده جازت رؤيته كسائر الموجودات ومن آياته قوله تعالى: ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ الأحزاب:٤٤ واللقاء يقع لغة على الرؤية، وبخاصة حيث لا يجوز التلاقي بالذوات والتماس بينهما، وقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ القيامة: ٢٢ - ٢٣. ولا زيادة على نعيم الجنة غير رؤية الله عز شأنه، وهذا ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة، كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته» ولو كانت الرؤية منتفية أو غير جائزة، كما زعم المعتزلة، لما تمناها وطلبها نبي الله موسى (عليه السلام) حين قال: ﴿رب أرني أنظر إليك قال لن تراني﴾

www.ahlaltareekh.com

الأعراف:١٤٣. » ولم يقل سبحانه وتعالى لا يجوز أن تراني، وعلق رؤيته جل شأنه باستقرار الجبل ﴿انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني، فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكًا وخر موسى صعقًا﴾ . الأعراف:١٤٣. فلم يتحمل موسى منظر الجبل، فكيف يتحمل تجلي الله له، ويؤول المعتزلة الحديث السابق بقوله: «ليس المقصود به رؤية الله بل رؤية العقل الأول الذي هو أول مبدع، وهو العقل الفعال الذي منه تفيض الصور على الموجودات وإياه، وفي المقابل يرى الأشاعرة أن رؤية الله بالأبصار جائزة».

الحرية والاختيار

والقضية الثالثة التي شغلت عقول المفكرين، هي (الحرية والاختيار) بل ظل الكثيرون يسألون أنفسهم هل نحن أحرار فيما نفعل؟ فتباينت الإجابات، واختلفت، فقالت الجبرية: إن الإنسان مجبور في أفعاله، وقالت القدرية والمعتزلة: إن الإنسان مختار في أفعاله، حر في إرادته، ورأى أهل السنة والجماعة أن الإنسان مخير فيما يعلم ومسير فيما لا يعلم. واعتقد الأشاعرة أن الفعل الإنساني يتم بالمشاركة بين الله وعباده، فالله يخلق في العبد الفعل والاستطاعة، والعبد يتصرف بهذا الفعل كما يريد.

وتلك كانت أهم القضايا التي أثيرت في الأوساط العلمية والكلامية إبان القرنين الثالث والرابع الهجريين.

ثم أفرد الدكتور خالد حربي في نهاية كتابه فصولاً مستقلة تحدث فيها عن المدارس والجماعات العلمية الفلسفية كنوع من التفصيل من جهة والتخصيص من جهة أخرى، فمثلاً باب الجماعات الفلسفية والمنطقية اختص بالكندي، والفارابي، وجماعة أبي بشر متى بن يونس، وفي باب جماعات العلوم الرياضية والفلكية تناول كالخوارزمي، وبني موسى بن شاكر، وفي العلوم الكيميائية جابر بن حيان، وفي العلوم الطبية أبا بكر الرازي، الذي توفر الدكتور خالد حربي على دراسته وتحقيق تراثه المخطوط منذ عشر سنوات، فحقق ونشر له حتى الآن سبعة كتب جعلت اسمه يقترن باسم الرازي، فلا يذكر الرازي كحجة للطب في العالم، إلا ويُذكر معه خالد حربي، ويُفسر ذلك بأن المخطوطات هي تخصص خالد حربي وعشقه (الأثير)، فضلاً عن الفلسفة وتاريخ العلوم عند العرب، تلك المجالات التي ألف ونشر فيها سبعة كتب أخرى، من أهمها «بنية الجماعات العلمية ..» موضوع هذا العرض، الذي اقتصر على بابين فقط من مجموع خمسة أبواب، إذ تحتاج الأبواب الثلاثة الأخرى إلى عرض خاص، وذلك لأهميتها في بنية الكتاب ككل، ذلك الذي يُعدّ وثيقة تاريخية حاول فيها الدكتور خالد حربي قدر طاقته أن يَرصُد الحركة العلمية والفكرية للعرب والمسلمين في عصر من أزهى عصور حضارتهم وأكثرها مجداً، مركزًا في دراسة الجماعات العلمية التي تشكل منها نسيج تلك الحضارة.

أبدع العرب في المناظرات العلمية بشقّيها الديني والدنيوي



www.ahlaltareekh.com



خوان ميرو: الفنان العبقري

محمد عبدالرحمن القاضي

طنجة - المغرب

ولد خوان ميرو في مدينة برشلونة عام ١٨٩٣م، لعائلة من الحرفيين، توارثوا الأعمال الفنية اليدوية جيلاً بعد جيل، فوالده كان صائغًا وصانع ساعات، وكان جده خوان ميرو حدادًا، وجده من أمه نجارًا. استهواه الفن منذ طفولته فكان يكثر من زيارة متحف الفن الروماني في برشلونة أيام الآحاد، فارتمى بين أحضانه ليرسم معالم حياته في عالم الفن على الرغم من معارضة أسرته.

كانت البداية في مدرسة الفنون الجميلة، ثم أكاديمية فرانسيسكو غالي ببرشلونة، وهناك اكتشف التكعيبية ليقول عنها فيما بعد: «لقد بدأت أمارس التكعيبية دون أن أذهب إلى باريس»؛ لأن عاصمة كاطالونيا المتميزة بموقعها الجغرافي، وبتاريخها الثقافي، وبطبيعتها الصامتة والحية، كان لها حضور كبير في عالم الفن؛ وذلك لمساهمتها المستمرة في فنون العالم، ولإنجابها عددًا من الفنانين، واستضافتها فناني المنفى خلال الحرب العالمية الأولى ، وإقامة المعارض وإيوائها عددًا من التحف الموجودة في متاحفها.

بدأ ميرو يرسم مبكرًا، فواجه صعوبات جديدة في التعبير عن نفسه فنيًا، ولم يكن في استطاعته أن يحقق ذلك. قائلاً: «عندما كنت أرسم طبيعة صامتة - ولم يكن عندي في ذلك الوقت لضيق ذات اليد مرسم - كنت أرسم في غرفة صغيرة في مونتروج وعندما عجزت عن التعبير عن نفسي ضربت رأسي في الحائط، لقد عانيت الكثير».

وفي عام ١٩١٨م، أقام أول معرض شخصي

www.ahlaltareekh.com



من داخل معرض لأعمال ميرو

ببرشلونة في غاليري دالمو، ولكنه صدم بإخفاق شنيع، فقرر السفر إلى باريس بعد ذلك بسنة، لقد ذهب ميرو إلى باريس (كمقاتل)، كما كتب لصديق له، وأكد هذا التشبيه، وقال في حرارة: «لا يذهب المرء إلى باريس كسائح يتجول فيما حوله، ولكن كمقاتل على استعداد للعراك .. لتحقيق النجاح في الحياة وصنعتي في مهنتي».

وفي باريس رحب به بيكاسو الذي كان قد تعرف إليه في برشلونة . وكان يكبره بعشر سنوات . واستضافه في بيته، وساعده على العيش، واشترى له الألوان، وأوصى به أصحاب الغاليرهات (قاعات العرض) التجار والنقاد من أصدقائه.

باريس ... مرحلة الانطلاق

بفضل حماية بيكاسو استطاع ميرو أن ينطلق في الحياة الباريسية، وأن يدخل في وسط مملوء بالفنانين والشعراء والكتاب. وهكذا عرف للوهلة الأولى من إقامته: أندري ماسون، وميشيل ليريس،

www.ahlaltareekh.com







بإشارات سحرية وحكايات كأنها الحلم، توقظ وتثير هذه «الذاكرة الإنسانية العملاقة» المخبأة تحت أكداس هائلة من العادات والأرقام والأوهام الإسفنجية المبرمجة، والحوادث اليومية المكررة، وتخطيطات «المحو» عالم موجود ولا يمكن الإمساك به، كأنه كان حيًا ومازالت له رائحة، ينتمي سكانه إلى ما قبل القرد حتى كهوف المدن المضاءة بالكهرباء، وكل أشكال وأشخاص «ميرو» تتعايش في فضاء شامل حيث القريب والبعيد، يمتزجان. «يوجد في لوحاتي كل الأشكال الصغيرة في فضاءات خاوية. منظر جوي لمدينة في الليل، شيء رائع، حيث نشاهد كل شيء. شخص صغير، بل حتى كلب صغير جدًا يمكن رؤيته، وهذا يأخذ أهمية كبيرة مثلما يحدث هذا في الظلام المطلق، خلال تحليق في الليل». لقد خلق وأبدع في صمت ولم يتعب، واحتل مساحات من وعي الإنسان بأعمال مضيئة. فبعد انتهائه من رسم سلسلة (نجومه) في عام ١٩٤١م، اتجه إلى الرُّسوم البطيئة، والرسوم العفوية، وفي فترة ما بين عامي ١٩٥٤م و١٩٥٩م، تحول بالخصوص إلى فن صناعة الخزف



طرق ميرو أشكالا كثيرة من الفن فاستحق لقب الأعنف خيالاً في تاريخ الفنون التشكيلية

www.ahlaltareekh.com



شغل ميرو بأعماله المبتكرة دارسي الفن التشكيلي

والطباعة الحجرية، وإلى فن النقش، فقد فاز في عام ١٩٥٤م بالجائزة الكبرى للنقش في (بينال) البندقية، وفي عام ١٩٥٩م على الجائزة الدولية الكبرى لمؤسسه (غوغينهايم لرسومه الجدارية (الشمس) و(القمر) بمقر اليونسكو بباريس. أما في مجال النحت فتتصف أعماله فيه بالوفرة، وأروع رسومه في هذا الموضوع (الطائر القمري) و(الطائر الشمسي) كما أنه رسم بمناسبة (الثورة الطلابية) لوحة تحت عنوان «مايو

www.ahlaltareekh.com

في باريس رحب به بيكاسو الذي كان قد تعرف إليه في برشلونة ـ وكان يكبره بعشر سنوات ـ واستضافه في بيته، وساعده على العيش، واشترى له الألوان، وأوصى به أصحاب الغاليرهات (قاعات العرض) والتجار والنقاد من أصدقائه

١٩٦٨م» سجل فيها حسب قوله هذه الانتفاضة التي لا تنسى للشباب واخترع في النحت أشخاصًا غرباء، ونسوة برؤوس عصافير، وأشباحًا ظريفة، الشيء وهذا ما يشهد على غنى خياله وسعة أفقه.

لقد أثبت قدرته على العمل بنشاط جم؛ ففي عام ١٩٨١م كان يعمل في وقت واحد، في نحت عدة تماثيل لحديقة عامة في برشلونة، فقد كان وفيًا إلى حد التزام مهمته كفنان. ومع أن آثاره قد تلقت مؤثرات تأثيرية وتكعيبية وغير ذلك إلا أنها تحولت بعد ذلك إلى ذاتية خاصة ربما كانت أكثر الخصوصيات تفردًا في تاريخ الفن الحديث.

أصبح خوان ميرو من الرواد الأوائل الذين طبقت شهرتهم الآفاق، من خلال تهافت المتاحف العالمية على اقتناء أعماله، واهتمام النقاد بدراسة هذه الأعمال، بيعت إحدى لوحاته في المزاد العلني في Christi بلندن عام ١٩٨٣م، بـ ٢١٤ مليون بسيطة (عملة إسبانية قبل اليورو) وكان أعلى ثمن يحصل عليه فنان حي آنذاك، (لوحة الميناء): ١٦٢× ١٣٠، رسمها الفنان عام ١٩٤٥م، وتمثل مرحلة تاريخية مهمة في حياة ميرو الثقافية والفنية. واعترافًا بفنه، وتقديرًا لعبقريته عدّت الحكومة الإسبانية شهر ديسمبر عام ١٩٧٨م (عام ميرو)، وأقامت متحفًا يحمل اسمه في برشلونة.

كان خوان ميرو، خليفة بيكاسو في زعامة الفن الحديث في العالم، وأعماله الفنية منتشرة في المتاحف والمؤسسات المهمة في القارات الخمس، إنه صاحب مذهب أو مدرسة جديدة في الفن، قال عنه رئيس بلدية برشلونة عندما توفي: «حمل خوان ميرو إلى كل العالم لون أحلامنا الأكثر لمعانًا، وحولها إلى لغة عالمية نفهمها كلنا». وقال عنه الشاعر الإسباني (فيسنتي إليكسندري ـ نوبل عام ١٩٧٧م): «كان أحد الشخصيات الأقوى والأعنف خيالاً في تاريخ الفنون التشكيلية». أما الفنان «سلفادور دالي» فقد وصفه قائلاً: «في أول الأمر كان ميرو عبقريًا جدًا ... ثم أصبحت أعماله فيما بعد مكررة، إذ يكفي أن تنظر إليها من بعيد دون أن تتمحص فيها لأن جميع لوحاته سواء».

المراجع

أ. الإسبانية:

١. مجلة (دفاتر الثقافة).Cuadernos de Culturan - 1/Junio. 1978, ps: 7-8-9

٢. صحيفة: EL Pais/N: 29/11/1998, P:1

٣. الملحق الفني لصحيفة: EL Pais/N: 24/4/1981, P:1

٤. صحيفة: EL Pais/N: 14/11/1981, P:3

٥. صحيفة: EL Pais/N: 20/6/1983, P:23

وعدد يوم: ٤، /٧/ ١٩٨٣ P:20-21

ب ـ العربية:

١. مجلة آفاق عربية، عدد١٠/١٩٧٩م، ص ١١٠.

٢. مجلة آفاق عربية، عدد١١/١٩٨٦م، ص ٧٣.

٣. مجلة آفاق عربية، عدد١٢/١٩٩٠م، ص ٨٤.

٤. مجلة آفاق عربية، عدد٦/١٩٨٩م، ص ١١٢.

٥. مجلة الأقلام، عدد ٦/١٩٨١م، ص ١٠٣.

٦. مجلة الثقافة العالمية (الكويتية)، عدد ٢٢مايو ١٩٨٥م، ص ١٩٨.

ت ـ الصحف:

١. الملحق الثقافي لجريدة (العلم)، عدد ٣١/١٢/١٩٨٣م، ص ١٢.

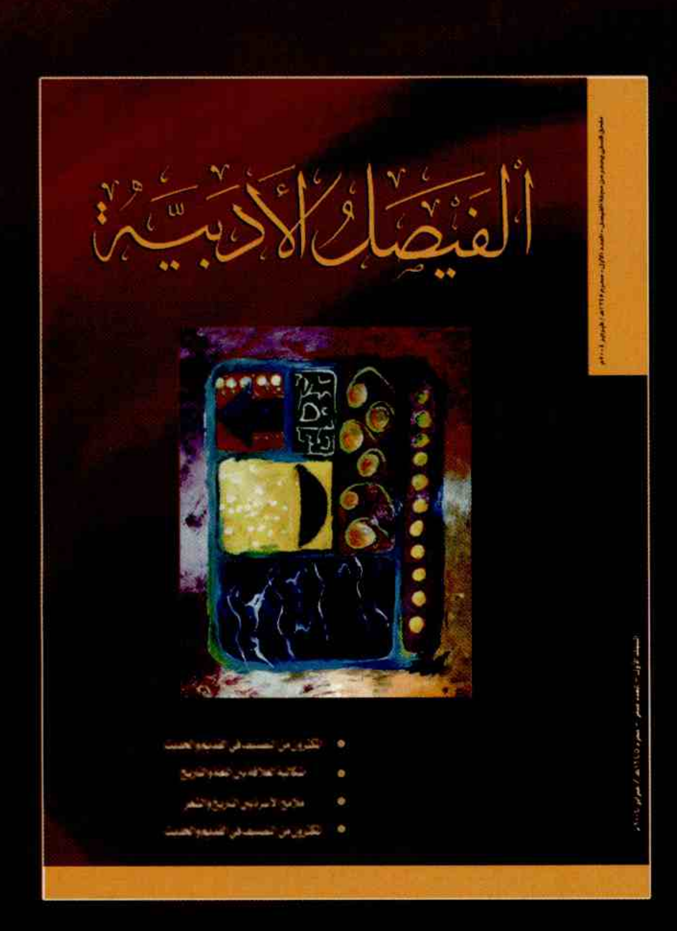
٢. ملحق الأنباء (الكويتية)، عدد، ١٩/٢/١٩٨٤م، ص ١٠.

٣. صحيفة (الرأي العام) الكويتية، عدد ٢٥/١٢/١٩٨٥م، ص ١٧.

٤. صحيفة (الرياض) السعودية، عدد ١٧/١/١٩٨٤م، ص ١٩.

www.ahlaltareekh.com


قريباً


الفيصل الأدبية



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٣٦) جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ/ أغسطس ٢٠٠٤م.

الفائز الأول: عبدالمجيد عبدالرؤوف السيد - دقهلية - مصر.

الفائز الثاني: أحمد عمر محمد السقاف - سيئون - اليمن.

الفائز الثالث: رلى كمال أسعد - عمان - الأردن.

الفائز الرابع: الهادي بن الطاهر بن إبراهيم - أريانة - تونس.

الفائز الخامس: الغدلاوي هشام - وادي زم - المغرب.

الفائز السادس: خلود خليل سلطان - الدوحة - قطر.

الفائز السابع: سناء ناصر سليمان - الجهراء - الكويت.

الفائز الثامن: أحمد مصلح عبدالخالق الشمراني - جدة - السعودية.

حل مسابقة العدد (٣٣٦)

١- لكل شيء في الحياة وقتُهُ
وغاية المستعجلين فوتُه

قائل البيت هو: أحمد شوقي.

٢- الدّيوبتر: وحدة قياس قوة العدسة.

٣- تتفُل: جرو الثعلب.

٤- ديونيسوس: إله الخمر عند الإغريق.

٥- الدبّال: مادة سمراء أو سوداء تنشأ من تحلل المواد النباتية والحيوانية وتشكّل الجزء العضوي من التربة.

أسئلة مسابقة العدد (٣٣٩)

ضع علامة ✓ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: وأحبب إذا أحببت، حُبًّا مقاربًا فإنك لا تدري متى أنت نازعُ

☐ قيس بن ذريح

☐ أبو الأسود الدؤلي.

(٢) أجأ وسلمى:

☐ جبلان شهيران في منطقة حائل شمال غرب المملكة العربية السعودية

☐ فرسا حاتم الطائي.

(٣) الأوفكليد

☐ رداء مطرز يغطي العنق والكتفين

☐ آلة موسيقية.

(٤) الراتينج:

☐ الوحدة الدولية لأشعة إكس

☐ مادة صمغية تسيل من معظم الأشجار عند قطعها أو جرحها.

(٥) فلاديمير زور يكين:

☐ فيزيائي أمريكي، روسي المولد يعد أبا التلفاز

☐ رسام روسي عني بتصوير الموضوعات الدينية والأسطورية.

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخاصة باللغة الإنجليزية.

www.alhaltareekh.com

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) . الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

www.ahlaltareekh.com

الملف الثقافي



- معرض دولي للكتاب في الرياض
- مؤتمر ثقافي إسلامي في مكة المكرمة
- رحيل الشاعر محمد حسن فقي
- رواية جديدة للطيب صالح
- معجم للمؤلفين المعاصرين

●● خاتمة المطاف: الخلط والإشكالية بين علي بك الكبير ومحمد علي باشا

www.ahlaltareekh.com



افتتاح معرض الرياض الدولي العاشر للكتاب

رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض في السابع من شعبان ١٤٢٥هـ الموافق (٢١سبتمبر/أيلول ٢٠٠٤م) حفل افتتاح معرض الرياض الدولي العاشر للكتاب الذي نظمته جامعة الملك سعود في الفترة من ٧ إلى ١٧ شعبان، وقد أدلى سموه بتصريح صحفي قال فيه: «هذه مناسبات سعيدة، وحضوري هذا اليوم في هذا المعرض شيء محبب إلى نفسي، وآمل من الكثير من أبناء هذه البلاد أن يزوروا هذا المعرض حتى ينتقوا ما يطيب لهم من الكتب سواء من المطبوعة في المملكة أو خارج المملكة .. الآن العلم والثقافة تريد استمرار المطالعة، وهنا كل شيء متاح لهم حتى يختار كل إنسان ما يريده، وما يتوافق مع رغبته»، كما حثّ الشباب على القراءة والاطلاع، وقال: «اعتقد أن القراءة لا يغني عنها شيء، وأدعو خصوصًا الشباب الإمساك بالكتاب بأيمنه».

ويعد هذا المعرض من أهم الأنشطة الثقافية الموجهة للمجتمع أفرادًا ومؤسسات لتعريفهم بالإنتاج الفكري المحلي والعربي والعالمي المتنوع في موضوعاته وأشكاله وجعله متاحًا لهم وفي متناول أيديهم تحت سقف واحد، كما جاء في كلمة اللجنة التنظيمية للمعرض.

وقد تم تجهيز المعرض على مساحة نحو ثلاثة آلاف متر مربع عرض فيها المشاركون، الذين بلغ عددهم نحو ٣٠٠ دار نشر من ١٤ دولة خليجية وعربية وإسلامية وأجنبية، نحو ١٠٠ ألف عنوان في شتى الموضوعات وأوعية المعلومات التقليدية والإلكترونية.

وقد صاحب المعرض عدد من الأنشطة الثقافية شملت محاضرة عامة، وندوة متخصصة عن تأهيل الخريجين لسوق العمل، وندوة أخرى عن نظام حقوق المؤلف الجديد، كما اشتمل برنامج الأنشطة الثقافية على أمسية شعرية وعرض مسرحي.

مؤتمر ثقافي إسلامي في مكة

يعقد في مكة المكرمة في شهر فبراير/شباط العام القادم مؤتمر ثقافي إسلامي بمشاركة أكثر من ٥٨ شخصية إسلامية من وزراء الثقافة والإعلام والخبراء والأدباء بالدول العربية والإسلامية، وذلك بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية.

وقد صرح الدكتور راشد الراجح رئيس نادي مكة الثقافي الأدبي، وعضو اللجنة العليا للتحضير لهذا المؤتمر أنه قد تم اختيار جامعة أم القرى الجهة الراعية والمنسقة للاحتفال بهذه المناسبة، بالإضافة إلى مشاركة عدد من الجهات التعليمية والثقافية والإعلامية الأخرى.

وسيناقش المؤتمر عددًا من البحوث والدراسات عن تاريخ الحركة الأدبية، والثقافية، والصحفية وتطورها عبر العصور بمكة المكرمة، مع إعادة طباعة الكتب والمؤلفات التي تتحدث عنها تاريخيًا وشعريًا وحضاريًا، بالإضافة إلى إقامة معرض ثقافي إسلامي، وآخر أدبي.

www.ahlaltareekh.com

رحيل الشاعر محمد حسن فقي



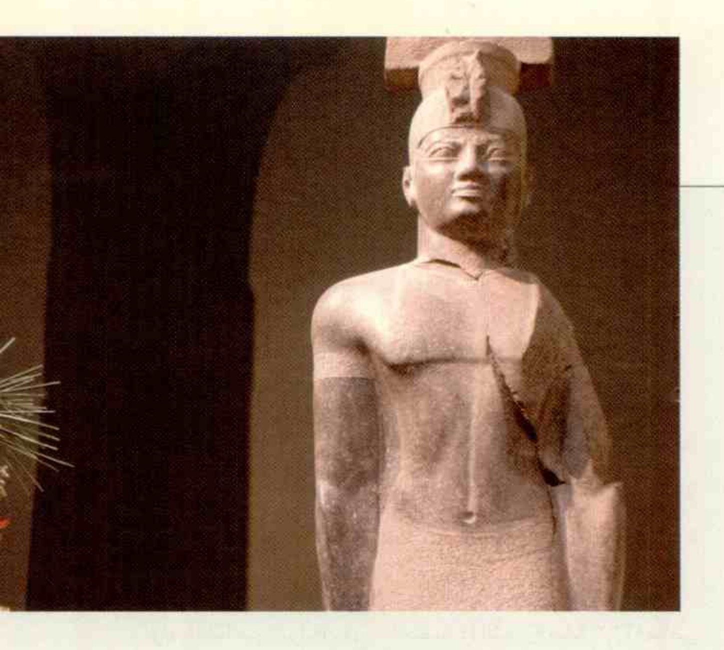
توفي في الثامن من شعبان ١٤٢٥هـ (الموافق ٢أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٤م) الشاعر السعودي محمد حسن فقي عن عمر تجاوز ٩٠ عامًا قضاها متنقلاً في عدد من المناصب السياسية والاقتصادية والثقافية.

ولد الشاعر الراحل في ١٧جمادى الآخرة سنة ١٣٣٢هـ في مكة المكرمة، والتحق بمدرسة الفلاح، ثم انتقلت أسرته إلى جدة، وفيها أيضًا التحق بمدرسة الفلاح قبل أن تعود الأسرة مرة أخرى إلى مكة ليكمل فيها الفقي دراسته، ويعين مدرسًا وهو ما زال في سن صغيرة، وكان يدرس الخط العربي، والجغرافيا، والأدب العربي، وقد استطاع الشاعر الراحل أن ينمي مقدراته العلمية بتنوع وتعدد من يقرأ لهم من الأدباء والكتاب، وبدأت علاقته بالفكر والأدب وهو في سن الثانية عشرة، فكتب الشعر والمقالات الأدبية وهو ما زال طالبًا على مقاعد الدراسة.

وكان الشاعر الراحل قد تعرض لعدد من الكوارث، منها: فقد والدته ولم يتجاوز عمره سبعة أشهر، ثم توفي والده وهو يحتفل بتخرجه في مدرسة الفلاح، ودخل معترك الحياة وهو ما زال صغير السن، إذ تولى رئاسة تحرير صحيفة «صوت الحجاز» وهو في سن مبكرة، مما مهد له التعرف إلى الأدباء والمفكرين فاطلعوا على شعره وأدبه مثل الدكتور محمد حسين هيكل، والأستاذ عباس محمود العقاد الذي أعجب بشعره، كما كانت له مساهمات كبيرة في الحياة السياسية والاقتصادية، إذ عمل محررًا في وزارة المالية والاقتصاد الوطني، ثم ترقى إلى وظيفة رئيس ديوان التحرير في الوزارة نفسها، وظل يتدرج في الوظائف الإدارية حتى وصل إلى منصب مدير عام في وزارة المالية والاقتصاد الوطني، وعين سفيرًا للمملكة العربية السعودية في أندونيسيا بناءً على رغبة جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله - الذي رافقه إلى المؤتمر الإسلامي في باندونج، ثم عاد إلى المملكة ليكلفه جلالته بتأسيس ديوان المراقبة العامة الذي ظل فيه حتى استقال منه لأسباب صحية، ليعين بعد ذلك رئيسًا لمجلس إدارة البنك الزراعي، كما شغل منصب أول مدير عام لمؤسسة البلاد الصحفية، وعين مستشارًا للمجلة العربية.

ترك الفقي عددًا كبيرًا من الآثار الأدبية منها: المجموعة الشعرية الكاملة في ٧ مجلدات كبيرة صدرت سنة ١٤٠٤هـ/١٤٠٥هـ، وديوان «قدر ورجل»، وعدد من المؤلفات مثل: «نظرات وأفكار في المجتمع والحياة»، و«هذه هي مصر»، و«الفلك يدور»، و«مذكرات رمضانية»، و«فيلسوف»، وغير ذلك من المؤلفات، بالإضافة إلى المشاركة في الكتابة شعرًا ونثرًا في الصحافة المحلية على امتداد أكثر أربعين عامًا، وحصل على عدد من الجوائز والأوسمة في عدد من المناسبات.

www.ahlaltareekh.com



آثار سودانية

أحبطت قوات الأمن السودانية مؤخرًا سرقة قطع أثرية نادرة مكونة من تمثال في شكل أسد، وتمثال آخر جنائزي، فقد ألقت القبض على ثلاثة سودانيين، وبحوزتهم هذه المقتنيات النادرة، وهم في طريقهم لبيعها في كل من شندي والخرطوم. وتقدر قيمة المسروقات بملايين الدولارات.

وقال صلاح الدين محمد أحمد أمين أمانة الآثار بالهيئة القومية للآثار والمتاحف: إن تمثال الأسد يرمز إلى إله مروي يدعى «أبادماك»، وهو مصنوع من الحجر الرملي، وكان يعبد في منطقة مروي القديمة، ومناطق البطانة منذ القرن الثالث قبل الميلاد حتى نهاية المملكة في القرن الرابع الميلادي، أما التمثال الجنائزي فهو تمثال صغير للملك النبتي سنكانسكن الذي حكم مملكة نبته في جبل البركل في منتصف القرن السابع قبل الميلاد، ودفن في أهرامات نوري، وتم حفر هرمه عام ١٩٢٠م إذ وجدت كمية كبيرة من هذه التماثيل الجنائزية، والتمثال منحوت من الحجر الصلد الذي يعرف بالصخر الثعباني، وعليه ستة خطوط مكتوبة باللغة الهيروغليفية.

والجدير بالذكر أن قوات الأمن السودانية قد سبق لها استرداد أكثر من ٥٠ قطعة أثرية كانت قد سرقت من متحف السودان القومي في شهر رمضان الماضي.

من جانب آخر اكتشفت بعثة من الهيئة القومية للآثار، بمشاركة خبير من اليونان، عددًا من المقابر الأثرية في قرية العكد بولاية نهر النيل، يعود تاريخها إلى فترة مملكة مروي الأولى، وبداية الفترة المسيحية، وقد وجدت جثث الموتى وبجانبها مقتنياتهم التي تشمل الأدوات والأواني الفخارية. وقد تم نقل كل هذه المقتنيات المكتشفة إلى متحف السودان القومي، وهي بحالة جيدة.

رواية جديدة للطيب صالح

من المقرر أن تشهد الأسابيع القادمة صدور عمل روائي جديد للكاتب والروائي السوداني الطيب صالح بعد فترة زادت على ثلاثة عقود ابتعد خلالها عن كتابة الروايات مكتفيًا بكتابة المقالات الصحفية. وسيصدر العمل الجديد عن دار «عبدالكريم ميرغني» التي حظيت بأول عمل يصدره الطيب صالح من داخل السودان، كما جاء على موقع إيلاف، وكان محمود صالح عثمان صالح - مدير دار عبدالكريم ميرغني قد رافق الأديب السوداني مؤخرًا في زيارة أصيلة للمشاركة في موسمها الثقافي، وقام بإهداء نحو ٢٠٠ من المؤلفات السودانية إلى مكتبة الأمير بندر بن سلطان في أصيلة.

والمعروف أن دار «عبدالكريم ميرغني» قد أنشئت تخليدًا

www.ahlaltareekh.com

مؤسسة لحماية التراث الإسلامي في الهند

قام عدد من كبار الشخصيات في مدينة حيدرآباد في الهند بتأسيس مؤسسة أطلقوا عليها اسم «مؤسسة التراث الإسلامي» تعمل على حماية التراث والحفاظ عليه واكتشافه، وتوعية الناس بأهميته، وتشجيع البحوث في هذا المجال، كذلك تعتزم المؤسسة شراء الكتب القديمة والمخطوطات وترجمتها ونشرها. وقد تم التأسيس بمشاركة عدد من الشخصيات الإسلامية الهندية من أمريكا والهند، ويأمل المؤسسون في توسيع نشاط هذه المؤسسة لتشمل مدنًا أخرى مثل دلهي التي تزخر بالتراث الإسلامي، وتعتزم المؤسسة أيضًا إنشاء مكتبة كبرى ومتحف لعرض التراث الإسلامي، بالإضافة إلى عرض الكتب النادرة.

وتضم مدينة حيدرآباد، التي حكمها حكام مسلمون أكثر من ٤٠٠ عام وانتهى عهدهم مع الاستقلال عام ١٩٤٨م، عددًا من المؤسسات الإسلامية المهمة مثل الجامعة العثمانية، ودائرة المعارف العثمانية، وأرشيف الدولة لحيدرآباد، والمكتبة السعيدية، بالإضافة إلى عدد من المكتبات الأخرى والمتاحف.

ولمدينة حيدرآباد تاريخ حافل في مجال خدمة البحث، وإن تراجع أداء بعض مؤسساتها البحثية حاليًا، فقد أصدرت دائرة المعارف في المدينة في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين الكثير من الكتب والبحوث التي يدرّس بعضها في عدد من الجامعات في العالم الإسلامي، كما أصبحت دائرة المعارف التي أسسها النظام الحاكم عام ١٨٨٨م الآن على وشك الانهيار، وكذلك الحال بالنسبة إلى دار الترجمة التي أسست عام ١٩١٧م، وقامت بترجمة أفضل الكتب من مختلف أنحاء العالم إلى اللغة الأوردية، وقد بلغت الكتب التي قامت بترجمتها نحو ٣٠٠ كتاب في مختلف العلوم الحديثة خلال أربعين عامًا، وقد أغلقت الآن أبوابها بعد الحريق الذي تعرضت له عام ١٩٥٥م، ودمر أيضًا عددًا كبيرًا من الكتب النادرة.

لذكرى السياسي السوداني الراحل عبدالكريم ميرغني الذي لمع نجمه عقب قيام ثورة أكتوبر عام ١٩٦٤م في السودان. ولم يحدد الطيب صالح هل سيزور السودان التي لم يزره منذ عام ١٩٨٩م، بمناسبة اختيار الخرطوم عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠٥م، وكان الطيب صالح قد شارك في ندوة عن إفريقية عقدت ضمن فعاليات موسم أصيلة الثقافي هذا العام، وسيزور كندا في شهر أكتوبر/تشرين القادم لإلقاء بعض المحاضرات في إحدى الجامعات الكندية، كما أنه سيزور القاهرة.

يذكر أن للطيب صالح عددًا من الأعمال الروائية المشهورة منها: «عرس الزين»، و«بندر شاه»، و«مريود»، والمجموعة القصصية «نخلة على الجدول»، و«موسم الهجرة إلى الشمال» التي اختارها الدانماركيون قبل ثلاث سنوات واحدة من أفضل ١٠٠ عمل روائي في تاريخ الإنسانية.

www.ahlaltareekh.com

الموسوعة العلمية على شبكة الإنترنت

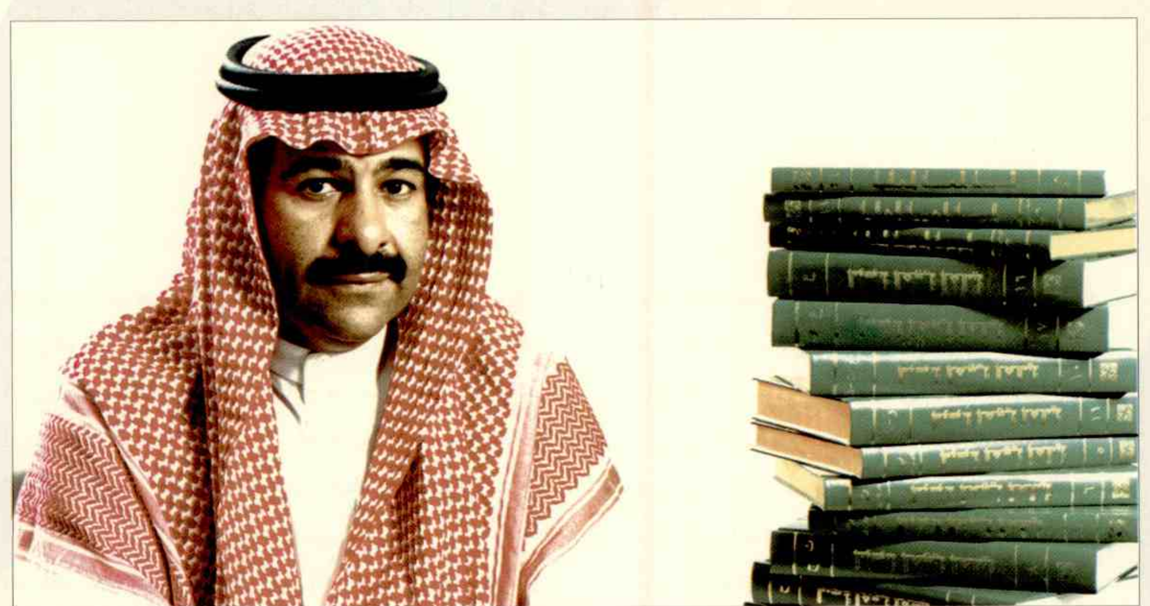
أطلقت شركة أعمال الموسوعة للإنتاج الثقافي موقع الموسوعة العربية العالمية على الإنترنت بالعنوان (WWW.mawsoah.net). وتشمل الموسوعة في إصدارها الرقمي الجديد مئة وخمسين ألف مادة بحثية، و٢٤ ألف عنوان رئيس، ونحو ٥٠٠ لقطة فيديو ومقطع صوتي، مع برنامج بحث سهل وشائق في كامل النصوص والعناوين والموضوعات.

وتعدّ هذه الموسوعة أضخم عمل موسوعي من نوعه وحجمه ونهجه في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية، اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International، وشارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، ومترجم، ومحرر، ومراجع علمي ولغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية.

وقد صدر هذا العمل الموسوعي في ٣٠ مجلدًا في ١٧ ألف صفحة، بما في ذلك معجم الموسوعة عربي/إنجليزي، وإنجليزي/عربي، والكشّاف الرئيس، بالإضافة إلى ٢٤ ألف مدخل رئيس، ونحو ١٥٠ ألف مادة بحثية تشمل مصطلحات ومواقع وأعلامًا وأعمالاً علمية وأدبية وفنية مرتبة حسب الألفبائية المعجمية العربية، ونحو ٢٠ ألفًا من الصور والخرائط والإيضاحات.

وهدفت هذه الموسوعة إلى تقديم مادة متكاملة شاملة، دون النزوع إلى التعمق المتخصص، في جميع مجالات المعرفة الإنسانية، مع محاولة صياغة المادة بلغة عربية سهلة وواضحة ودقيقة، والتوجه إلى أوسع جمهور من مختلف الأعمار والاتجاهات والمستويات التعليمية والثقافية والاجتماعية، وتحري الدقة فيما يتعلق بالدين الإسلامي والأديان السماوية الأخرى، وتحري الإنصاف فيما يتعلق بالعرب والمسلمين وثقافتهم، أو فيما يتصل بشعوب العالم الأخرى وثقافاتها، كذلك استهدفت الموسوعة المصداقية والنزاهة والشمول، بالإضافة إلى تأسيس تجربة علمية حضارية جديدة على الصعيد العربي المعاصر في مجال إنتاج الموسوعات الشاملة الكبرى.

د. أحمد الشويخات مدير الشركة ورئيس تحرير الموسوعة



www.ahlaltareekh.com

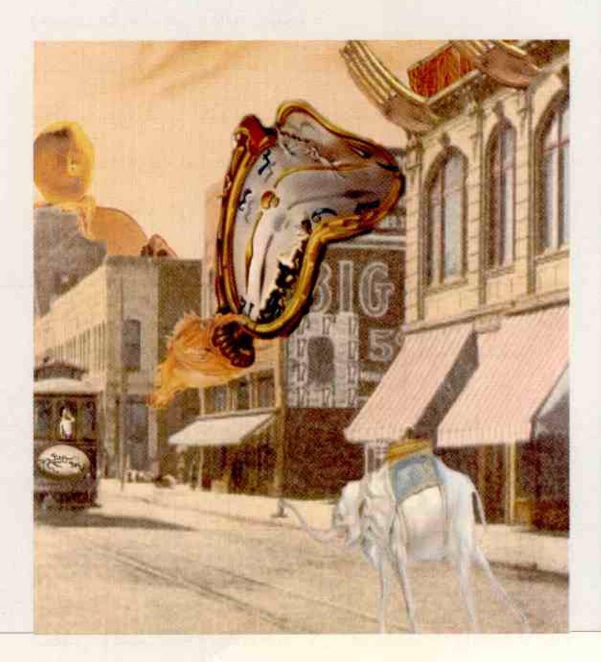
أعمال مزيّفة لدالي

صادرت الشرطة الفنلندية عددًا كبيرًا من الأعمال المزيفة التي نسبت إلى الرسام الإسباني سلفادور دالي الذي يحتفل هذا العام بالذكرى المئوية لميلاده، وتشمل الأعمال المصادرة أعمالاً محفورة بماء النار، وأخرى محفورة في المعدن ومنحوتات.

وكانت هذه الأعمال معروضة تحت رعاية شركة الطيران الفنلندية «فينير» في المعرض الذي تنظمه شركة «آرتكو سكاندينافيا». وقد رفضت الشرطة في هلسنكي الإفصاح عن عناوين الأعمال المزورة، واكتفى الناطق باسمها بالقول: «لقد أجرينا تحقيقًا تمهيديًا. لقد اكتشفنا بشكل واضح أن بعض الأعمال ليست أصلية».

ومن ناحية أخرى تشهد بلدة جراي الفرنسية الواقعة شرق البلاد هذه الأيام معرضًا يضم نحو ٤٠٠ عمل أصلي للرسام دالي، قام بجمعها ناشر الكتب الفنية، وهاوي جمع الأعمال الفنية جيان أميوت؛ احتفالاً بذكر مرور مئة عام على ميلاد الرسام الإسباني سلفادور دالي، وأوضح أميوت أن المعرض «يمثل طريقة يكتشف من خلالها السكان بلدتهم والعالم السريالي الذي نحمله جميعًا بداخلنا».

وسيسافر هذا المعرض، الذي تشمل محتوياته رسومات وصورًا نافرة، وأعمالاً مطبوعة على الحجر، بمجرد انتهاء عرضه في جراي مباشرة إلى برلين، ومنها إلى سيدني.



معجم المؤلفين المعاصرين

صدر عن مكتبة الملك فهد الوطنية حديثًا كتاب بعنوان «معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طُبع منها أو حُقق بعد وفاتهم ١٣١٥ - ١٤٢٤هـ» من تأليف الباحث محمد خير رمضان يوسف.

ويعدّ هذا الكتاب، الذي صدر في جزأين و٩٣٤ صفحة، من الأعمال المرجعية والببليوجرافية، بدأه المؤلف بمقدمة وافية عن أهمية الموضوع، وشرح منهجه في جمع المعلومات، وكيفية عرضها وتوثيقها، إذ اعتمد على عدد كبير من مصادر التراجم المنشورة، وعلى مصادر أولية مُفرقة في عدد كبير من المطبوعات والدوريات التي أوردها في مواضعها المناسبة في الهوامش.

وقد وثّق المؤلف مئات الأسماء المرتبة هجائيًا، مع ذكر تاريخ الميلاد والوفاة، إلى جانب التعريف بالمؤلفين باختصار، ثم توثيق آثارهم المخطوطة والمفقودة؛ ما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم.

وقد بذل المؤلف جهدًا كبيرًا في حصر المؤلفين العرب، وغيرهم ممن ألّفوا باللغة العربية، وفي التتبع الببليوجرافي الدقيق في التقاط المعلومات من عدد من المصادر، وقد زوّد الكتاب بنماذج من مخطوطات الكتب الحديثة، بالإضافة إلى قائمة المراجع، وكشاف خاص بإحالات الأنساب.

www.ahlaltareekh.com

متحف معرّض للإغلاق

هدد وزير الثقافة الإيطالي جيليانو أورباني بإغلاق متحف أوفيتسي بمدينة فلورنسا الذي يضم أعمالاً لمايكل أنجلو، وبوتشيللي إذا لم تتراجع الحكومة عن قرارها بخفض الإنفاق، بحسب ما جاء في وكالة رويتر.

ويعد المتحف المذكور أحد أشهر المزارات السياحية في إيطاليا، ويجتذب أكثر من مليون ونصف المليون سائح سنويًا، مما يجعله ورقة تفاوض قوية في يد أورباني في وجه حكومته إذا لم تتراجع عن قرارها القاضي بخفض الإنفاق. ويقول الوزير: إنه يكافح لمنع إغلاق المتحف، لكنه أعطى الحكومة مهلة حتى ديسمبر/كانون الأول القادم للتراجع عن قرارها بتنفيذ الخفض المعتزم في ميزانية وزارة الثقافة، وإلاّ واجهت إغلاقًا جزئيًا على الأقل لأحد كنوزها الوطنية.

جمع المخطوطات والوثائق في مصر

تعمل وزارة الأوقاف المصرية هذه الأيام على تنفيذ مشروع جمع المخطوطات والوثائق الإسلامية المنتشرة في عدد كبير من المساجد المصرية، وذلك بهدف جمع هذا التراث النادر الذي يمثل جزءًا مهمًا من ذاكرة الأمة العربية والإسلامية في مصر، وصيانته وحفظه بمركز المخطوطات والتراث الذي أسسته الوزارة بمسجد السيدة زينب بالقاهرة، وتأتي هذه الخطوة بعد اكتشاف ضياع ما يقرب من ٤٧ ألف مخطوطة نادرة خلال السنوات العشر الماضية.

من ناحية أخرى يفتتح الدكتور أحمد نظيف في هذا الشهر، في إطار مشروع تطوير القاهرة التاريخية، مسجد أحمد بن طولون الأثري الذي شيِّد سنة ٢٦٥هـ بعد ترميمه الذي تم بخبرة وأيد مصرية، وبتكلفة بلغت نحو ١٣ مليون جنيه مصري، واستغرق العمل فيه نحو أربعة أعوام.

وقال أيمن عبدالمنعم، مدير تطوير مشروع القاهرة التاريخية: «إن أعمال الترميم جرت بخبرة المجلس الأعلى للآثار دون الاستعانة بالخبرات الأجنبية، إذ تشكلت خبرة



مصرية في أعمال ترميم الآثار الإسلامية والقبطية تضاهي المدارس الأجنبية في هذا المجال». وأضاف عبدالمنعم: «إن مشروع الترميم يأتي في إطار تطوير القاهرة التاريخية بما تضمه من آثار مسيحية وإسلامية، وهي الآثار التي تضررت من جراء آثار الزلزال الذي تعرضت له مصر في عام ١٩٩٢م، ولقد حافظت أعمال الترميم هذه على الطابع المعماري والتاريخي للجامع الذي يقع في مدينة (القطائع)، ثالثة العواصم الإسلامية، التي أسسها أحمد بن طولون لتكون عاصمة للبلاد آنذاك».

www.ahlaltareekh.com

آثار إسبانية تعود

استطاعت أجهزة الأمن الإسبانية استعادة أكثر من ٣٥٠٠ من القطع الأثرية النادرة التي تنتمي إلى عدة ثقافات، واعتقال ستة من لصوص الآثار الذين وجدت بحوزتهم هذه المقتنيات النادرة، وقد وجهت لهم السلطات الأمنية تهمًا تتعلق بجرائم ضد التراث التاريخي، وتبييض رؤوس أموال، وضد الملكية العامة، وما زالت العملية الأمنية التي أطلق عليها اسم «الخابية» مستمرة في تعقب بقية اللصوص.

وتشمل القطع الأثرية التي تمت استعادتها قطعًا أثرية رومانية وإغريقية وفينيقية، بالإضافة إلى قطع من العصور الوسطى، وبقايا مستحاثات عمرها آلاف السنين، ومن أبرز هذه القطع أثاث بيت روماني مصنوع من الذهب، وسيوف أيبيرية معقوفة، وأوانٍ جنائزية، ومنحوتات وتماثيل نصفية برونزية، و٨٥٠ قطعة عملة، وخواتم وأساور، وقطع أخرى خاصة بالزينة.

والجدير بالذكر أن القانون الإسباني ينص على حظر عمليات البحث عن بقايا أثرية دون إذن مسبق من السلطات المعنية، كما ينص على حتمية تسليم أي قطع أثرية يتم العثور عليها بالمصادفة إلى السلطات المعنية.

لصوص يسرقون مادونا

أعلنت متحدثة باسم متحف مونش في العاصمة النرويجية أوسلو في الشهر الماضي أن لصوصًا مسلحين سطوا على المتحف في وضح النهار والمتحف مكتظ بالزوار وقاموا بسرقة أشهر لوحة في المتحف للرسام النرويجي إدوارد مونخ المعروفة باسم «الصرخة»، ولوحة أخرى تسمى «مادونا»، وقد اتخذت الشرطة النرويجية جميع الإجراءات للقبض على هؤلاء اللصوص، بما في ذلك الاستعانة بالبوليس الدولي «الأنتربول».

وكان بعض زوار المعرض قد انتقدوا الإجراءات الأمنية في المتحف، وقال شهود عيان: إن اللص شوهد وهو ينزع اللوحة من الحائط بكل بساطة، حتى إن أجراس الإنذار لم تقرع ألبتة، كما أخذت الشرطة وقتًا طويلاً حتى وصلت إلى مكان الحادث.

وتعدّ لوحة «الصرخة» من أهم الأعمال الفنية للرسام النرويجي إدوارد مونخ، رسمها وهو في الثلاثين من عمره، وقال عنها: «كنت أمشي على الطريق مع صديقين. غابت الشمس، وأضحت السماء حمراء حمرة الدم، شعرت بمثل نفحة كئيبة، توقفت واتكأت على الدرابزين منهمكًا حتى الموت. فوق المدينة والممر البحري ذي الزرقة الكامدة ترفّ غيوم قانية الحمرة وألسنة نار: صديقاي تابعا طريقهما، فيما راوحت أنا مكاني، مرتجفًا من الجزع، وخيّل إليّ أنني أسمع الصرخة الهائلة واللانهائية للطبيعة».

ويقول النقاد: إن أمر هذه اللوحة محير جدًا، فإن من يشاهدها مرة تلو مرة يشعر دومًا أنه يشاهدها للمرة الأولى، وقد أثارت هذه اللوحة اهتمام النقاد فلم يتركوا جانبًا منها إلا وتناولوه بالتحليل، وألقوا عليه الضوء.

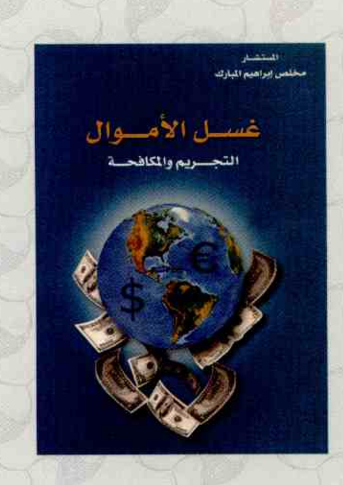
ولد إدوارد مونخ عام ١٨٦٣م، وأكمل مراحله الدراسية في النرويج، وقضى جزءًا من حياته في فرنسا وألمانيا، وقد تأثر في فرنسا بعدد من الفنانين من بينهم فان جوخ. وأصيب إدوارد بانهيار عصبي عام ١٩٠٨م، وعاد في العام التالي إلى بلاده، وعاش هناك حتى توفي عام ١٩٤٤م.

www.ahlaltareekh.com



عمامرة، تركي رابح/ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (١٩٣١ - ١٩٤٥٦م) ورؤساؤها الثلاثة - الجزائر: موفم للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ٤٣٧ص.

يتناول هذا الكتاب جمعية العلماء المسلمين في الجزائر التي ظهرت إلى الوجود في الخامس من مايو/ أيار عام ١٩٣١م، بعد أن بلغ عمر الاستعمار الفرنسي في الجزائر قرنًا كاملاً، وقد أعلن قادة الاحتلال الفرنسي في كل من فرنسا والجزائر بمناسبة مرور قرن كامل على احتلالهم الجزائر أن الإسلام والعروبة قد قضي عليهما نهائيًا في الجزائر، وأنها قد صارت جزءًا لا يتجزء من فرنسا، وقد أدت جمعية العلماء والمسلمين في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، دورًا بالغ الأهمية في محاربة سياسة فرنسا في الجزائر المتمثلة في التنصير؛ أي: محاولة القضاء على الإسلام، والفرنسة؛ أي: محاولة القضاء على اللغة العربية، ومحاولة تجنيس الجزائريين تمهيدًا لإدماج الجزائر شعبًا وأرضًا، ولغة وثقافة، وحضارة في الأمة الفرنسية والوطن الفرنسي والقارة الأوربية المسيحية، وقد استطاعت هذه الجمعية نشر اللغة العربية بين أبناء الجزائر على نطاق واسع، وإحياء الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر، وبعث التاريخ العربي الإسلامي للجزائر بعد أن كان أبناء الجزائر يقرؤون في المدارس الفرنسية، وأن الجزائر (بربرية مسيحية) وليست عربية مسلمة، كما وجهت الجمعية الجزائريين، من خلال جهودها التربوية والثقافية والإصلاحية والوطنية، وجهة عربية إسلامية تتعارض مع سياسة الاحتلال الفرنسي التي حاولت ربط الجزائر بمصير فرنسا، ومسخ الهوية الإسلامية والعربية للجزائر تمهيداً لابتلاعها.



المبارك، مخلص إبراهيم/ غسل الأموال: التجريم والمكافحة - دمشق: مكتبة الأسد، ٢٠٠٤م، ١٦٧ص.

تعد ظاهرة غسل الأموال إحدى الظواهرالإجرامية المقلقة للعالم في الفترة الأخيرة؛ لارتباطها العضوي بالجرائم المنظمة، وخاصة جريمة تجارة المخدرات، إذ استفاد مرتكبو هذه الجرائم من حجم التطورات المتلاحقة في مجال تقنية المعلومات والاتصالات، ووسائل الانتقال بالإضافة إلى استغلال مظاهر العولمة الاقتصادية كالحدود المفتوحة، وتحرير الأسواق وتدويلها، والنمو الكبير في حجم الأنشطة التجارية التي أدت إلى توقف السلع والخدمات بين مختلف الدول.

وتهدف عمليات غسل الأموال إلى تنظيف الأموال القذرة المتأتية من طريق الجريمة، مع عدم الكشف عن المصدر غير المشروع لتلك الأموال، إذ يقدر حجم

www.ahlaltareekh.com

الأموال غير القانونية ما بين (٨٠٠) مليار دولار و (١.٥) تريليون دولار سنويًا.

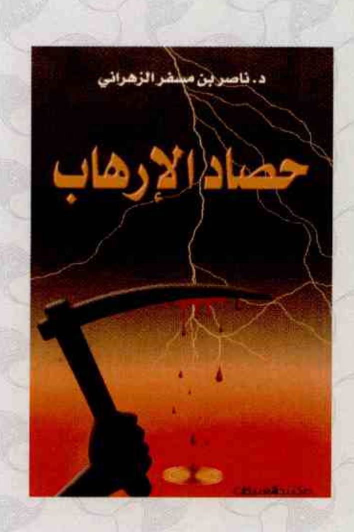
تتتبع هذه الدراسة المهمة والمكونة من أربعة فصول رئيسة ظاهرة غسل الأموال من حيث النشأة، والمفهوم، والمراحل لغسل الأموال، وتوضح وسائل غسل الأموال وأساليبها على المستويين المحلي والعالمي، وتطرقت إلى الآثار السلبية له، سواء على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي، كما تطرق إلى موقف الشريعة الإسلامية من غسل الأموال، وتناول التكليف القانوني لنشاط غسل الأموال، ورقابة البنوك على عمليات الغسل، والجهود الدولية والعربية، وأخيرًا ملاحق شملت التوصيات الأربع لمنظمة الفاتف، واتفاقية فيينا لعام ١٩٨٨م.



العلاونة، أحمد/ عمر فروخ وجهوده في خدمة الإسلام ـ قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٤م، ١٦٠ص (كتاب الأمة؛ ١٠٢).

يتناول هذا الكتاب سيرة العلاّمة الدكتور عمر فروخ، المفكّر والمؤرّخ والشاعر الموهوب، والمترجم الأمين، الذي يعدّ أحد الأعلام المميزين في تاريخنا المعاصر.

وقد تتبع المؤلف حياة عمر فرّوح، وآثاره، وكشف عن جهوده المخلصة في خدمة الإسلام والعربية والتاريخ، ثم بيّن منهجه وبعض آرائه من خلال آثاره، وكان منهجه قائمًا على دراسة الشخصية وآرائها من كتبه؛ ليكون العمل أكثر دقة وتفصيلاً.



ويقول المؤلف عن الأستاذ فروخ: «حمل هموم أمته، وكان مرآة صافية، قادرة على الاستشعار المبكر، وتجاوز الصور إلى الحقائق، ولم تخدعه أطروحات التبشير وشعاراته الإنسانية، وقد خبر مؤسساته من الداخل؛ لأنه كان يعلم أنه ملغم بالنوايا السيئة، وأنه يشكل طليعة من طلائع الاستعمار يهيّئ له قابلية الشعوب، كما يؤهلها لتقبله، كان يرى أن الأمة تظل حية ما دام أبناؤها يشعرون أنهم متصلون بأسلافهم اتصالاً واضحًا، وما داموا يؤدون رسالة أمتهم تأدية توافق حاجاتهم المتطورة مع الزمن وتحفظ عليهم مثلهم العليا سليمة بارزة، وتجعل من تراثهم الروحي نظامًا يحمي وحدتهم، ويسدد خطواتهم».

ويضيف المؤلف «لو لم يكن للدكتور عمر فروخ ـ رحمه الله ـ إلا كتاب «تاريخ الأدب العربي» الذي أدى فيه أحد فروض الكفاية عن الأمة، وكتاب «التبشير والاستعمار» الذي نمّى فيه حاسة الاستشعار المبكر للأنواء والنوايا السيئة بالأمة، والتنبيه إلى كثير من الثغور المفتوحة، لكفاه».

الزهراني، ناصر بن مسفر/ حصاد الإرهاب ـ الرياض: مكتبة العبيكان،

www.ahlaltareekh.com

١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ١٦٨ص.

يقول المؤلف: «إن هذه الرسالة ليست دراسة علمية لمسألة الإرهاب من حيث تعريفه، وتحديد حلوله، وليست شرحًا مفصلاً، وبيانًا كافيًا لأهم سبل العلاج، وأجدر طرق الوقاية، إنما هي عرض موجز، وبيان عاجل، ونداء حار، وهتاف ملتهب، ورجاء صادق، ومناشدة متفائلة، فيها تذكير بالحكمة، وتأكيد على الطاعة، ودعوة للجماعة، وفيها ذكر لأولي الألباب وحديث عن حصاد الإرهاب، وبيان لثمار العنف، وتوضيح لنتائج التهور».

ويرى المؤلف أن حصاد الإرهاب يتمثل في: المخالفة لروح الدين، وشق عصا الطاعة، وحرب على الجماعة، وفيه مصلحة لأعداء الإسلام، وعرقلة لمسيرة الدعوة، والتنفير من الدين، وجريمة القتل، والخيانة والغدر، وإهدار لطاقات شباب الأمة، والجناية على الأبرياء، وتشويه صورة الصالحين، وتخويف الآمنين، وإعطاء فرصة للمتربصين، وضياع الأمن، وإحداث الفرقة.

أما عن أسباب الإرهاب فيرى المؤلف أنها تتمثل في: الإهمال الأسري والاجتماعي، والعلمي والرسمي، والفراغ، والبطالة، والدعوات الهدّامة، والإحباط والتوجيه الخاطئ، وقلة القدرات العلمية، والكبت الديني، والتضييق في الرزق، وغياب منابر الحوار الحرة، والفهم الخاطئ للنصوص، والعلاج بالقمع، ومظاهرالظلم والقهر، وعدم فهم روح الشريعة.

ويوضح المؤلف كيفية محاربة الإرهاب في عدة أمور منها: دور العلماء، ومنابر التوجيه، ودورالأسرة، ودعم الهيئات الشرعية، وحسن المعالجة، وفتح أبواب الحوار، وتشجيع الأفكارالبناءة، والقضاء على البطالة، ومعالجة الظواهر الخاطئة، والسعي إلى الإصلاح، ووحدة الكلمة، والقضاء على الفساد الإداري، والتذكير بأهمية الأمن، وتحقيق العدل، والوحدة الإسلامية، وإظهار الاهتمام بالمسلمين، وتعبير الشعوب عن رأيها، وعدم الانصياع لمطالب الغرب، ودعم القضايا العادلة، وتقوية الروح الإسلامية.



الكندري، عبدالله والعوضي، أحمد/ فهرس المخطوطات الطبية في المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، إشراف وتقديم، عبدالرحمن العوضي وأحمد رجائي الجندي.. الكويت: المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، ٢٠٠٣م، ٤٤٤ص (سلسلة الفهارس التراثية - ١).

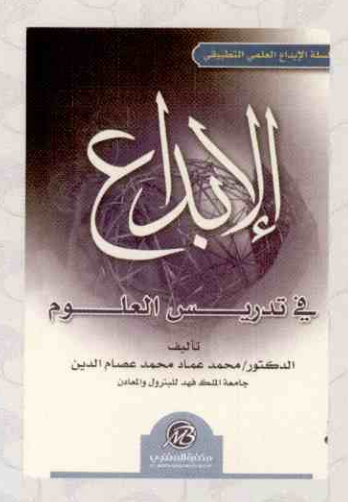
تأتي هذه الوثيقة المهمة عن المخطوطات الإسلامية الطبية في المنظمة في وقت

www.ahlaltareekh.com

مهم وحرج، فالغرب والشرق يتداعيان على الأمة الإسلامية كما تتداعى الأكلة على قصعتها، وليس مردهما إلى قلة، ولكن لأننا نعيش أيام الهوان على أنفسنا وعلى الآخرين، وتتحول الصورة الآن، فأبناء الأمة الإسلامية الذين كانوا يهتمون بالدعوة إلى الماضي لنعيش فيه هم الآن يتفاخرون بهذا الماضي، وهم الآن يدافعون عنه؛ لأنه هو الملاذ الأخير لنا جميعًا، فليست دراسة التراث دعوة إلى حبس التراث في الماضي، ولكنه دعوة إلى أن الأمة عندما تمسكت بدينها وإيمانها أقامت دولة شهد لها الغرب والشرق.

وهذه المخطوطات هي خير مثال على نشاط تلك الأمة في ذلك الوقت، تتحدث عن نفسها لتوعية الشباب، والدفاع عن دورنا الحضاري في المسيرة التاريخية.

يحتوي هذا الفهرس على ما يزيد على مئتين وسبعين مخطوطًا مصورًا، تم التزام الأسس العلمية المرعية في هذا المجال، فوضع رقم المخطوطة الموجود داخل المنظمة وعنوانها، والمؤلف، والتصنيف، والمصدر، وعدد الأوراق، وتاريخ النسخ إن وجد، وفهرس للنسّاخ، وفهرس للعناوين، وفهرس للمؤلفين، وفهرس للمصادر.



عصام الدين، محمد عماد محمد/ الإبداع في تدريس العلوم ـ الدمام: مكتبة المتنبي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ١٢٧ص.

يعد هذا الكتاب وسيلة لتمهيد الطريق لمدرسي العلوم للانتقال بهم من مرحلة الإلقاء التقليدي إلى مرحلة الإبداع في أثناء تدريسهم للعلوم، فيكون لدينا نخبة من المدرسين المبدعين علميًا، الذين لديهم القدرة على إعداد جيل من الأبناء يتميزون بالإبداع والابتكار، ويعملون بجد من أجل خدمة أمتهم الإسلامية.

يشتمل الكتاب على ستة فصول رئيسة تناولت الموضوعات الآتية: «مفهوم الإبداع العلمي والتعلم الإبداعي»، و«تنمية القدرات الإبداعية في ظلال تدريس العلوم من منظور إسلامي»، و«الطرائق العلمية وأثرها في تنمية الإبداع في أثناء تدريس العلوم»، و«أهمية الاكتشافات العلمية وأثرها في تنمية الإبداع»، و«تطبيقات العلوم في الحياة ومدى الاستفادة من العلوم في حل المشكلات المعاصرة»، و«الاتجاهات الحديثة في تدريس العلوم ودورها في تنمية التفكير الإبداعي».



الحربي، عباس بن رجاء/ العلاقات العامة والإدارة العليا ـ المدينة المنورة: دار المآثر، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١٧٦ص.

إن العنصر البشري كان ولا يزال يحتل الموقع الأول بين جميع الموارد في سائر

www.ahlaltareekh.com

التنظيمات والمنظمات، بالإضافة إلى وجود مناخ ومصالح بين جزيئات هذا العنصر؛ ولهذا توسع حجم جهاز الدولة، وازداد عدد مؤسساته وفروعها، وتعددت اختصاصاته وتعقدت، ومع هذا التعقيد زادت مشكلات الجهاز الإداري، ومع هذا التطور والتعقيد تصبح الإدارة العليا المحورالرئيس للمنظمة، ولكي تنجح المؤسسة في تحقيق أهدافها وربطها باحتياجات مجتمعها تأتي أهمية العلاقات العامة في المنظمة.

يعالج هذا الكتاب بالتحليل والمقارنة العلاقة بين إدارة العلاقات العامة، والإدارة العليا للمؤسسات، إذ يركز الكتاب على معرفة عمل الإدارة العليا من الجهاز، وعلاقته بإدارة العلاقات العامة، وعلاقة العلاقات العامة بوظائف الإدارة العليا وطبيعة العلاقة بينهما، والعوامل المؤثرة فيها، والعوامل المؤثرة في نشاط العلاقات العامة في المؤسسة، وتأثير أنشطة العلاقات العامة في قرارات الإدارات العليا في الجهاز.

يضم الكتاب مقدمة وخمسة فصول: يتناول الفصل الأول مفهوم العلاقات العامة ونشأتها، ويتناول الفصل الثاني العلاقة بين العلاقات العامة والإدارة العليا في الأجهزة الحكومية، ويبين الفصل الثالث دور الإدارة العليا في الأجهزة الحكومية.

وجاء الفصل الرابع عن العلاقة بين الإدارة العليا والعلاقات العامة، والفصل الخامس عن أنشطة العلاقات العامة وقرارات الإدارة العليا قبل اتخاذ القرار وبعده.

مركز دراسات الوحدة العربية



اليهود الشرقيون في إسرائيل

الواقع واحتمالات المستقبل

أودي أديب - عبد الرحمن مرعي - راسم خمايسي - محمد أمارة - سعيد زيداني - مروان درويش

أودي، أديب (وآخرون)/ اليهود الشرقيون في إسرائيل: الواقع واحتمالات المستقبل ـ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣م، ١٩٥ص.

اليهود الشرقيون (السفارديم) هم اليهود الذين هاجروا إلى إسرائيل من بلاد آسيا وإفريقية وأساساً من الأقطار العربية (والمغرب العربي بخاصة).

يضم هذا الكتاب دراسات مهمة عن اليهود الشرقيين في إسرائيل: ظروف هجرتهم أو قدومهم إلى إسرائيل، ومشكلات استيعابهم فيها، والعطب الذي أصاب ثقافتهم، ومعاناتهم، وتبعيتهم الاقتصادية والسياسية والدينية، وتوزيعهم الجغرافي، وما نجم عن كل ذلك من تهميش وإقصاء؛ ولّدا حركات احتجاج، أو أحزاباً سياسية ذات نزعة يمينية معادية للعرب والفلسطينيين من جهة، ونافرة من حزب العمل والأحزاب اليسارية من جهة أخرى، كل من هذه الدراسات تسلط الضوء على جانب من الصورة العامة، غير أن المعطيات والاستنتاجات كلها تقول إن اليهود الشرقيين يضيعون في صميم الفراغات الداخلية الحادة التي يعانيها المجتمع العبري في

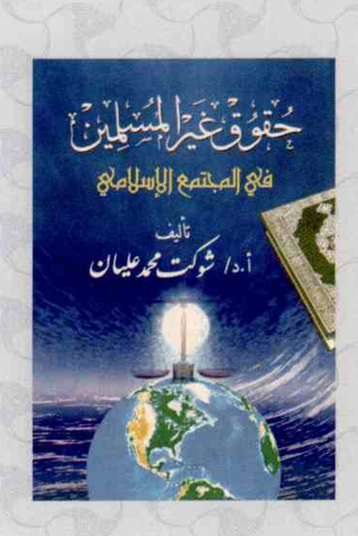
www.ahlaltareekh.com

إسرائيل، سواء أتخذت هذه الصراعات منحىً دينيًا أم منحىً سياسيًا، أم منحىً اقتصاديًا، أم منحىً ثقافيًا، فعلى الرغم من محاولات الإذابة والإدماج، حافظ اليهود الشرقيون على تمايزهم الإثني، وهم أقرب إلى المتدينين منهم إلى العلمانيين، وإلى اليمين السياسي منه إلى الوسط أو اليسار، وإلى الطبقات أو الشرائح الأقل حظًا، والأكثر فقرًا في المجال الاقتصادي.

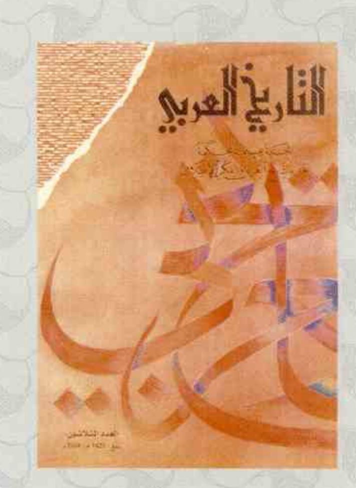
عليان، شوكت محمد/ حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي- الرياض : المؤلف، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ٢٧٢ص.

يتناول هذا الكتاب موضوع حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية، وقد أخذ المؤلف بالمنهج التاريخي الجدلي الوصفي، والاستقرائي المقارن. وقسّم البحث إلى مقدمة وستة فصول وخاتمة اشتملت على بيان موضوع البحث، وأهميته، ومنهجه، وخطة البحث، وجاء الفصل الأول لتعريف غير المسلمين المقيمين في الدولة الإسلامية من مختلف الديانات: كاليهود، والنصارى، والصائبة، والمجوس، والمرتدين، والمشركين، وغيرهم من أصحاب العقائد الأخرى، مما اصطلح فقهاء الإسلام على تسميتهم بأهل الذمة والمستأمنين والمعاهدين.

ويتناول الفصل الثاني الأسس العامة في معاملة الإسلام غير المسلمين، وبيّن الفصل الثالث حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية من خلال بيان الحق وأنواعه، وبيان حقوق أهل الذمة، وتحدث الفصل الرابع عن بيان مظاهر العدالة في معاملة الإسلام غير المسلمين، وأوضح الفصل الخامس سمو الإسلام وسماحته في معاملة غير المسلمين، وبيّن الفصل السادس الحماية الجزائية لحقوق غير المسلمين والتزامها، وذكر في خاتمة أهم نتائج البحث ومنها: أن عقد الذمة مشروع إلا ما استثنى من ذلك بعض الوظائف كالإمامة، وقيادة الجيش والصدقات، ونحو ذلك. وإن المستأمن هو من يدخل دار الإسلام بأمان مسلم، سواء يعقد هدنة أو دفع جزية أو أمان، وإن المعاهدات مع الآخرين مشروعة بالكتاب والسنة، وأنه يجوز للدولة الإسلامية عقد معاهدة مع أي دولة أخرى حسب المصلحة، ويترتب على عقد المعاهدات وجوب الوفاء بما اتفق عليه، وأنها تكون مؤقتة، وليست دائمة، وهي إما موادعة وإما مهادنة، وإن المستأمن في دار الإسلام له من الحقوق ما يقرب من حقوق أهل الذمة كتحقق الأمن والتعليم، وحرمة المسكن والتنقل وحرية العقيدة، والرأي وحق والتمتع بالمرافق العامة.



www.ahlaltareekh.com



التاريخ العربي (ع ٣٠، ربيع ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م)

مجلة علمية محكمة تعنى بالتاريخ العربي والفكر الإسلامي، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة.

اشتمل هذا العدد على مجموعة من المقالات التاريخية، بدأها الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي عن العثمانيين، وبداية اتصالهم بالعلوم والتكنولوجيا الأوربية، وتناول الدكتور حسن أحمد إبراهيم الحركة الوطنية السودانية (١٨٩٩ ـ ١٩٥٦م) وكتب الدكتور خيرالله سعيد عن مجالس الغناء في بغداد، وسلطت الدكتورة حياة ناصر الحجي الضوء على ملامح الأحوال الداخلية في عهد السلطان قايتباي (٨٧٢ ـ ٩٠١هـ / ١٤٦٨ ـ ١٤٩٦م)، وتطرق الدكتور فهد بن عبدالعزيز الدامغ إلى الدولة الأخيضرية في اليمامة، وكتب الدكتور أحمد حطيط عن التعليم بدمشق من زمن المماليك، وجاء مقال الأستاذ محمد الصادق عبداللطيف بعنوان «السراج المشرق في رواة كتاب «الموطأ» من المغرب والمشرق»، وقدم الدكتور صالح بن قربة مقالاً عن جامع الكتبية بمراكش.

وأما مقال الأستاذ محمد بن أحمد المحجوب فكان عن النبويات الشنقيطية (ملاحظات في البنية والأسلوب)، وتناول الدكتور الحسن شاهدي البلدان الآسيوية غير العربية في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وترجم الأستاذ محمد الزكراوي مقالاً بعنوان «مقامات بين يدي التاريخ للأندلس الإسلامية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر» لفرانسو كليمان.

العنوان: جمعية المؤرخين المغاربة

حي الليمون،٥ (أبو نواس) الرباط

هاتف: ٧٣٢٩٥٤ ـ ناسوخ: ٢٠٧٥٣٠



آفاق الثقافة والتراث (س١٢، ع٤٦ جمادى الأولى ١٤٢٥هـ، يوليو/تموز ٢٠٠٤م)

مجلة فصلية ثقافية تراثية تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

زخر هذا العدد بمجموعة من المقالات المتنوعة، بدأها الدكتور إدريس سليمان محمد بدراسة تحليلية عن آيات الكرامات في القرآن الكريم، وتناول الدكتور عبدالخضر جاسم حمادي أثر مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم في ظهورالوعي التدويني، وكتب الدكتور مصطفى محمد طه مقالاً بعنوان «إعلامنا الحائر بين الاغتراب الحضاري والعودة للذات»، وقدم الدكتور محمد ضياء الحق دراسة مقارنة عن أحكام المعاهدات الدولية في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، وبيّن الدكتور محمد الحجوي الأثر اللغوي والفكري لرسائل

www.ahlaltareekh.com

البلغاء «رسالة علي ابن منصور الرحيلي» المعروف بابن القارح نموذجًا، وكتب الدكتور الحسن الهلالي مقالاً في أصل اللغة وتطورها عند أبي نصر الفارابي، وعرف الدكتور الطيب علي الشريف بالشاعر الليبي محمد الهقناري، وتطرق الدكتور عبدالله محمد حسين الزيات إلى بعض المظاهر الاقتصادية في عصر المرابطين والموحدين بالأندلس والمغرب، وتناول الدكتور ناظم رشيد في مقاله الشاعر الشهيد الحسين بن رواحة الأنصاري ٥١٥ ـ ٥٨٩هـ، ووضح الدكتور علي زوين المصطلح اللغوي في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، وناقش الدكتور محمد باسل الطائي توسع الكون بين الغزالي وابن رشد.

وفي باب التعريف بالمخطوطات، كتب الدكتور محمد حسن الحمود عن وسائل الإيضاح العلمية في المخطوطات الإسلامية: دراسة في علوم الحياة، ووضح الدكتور محمد كريم إبراهيم الشمري إسهامات أهل اليمن في علم الطب والطب البيطري، وختم العدد بتحقيق لمخطوطة «جزء فيه أجوبة مشايخ الإسلام» رحمهم الله، قدمه بدر العمراني.

العنوان: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

دبي ـ ص ب:٥٥١٥٦

هاتف:٢٦٢٤٩٩٩ ٤ ـ ناسوخ: ٢٦٩٦٩٥٠ ٤

مجلة التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية (مج ٢٥، ٢٠٠٤م)



مجلة سنوية تصدر عن مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية بأنقرة، تعنى بالبحث التطبيقي في مجال اقتصاديات التنمية، وتهدف إلى تعزيز التعاون بين بلدان منظمة المؤتمر الإسلامي.

بدأ هذا العدد بكلمة لرئيس التحرير السفير أردينش أردون، ثم بحث لروبرت إ. لوني عن التوجيه الحذر لمجلس التعاون الخليجي نحو التكامل الاقتصادي، وتناول مركز أنقرة تحالفات أسواق الأوراق المالية والسبل الممكنة لإقامة سوق إسلامية للأوراق المالية وغرفة مقاصة للأسهم والسندات، وناقش نبيل دبور مشاكلات التنمية السياحية المستديمة وآفاقها في البلدان الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي، مع إشارة خاصة إلى السياحة البيئية، وكتب أنور حاقان عن الصحة وقضاياها العامة في البلدان الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي، وتطرق إلى العلاقة بين الدخل والصحة.

العنوان: مركز الأبحاث الإحصائية والاجتماعية والتدريب للدول الاسلامية

أنقرة ص ب: ٠٦٧٠٠

هاتف: ٤٦٨٦١٧٢ (٩٠.١٣٢) ـ ناسوخ: ٤٦٧٣٤٥٨

رؤى (ع٢١، ٢٢، ٢٠٠٤م)

www.ahlaltareekh.com



إستراتيجية تربوية لمواجهة التحديات الداخلية للأمن القومي: دراسة مستقبلية

تقدم الباحث أحمد عبدالفتاح الزكي ببحث عنوانه: «إستراتيجية تربوية لمواجهة التحديات الداخلية للأمن القومي: دراسة مستقبلية» للحصول على درجة دكتوراه الفلسفة في التربية: تخصص أصول تربية من كلية التربية بدمياط جامعة المنصورة. وقد تناول الباحث، في الإطار العام للبحث، مشكلة انعدام الأمن بوصفها مشكلة خطيرة تطرح نفسها بشدة خاصة بعد المتغيرات المتلاحقة التي يشهدها العالم الآن، وتعرض لمفهوم الأمن الذي أصبح يتجاوز قضية الأمن الدفاعي والعسكري، ليشمل عدة قضايا متنوعة: اقتصادية، واجتماعية، وثقافية، ترتبط بحياة الدولة والجماعات البشرية، كما تناول محددات أمن الدولة، وأمن المواطن معًا، وحدّد العناصر التي تدعم تحقيق الأمن القومي، وتحدث عن أهمية دور التربية والتعليم في الحفاظ على الأمن القومي، وتناول التحديات التي تهدد الأمن القومي لمصر في القرن الحادي والعشرين، وكيفية مواجهة هذه التحديات.

وتكمن أهمية هذا البحث في كونه محاولة علمية لإبراز دور التربية والتعليم في الحفاظ على الأمن القومي وتغيير النظرة التقليدية للأمن القومي على أنه مسألة عسكرية وسياسية فقط، وهو أيضًا محاولة علمية لكشف التحديات الداخلية التي تهدد الأمن القومي في مصر، بالإضافة إلى إمكانية الاستفادة من نتائج هذا البحث في تطوير قطاعات التعليم المختلفة، وتفعيل دور الوسائط التربوية المتعددة بما يمكن أن يدعم الأمن القومي.

ويهدف هذا البحث إلى إعداد إطار نظري حول مفهوم الأمن القومي، ومقوماته وعناصره، ومستوياته، ومحاولة التعرف إلى أهمية التحديات الداخلية التي تهدد الأمن القومي في مصر، وكذلك تحليل مفهوم الإستراتيجية التربوية من حيث خصائصها وعناصرها وطريقة بنائها، وعرض الدراسات المستقبلية وأساليبها، كما يهدف البحث - بالاستفادة من الإطار النظري والتطبيقي - إلى إعداد إستراتيجية تربوية مقترحة لمواجهة التحديات الداخلية للأمن القومي في مصر.

وقد اقتصرت هذه الدراسة على تناول دور التربية في مواجهة التحديات الداخلية التي تواجه الأمن القومي في مصر، وجاء اختيار الباحث للتحديات الداخلية لالتصاقها الشديد بالتربية، ولقدرة التربية أكثر من غيرها على مواجهتها، أما التحديات الخارجية ذات الطبيعة العسكرية والسياسية فلم تتعرض لها الدراسة.

وقد تبنت الدراسة عددًا من المفاهيم حددها الباحث إجرائيًا في مصطلح الأمن القومي، والإستراتيجية التربوية، والتحديات، والدراسة المستقبلية، وأسلوب دلفي.

وتناول الباحث في ختام البحث عددًا من الدراسات السابقة التي تتناول علاقة التربية بالأمن القومي، ودور التربية في مواجهة تحديات الأمن القومي، واستعرض بعضها.

دراسة فقهية طبية عن تشريح جثة الإنسان

«تشريح جثة الإنسان» هو عنوان الدراسة الفقهية الطبية التي تقدم بها الباحث مُحرَّم كامل عبدالقادر أحمد لنيل درجة الماجستير من جامعة أم درمان الإسلامية السودانية (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).

www.ahlaltareekh.com

وقد هدف الباحث من هذا البحث إلى بيان موقف الفقه الإسلامي، والطب في قضية تشريح جثة الإنسان، وبيان الأحكام الفقهية المتعلقة بها، والخروج برأي بعد المناقشة لآراء بعض الفقهاء وتوضيح وجه الصواب.

وقد احتوت الدراسة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، تناول في فصلها الأول المسؤولية الجسدية في الإسلام، والأحكام الشرعية والطبية للمتوفى في الفقه الإسلامي، فبيّن تعريف التشريح وأقسامه وأغراضه، ثم تطرق إلى مكونات الجسد البشري، كما تحدث عن الروح، والنفس، والحياة، وأيضًا الموت وتعريفه، والموت عند الفقهاء والأطباء.

وتناول في الفصل الثاني الحماية الشرعية للجثة في الفقه الإسلامي، وتحدث عن حرمة الجثة في الفقه الإسلامي، وعناية الشريعة بالجثة، وحكم التشريح، ثم تناول بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالجثة، مثل حكم الانتفاع بالجنين الميت، وحكم شق بطن الأم الميتة لإخراج ولدها الحي، وحكم شق بطن الميت لإخراج مال ثمين، وكذلك حكم التداوي بأجزاء الميت، وحكم انتقال الحق لورثة الميت، وحكم الوصية بالعضو الآدمي، وكذلك حكم إخراج الجثة من ماء عميق أو غار أو كهف، ثم تحدث عن حدود التصرف في الجسد البشري، فبيّن عمليات نقل الأعضاء في شتى صورها، ثم تناول التبرع بالدم، والأحكام الشرعية المتعلقة به.

وفي الفصل الثالث تحدث عن الإجراءات القانونية والطبية للتشريح، فتناول الإجراءات التي تتخذها الشرطة في حالة العثور على جثة ما، والمستلزمات الأساسية في مشرحة الجثث، والتحضيرات قبل إجراء الصفة التشريحية، وتغيرات ما بعد الموت، والإجراءات الطبية عند الوفاة، وفحص بقايا الهيكل العظمي، ثم تناول أثر الطب الإسلامي في علوم التشريح، وتحدث عن بعض علماء المسلمين والعرب ودورهم في علم التشريح، ثم تطرق إلى دور الأطباء في الكشف عن الجرائم، وعن الأدلة.

وجاء الفصل الرابع والأخير عن أحكام الجراحة الطبية، فبيّن أحكام الجراحة الطبية وتعريفها، وتعريف الطب، ومشروعية الجراحة الطبية، وموقف الشريعة الإسلامية من تعلم الطب والجراحة الطبية، وكذلك دليل مشروعية الجراحة الطبية، وأحكام الفحص الطبي وتعريفه، وأركان المسؤولية الطبية، وأقسامها ومشروعيتها.

وتوصل الباحث في ختام الدراسة إلى عدد من النتائج، منها أن الشريعة الإسلامية تعدّ أول تشريع في التاريخ ينظم أحكام الجثة، وكل ما يتعلق بها، وأن مبدأ حرمة الجسم الإنساني وكرامته حيًا وميتًا محل إجماع العلماء والقانونيين، ولكن هناك مسوغات تبيح المساس بالجسم الإنساني، وهذه المسوغات ترجع إلى قواعد شرعية عامة منها مبدأ إحياء النفوس، ومبدأ التراحم والتضامن والتعاون على البر والتقوى، ومبدأ ارتكاب أخف الضررين لدفع الأشد منهما، وجواز إجراء عمليات التشريح سواء أكانت لأغراض علاجية أم جنائية، وذلك عملاً بالقواعد الفقهية التي أجازت مثل هذه العمليات، كما أن علماء الشريعة ورجال القانون نشطوا منذ وقت مبكر في تلمس الحلول الشرعية والقانونية لقضية نقل الأعضاء وزراعتها، وتوصلت الجمهرة منهم إلى مشروعيتها، وصدرت بها فتاوى من المجامع الفقهية والمؤتمرات العلمية، وأصبحت أمرًا مقننًا في معظم التشريعات الدولية المعاصرة.

وأورد الباحث في خاتمة الدراسة عددًا من التوصيات من بينها الدعوة إلى تأهيل المشارح والاهتمام بها، والاهتمام بالأطباء الشرعيين الذين يقومون بعمليات التشريح، وبخاصة الجنائي منه، وإنشاء أقسام خاصة بالجامعات في تخصص علم التشريح البشري، وغير ذلك من التوصيات.

www.ahlaltareekh.com



خــاتمة المطاف



الخلط والإشكالية بين علي بك الكبير ومحـمد علي باشا

عبدالكريم إبراهيم السمك
الرياض . السعودية

يعدّ تاريخ الحجاز سواء ما قبل السيادة السعودية عليه أم بعدها جزءًا من التاريخ السعودي العام؛ وذلك لأهمية الحجاز بالنسبة إلى الدولة السعودية عامة وإلى المسلمين بشكل خاص، فقد منَّ الله على ولاة أمر هذا البلد بأن جعل أمر التكليف تشريفاً بخدمة أطهر بقاع الله وأطيبها، مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقد ساد الحجاز من الفوضى والاضطراب السياسي بسبب النزاع على الشرافة بين أشراف الحجاز، ما كان سبباً لانعدام الأمن وسيادة الفوضى فيه، وكان الحجاج لبيت الله يلقون العنت والعذاب حتى يصلوا أرض الحرمين الشريفين ومن أهم هذه الفترات هي الفترة التي تولى الشرافة فيها أحمد بن سعيد، بحيث لم يمض على شرافته خمسون يوماً حتى انتزعها منه الشريف عبد الله بن الحسين بن يحيى بن بركات، وذلك بمساعدة القائد محمد أبي الذهب (١) المرسل من قبل والي مصر علي بك الكبير.

وقد كانت مدة إقامة هذا القائد في الحجاز ما يقرب من عشرين يوماً، أشاع فيها الفساد من قتل وسلب ونهب، وعن هذه الحوادث والأعمال التي عمت أرض الحجاز، حفظت لنا تواريخ بلاد الشام الأحاديث والأخبار عنها، ومن هذه الكتب كتاب مخطوط حققه د. يوسف جميل نعيسه، واسمه «غرائب البدائع وعجائب الوقائع» لمؤلفه حسن بن الصديق الدمشقي، المعاصر لأحداث الكتاب، والمخطوط في صناعته وكتابته كان كتاباً إخبارياً بحيث سمع مؤلفه عن أخبار الحجاز وأعمال محمد أبي الذهب فيها، فكتب كتابه هذا، وفي ظل هذا الوقت كان قد مضى على قيام الدولة السعودية ما يقرب من خمسة وعشرين عاماً، سادت أرض نجد الأمن والأمان بفضل تحكيم الشريعة الإسلامية، وقد رغبت في الحديث عن أعمال أبي الذهب في الحجاز من واقع ما أشارت إليه مصادر تاريخ بلاد الشام، التي يعود تاريخ ظهورها إلى ذلك التاريخ أي سنة (١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م)، وبخاصة الكتاب الذي سبق ذكره، وما أجده من مواد مساعدة في تاريخ الحجاز تكون قد كتبت بأيدي أناس من أهل الحجاز حول أعمال أبي الذهب.

وقد وقع في يدي كتاب لرجل من أهل الفضل من أهالي مكة المكرمة، وأحسبه - إن شاء الله - من الصالحين، والكتاب جاء عنوانه على الشكل الآتي: (جداول تاريخ أمراء البلد الحرام) وصاحبه هو عبد الفتاح بن حسين راوه المكي (٢)، الكتاب مطبوع في مكة سنة (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).

وإن كان الكتاب في تأليفه وطباعته متأخراً، فهو معني بتراجم أشراف الحجاز والحديث عن أخباره، وقد قصدت الاستعانة به بوصفه مرجعًا في تاريخ الحجاز وأخبار أعمال أبي الذهب فيه، وفي الفترة المعنية بهذه الأخبار.

ولدى رجوعي إلى هذا المرجع وجدت أن مؤلف الكتاب قد وقع في خطأ علمي عظيم، كان هو مسألة الخلط بين والي مصر علي بك الكبير ومحمد علي باشا، وذلك عندما جعل علي بك الكبير هو محمد علي باشا، وأنه جد العائلة الخديوية في مصر التي كان آخر ملوكها الملك فاروق.

وفي حديث مؤلف الكتاب عن علي بك الكبير، والخلط الذي وقع فيه، فهو يقول: «ولم تمض أيام على أمارة أحمد بن سعيد، حتى انتزعها منه الشريف عبد الله بن الحسين بن يحيى بن بركات، بعد ولاية الشريف أحمد، يقودها أبو الذهب مملوك محمد علي باشا الألباني (والي مصر)، جد العائلة الخديوية الحاكمة لمصر سابقاً، التي آخر ملوكها الملك فاروق بن فؤاد، الذي قامت ضده الثورة المصرية عام (١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م) على يد محمد نجيب وجمال عبد الناصر رحم الله تعالى الجميع».

كان محمد علي باشا والياً على مصر من قبل الدولة العثمانية، ثم ثار عليها عند ضعفها واستقل بمصر، ثم أرسل جيوشه إلى الشام بقيادة مملوكه أبي الذهب ففتحها وضمها إلى مصر، فأصبح الحل والربط فيها لمحمد علي باشا، وفي هذه الأثناء استنجده الشريف عبد الله البركاتي، وطلب منه مساعدته ونصرته على الشريف مساعد بن سعيد آل زيد، وتوليته إمارة مكة المكرمة، فوجد محمد علي باشا صاحب مصر هذا الطلب فرصة لاتصاله بالحجاز، فلبى طلبه وبعث حملة بقيادة مملوكه أبي الذهب، فاستولت على مكة المكرمة، وولت الشريف عبد الله بن حسين البركاتي عام (١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م) رحم الله الجميع (٢). ... انتهى.

www.ahlaltareekh.com

فالنص هذا تم نقله من الكتاب المذكور، وفيه يرى التخبط والجهل بالثقافة التاريخية لمن عرفت أسماؤهم بحوادث كانت ذات صلة مباشرة في أحداث ارتبطت في الدولة السعودية الأولى وانهيارها على يد إبراهيم باشا بن محمد علي باشا، أما والي مصر في عهد غزو القائد محمد أبي الذهب للحجاز فهو (علي بك الكبير) (٢)، فهو لم يكن ألبانياً، وإنما من أصول نصرانية، وهو من بلاد القوقاز، وهو ممن أسلم بالتقية وأخفى نصرانيته. ولد (علي بك الكبير) عام (١١٤١هـ/ ١٧٢٨م) في بلاد أبازه (أباظة) من أعمال القوقاز العثماني، وكان اسمه (يوسف) وأبوه أحد قساوسة الكنيسة اليونانية، ورعاه على الشكل الذي أراد له أن يكون قساً، ويحظى بمنصب كنسي، وشاءت الأقدار أن يقع في أسر أحد تجار الرقيق الذي جاء به إلى الإسكندرية سنة ١٧٤٣م - ١١٥٦هـ. فباعه إلى إبراهيم كتخدا أحد زعماء مصر، الذي رباه تربية عسكرية، فأعتقه أستاذه إبراهيم كتخدا عندما بلغ الثامنة عشرة من عمره، ثم ولاه سنجقاً باسم (ميرا للوفاز طاغلي)، وفي عام (١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م) رشحه عبد الرحمن بن إبراهيم كتخدا شيخاً للبلد، ثم سانده لتصفية المماليك الأقوياء، لكن خصوم علي بك تغلبوا عليه ونفوه إلى الشام؛ وذلك سنة (١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م). وقد رجع علي بك الكبير إلى مصر ثانية مجتهداً في النيل من حكم البلد وكان حاكم البلد حسين بك، فطرده من مصر ثانية إلى غزة، وبلغ ذلك عثمان باشا أمير الحج الشامي، وخوفاً من عثمان باشا هرب علي بك الكبير إلى الشيخ همام في الصعيد ودخل في حماه، وقد هيأ له الحكم في مصر قائده محمد أبو الذهب، عندما قتل له خصومه في طنطا، وقطع رؤوسهم جميعاً؛ وذلك سنة ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م، وفي هذا التاريخ تم له استلام حكم مصر، فقد أشاع فيها الفساد هو وقائده محمد أبو الذهب الذي توجه إلى الحجاز بعد أن وسد حكم مصر لـ (علي بك الكبير) ثم خرج محمد أبو الذهب على سيده بعد أربع سنوات (١١٨٦هـ - ١٧٧٢م).

محمد علي باشا (٣) : والي مصر وجد الأسرة الخديوية، ولد (١١٨٤هـ / ١٧٧٠م / ١٢٦٥هـ / ١٨٤٩م)، ألباني مسلم في الأصل قدم مع القوات العثمانية لإخراج القوات الفرنسية التي غزت مصر بقيادة نابليون. واستطاع محمد أن يكسب ولاء السلطان العثماني له، فتم تعيينه حاكماً لمصر، وعزل خورشيد باشا بأمر سلطاني في التاسع من يوليو ١٨٠٥م (٤)، ومنذ هذا التاريخ كانت بداية حكم محمد علي لمصر وما يلحق بها، وهنا يلاحظ الفرق زمناً ونسباً بين الاثنين.

و لهذا فالكتاب ذو أهمية لعنايته بالتاريخ الإداري والسياسي لمكة المكرمة، وكتاب مثل كتاب «جداول تاريخ أمراء البلد الحرام»، لا يمكن أن يقرأ على ما فيه من خطأ كبير، وذلك لأهميته في التاريخ السعودي، فقد تناول فيه مؤلفه الحديث عن محمد علي باشا والي مصر، وحملاته على الحجاز لاسترداده من أيدي السعوديين بعد أن اتسعت حدود الدولة السعودية في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد لتصل حتى الحجاز، وقد عين الإمام عبد العزيز بن محمد الشريف عبد المعين بن مساعد أميراً على مكة من جهته؛ وذلك سنة (١٢١٨هـ / ١٨٠٣م) بعد أن انتزعها من حكم الشريف غالب بن مساعد، الذي كثرت اعتداءاته على الدولة السعودية، وكان هذا التعيين في ظل ولاية محمد علي لمصر، فما بين الصفحات (١٩٣ إلى ٢٠٥) تتحدث عما أشرت إليه عن الامتداد السعودي للحجاز، وحروب محمد علي ضد الدولة السعودية، فما الذي ذهب بصاحب الكتاب الذي توسع في الحديث عن محمد علي باشا، لأن يقع في مثل هذا الخطأ في عدم التفريق بين علي بك الكبير ومحمد علي باشا، اللذين كان بينهما بُعد زمني بحدود ٣٣ سنة. على الرغم من ارتباط كل واحد من الحاكمين بالحجاز بحوادث متباعدة ومختلفة بعضها عن بعض.

وفي الختام : أقول اللهم انفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وفقهنا في الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع والهوامش

١. لمزيد من التوسع انظر كتاب غرائب البدائع وعجائب الوقائع، لمؤلفه حسن بن الصديق الدمشقي. حققه يوسف جميل نعيسه، وأصله مخطوط يعود إلى فترة حملة أبي الذهب على الحجاز. مكان الطبع دمشق سورية، الصفحة ٩.

٢. عبد الفتاح بن حسين راوه المكي، جداول تاريخ أمراء البلد الحرام مكة المكرمة عصر النبي صلى الله عليه وسلم، حتى عصرنا الحاضر ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م الطبعة الأولى. مكة. الصفحة (١٨٩)، والكتاب مملوء بالأخطاء اللغوية، ولا أدري هل كان فيه أخطاء مثل هذا الخطأ الكبير في التراجم، الذي تم كشفه من خلال الاستعانة به عن نتائج غزو أبي الذهب إلى الحجاز، وأتمنى أن تكون كبوة فارس إذ إن مؤلف هذا الكتاب عندما استعرضت التعريف به وجدت أن له آثاراً علمية كثيرة.

٣. أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، الجزء (٣) مطابع دار الشعب، القاهرة ١٩٧٣م، صفحة (٨٥٨).

٤. خير الدين زركلي، الأعلام، دار العلم للملايين. بيروت - لبنان الطبعة الثانية تموز يوليو ١٩٨٩م، الجزء السادس، الصفحة ٢٩٩.

www.ahlaltareekh.com


مجلة الحج والعمرة
لقطات إخبارية
وجوه وأمكنة
ندوة الحج
رحلة العمر
ذاكرة الحج
قضايا ودراسات
آداب الشعوب الإسلامية
عرض كتاب
مجلة الدين والدنيا معا
مجلة الحج والعمرة
جدة: هاتف ٦٥١٤١٤٨-٠٢ ، تحويلة (٢٣٤) فاكس ٦٥٢٨٢٧٥-٠٢
E. Mail: info@hajmagazine.com